"ماذا يعني الموت بدون وجود جثة"

@ketab_n
Follow Me!

22.4.2016

سارق الجثث

باتريسيا ميلوُ

ترجمة: هبة ربيع

العربي للنشر والتوزيع

روايات مترجمة

باتريسيا ميلوُ

سارق الجثث

رواية

ترجمة: هبة ربيع

Twitter: @ketab_n

سارق الجثث

Twitter: @ketab_n

سارق الجثث

باتريسيا ميلوُ

ترجمة: هبة ربيع

الطبعة الأولى: 2016

رقم الإيداع: 2015/20612

الترقيم الدولي: 9789773192488

الغلاف: آلاء هيكل

تحرير: هدى فضل المولى

مراجعة لغوية: محمد حامد بكر

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

60شارع القصرالعيني - 11451 - القاهرة

ت 27921943 - 27954529 فاكس 27947566

www.alarabipublishing.com.eg

© Patrícia Melo, 2010.
By arrangement with Literarische Agentur Mertin Inh. Nicole Witte K., Frankfurt, Grmany.

MINISTÉRIO DA CULTURA
Fundação BIBLIOTECA NACIONAL

"Obra publicada com o apoio do Ministério da Cultura do Brasil / Fundação Biblioteca Nacional".

تم إصدار هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة البرازيلية.

Twitter: @ketab_n

بطاقة فهرسة

ميلوُ ، باتريسيا
سارق الجثث: رواية من الأدب البرازيلي / تأليف باتريسيا ميلوُ ، ترجمة هبة ربيع . - القاهرة : العربي للنشر والتوزيع ، 2015 ،
ص ؛ سم . تدمك 9789773192488
1- القصص البرازيلية
أ- ربيع ، هبة (مترجم)
ب- العنوان 849.43

Twitter: @ketab_n

الجزء الأول

الجثة

Twitter: @ketab_n

1

نتقلبُ في الحر..

أسمعُ خطوات قريبة من الشرفة المجاورة، ولكنني عاجز عن الصراخ.

يهمسون: "رحلة" ويكسرون شيئًا ما. ويضحكون.

في الطابق السفلي يُغلق محل الدراجات أبوابه.. يستمتع الأطفال بالتجسس على الجيران.

يتدلُّون من الأشجار، ويتسلَّقون أسطح المباني، ويختبئون في الثغرات.

من بعيد أسمع صرير عربات التسوق يمزِّق الأسفلت.

- "هؤلاء الهنود المحتالون الملاعين"، تقولها "سولاميتا" وهي تستيقظ عاريةً وتذهب إلى الحمَّام.

في الأسفل، تصرخ العجوز الهندية.

بالأمس فقط أخبرتني أنّها تعرف كيف تجدل سَعَف النخيل.

Twitter: @ketab_n

"سولاميتا" تستيقظ غاضبةً عندما تنام معي، وتقول:

- لا بد أن أبحث عن عمل، وأهرب من هنا، لا بد أن أعثر على مكان آخر للعيش بعيدًا عن هؤلاء الهنود الحُقراء.

أُحبُّ المكان، وأعشق "كورومبا"، واعتدتُّ الأطفال الذين غالبًا ما يستغلون غيابي كي يفتشوا في أشيائي. كما أُحبُّ العجوز الهندية وأفكر فيها عندما أذهب إلى الصيد.

أسمعُ "سولاميتا" تملأ دلو الماء في الحمَّام.

أطلب منها ألا تفعل ذلك، ولكن دون جدوى. على أطراف أصابعها، تقترب من الباب وتمسك بالأطفال من ظهورهم على سهوة، ثم تعود لتستند على حافة النافذة.

أسمع جري الأطفال، وصراخهم، وضحكهم، بعدما بللتهم.

عندئذٍ فقط أفتح عيني.

إنه الأحد.

Twitter: @ketab_n

2

يقول المذيع: سوف يُقْتَل 33 ألف شاب خلال السنوات الأربع المقبلة. أتخيل شرطيًّا يُطلق النار على السود، يُطلق النار عليهم من الخلف. المساكين. أرى أجزاءً من المخ تتطاير مُلطخة الجدران؛ حيث ستحدث المذبحة. يقول المذيع: وفقًا للإحصاءات، سيكون القتلى من السود والهنود. أعتقد أن شخصًا ما لا بد أن يُنَظِّف الأرصفة بخراطيم المياه.

أحب قيادة شاحنتي الحمراء البطيئة. أدير الراديو. وبعد دش بارد وشرب قهوة قوية، والاستماع إلى حديث المذيع عن انخفاض أسعار الأسهم في مكانٍ ما من العالم، والمذابح، والزلازل، وهجمات طالبان، وعمليات الخطف، والفيضانات، وجرائم القتل، والأوبئة، والاغتصاب، والاختناقات المرورية، أهدأ. فجزء من علاجي هو التفكير بهذه الطريقة؛ حيث أستمع إلى كل ذلك بيقين أنني لست هدفًا لأي شيء. إنني خارج الإحصاءات. لستُ غنيًّا، ولا أسودَ، ولا مسلمًا، هذا ما أفكر فيه. إنني آمن، محمي في شاحنتي

Twitter: @ketab_n

التي أمضي بها قُدمًا نحو بلدة "ريميديوس". أنعطف إلى الطريق السريع القديم، بنوافذ مفتوحة دائمًا كي تغزو رائحة الغابة أنفي.

أحيانًا تنام "سولاميتا" في البيت، وفي تلك الأيام آخذ جهازها اللاسلكي لأستمع إلى كل ما يدور في قسم الشرطة الذي تعمل فيه مساعدة إدارية؛ غارات على أوكار المخدرات، ومذكرات اعتقال، واقتحامات، وحوادث فساد، واحتيال. للبشر قدرة غير عادية على إفساد حياتهم، هذه هي الحقيقة. اليوم، وبينما كنّا نأكل الخبز الطازج، أخبرتني عن المرأة التي ظهرت في القسم بسكين خارج من أذنها.

بهذه الطريقة بدأ ذلك الأحد. حتى الآن لم تحدث مشاكل، وقلت لنفسي: "على الأقل لم يطعنني أحدهم بسكين في أذني، نحن على ما يرام، ونُسيطر، "**حوِّل**".

ركنتُ على الكوبري الأول. خرجتُ من الشاحنة ونزلت إلى مصب القناة، وظللت هناك أستمع إلى نقيق الضفادع وأفكر أين يمكن أن أصطاد.

تذكرتُ اليوم الذي ركبت فيه مع "سولاميتا" دراجاتنا إلى المغارة. قالت "سولاميتا" يومها، إنها فكرة غبية، لأن الطريق كان مغمورًا بالأمطار، ووصل الطين حتى كاحلينا، واشتكت بسبب دفعها دراجتها خلال الرحلة، ثم استحممنا في مياه المغارة المُثلَّجة لاحقًا.

من فوق الكوبري، لم يظهر أي حيوان؛ لا خنازير، ولا حتى تماسيح؛ بسبب المزارع في المنطقة المجاورة. حَلَّقتْ قلة من طيور "الطوقان" ذات المناقير الملونة، والغربان على ارتفاع منخفض من المساحات الخضراء بحثًا عن الطعام في برك المياه التي تعكس أشعة الشمس.

الجو شديد الحرارة؛ حتى إن شاحنات نقل الماشية في المنطقة لم تخاطر بنقلها، وكان العرق ينهمر غزيرًا على وجهي.

عدتُّ إلى الشاحنة وتوغلتُ في الغابة، بين نخيل "كارانادا" الشمعي، وواصلت السير بقدر ما يسمح به الطريق، حاملًا عدة الصيد كاملةً – بكرة الخيط، والعصا، والسنانير – بالإضافة إلى مُبَرِّد ممتلئ بالبيرة، وبعض حلوى الفول السوداني.

بعدما تركت الشاحنة مركونةً تحت شجرة، مشيت إلى نهر "باراجواي"،حاملًا أدوات الصيد والشبكة. لا أعرف إلى أي مدى مشيت، كان رأسي يغلي تحت الشمس طوال الطريق، توقفت عند فتحة المغارة، التي زرتها مع "سولاميتا" في السابق، متعبًا. خلعتُ ملابسي وطفوت لفترة طويلة على المياه متلذذًا بالبرودة التي تغزو جسدي، حتى توقفت جبهتي عن الغليان، وعندما تحسّنت حالتي تابعت السير حتى النهر.

كنّا في يناير، والأسماك تأتي في أسراب كي تضع بيضها في منابع النهر، وكان الصيد محظورًا في ذلك الوقت. لا يمكنك استخدام شباك الطرح، الجرَّافة، أو الشباك المثبّتة، ولكن الميزة أنني وحدي بالمكان.

Twitter: @ketab_n

جلستُ، وفتحتُ البيرة، كان ذلك في أحد أيام الآحاد الهادئة المشرقة التي تتجول فيها أفكارك دون هدف أو قلق. قضيتُ فترة ما بعد الظهر هكذا، ثملًا قليلًا من البيرة، أشاهد تدفق النهر، ونسيم دافئ يهب على جسمي. اصطدت كل الأسماك التي أستطيع حملها في رحلة العودة إلى الشاحنة، أقل من عشر كيلوجرام؛ منها اثنان من نوع "الباكو"، وواحد من نوع "السيوربي"، وثلاثة من "البيافكوس".

تمددتُ بعد ذلك في الظل، أكلتُ قليلًا من الحلوى، وغفوتُ في انتظار انخفاض درجة الحرارة حتى أبدأ مسيرة العودة، لا أعرف كم لبثتُ نائمًا. حلمت أنني اضطررت إلى متابعة المكالمات التليفونية والتنسيق بين فريق العمل من خلال جهاز لاسلكي، كان يُصْدِر ضوضاء رهيبة، "حَوِّلْ". كان هذا منذ زمن بعيد، وحتى الآن لا يزال اللاسلكي في كوابيسي.

استيقظتُ وقلبي تتسارع دقاته، سامعًا صوت محرك، نظرت نحو السماء ورأيت طائرة تحلق على ارتفاع منخفض، حتى إنني اعتقدت أنّها طائرة تصوير جوي.

لا أعرف حقًّا كيف حدث كل شيء، فجأة، انفجار، وسقطت الطائرة مثل طائر "الرفراف" في نهر "باراجواي".

Twitter: @ketab_n

3

كانت مقدمة الطائرة – ذات المحرك الواحد – تحت الماء في أكثر الأماكن ضيقًا وانحرافًا في نهر "باراجواي"، وجزء ضحل لا يمكن الإبحار فيه يمتد إلى حيث اندفن أحد الأجنحة، بينما يتصاعد الدخان الأسود من المحرك.

خلعتُ بنطلوني وحذائي الرياضي وسبحت نحو الطائرة. كان مستوى الماء فوق خصري قليلًا، وبمجرد أن قفزت على جسم الطائرة رصدت الطيار، كان شابًّا فارع الطول، عظمي الوجه، وكان الدم يتدفق من جرح في جبهته.

فتحتُ الباب الأيمن بالقوة، كان خارج الماء جزئيًا، ودخلت، أخبرت الطيّار ألا يقلق، وأنني سآخذه إلى شاحنتي، وأننا سنطلب الإسعاف بتليفوني المحمول، قلت له بينما كنت أفك حزام الأمان عنه:

– أنت محظوظ جدًّا، محظوظ جدًّا جدًّا جدًّا لتسقط من السماء وتظل حيًّا.

Twitter: @ketab_n

لقد صدقني في هذه اللحظة لمجرد أنني قلت له إنه محظوظ. في البداية أصدر تنهيدة مكتومة، أنينًا، فحصت نبضه، لا شيء، اجتاحني الرعب.

بدأت المياه ترتفع في الطائرة، فتحت الباب الأيمن ليحفظنا من الانجراف بعيدًا مع النهر، لم أكن واثقًا إذا ما كان منطقي صحيحًا أم لا.

ألهث، أبتلع الماء، بينما أسبح إلى ضفة النهر، الآن أخاف من أسماك "البيرانا"، حاولت تشغيل التليفون المحمول الموجود في جيب بنطلوني، لكنني لم ألتقط أي إشارة.

عدتُ إلى الطائرة، ودخلتُ إلى المقصورة، وجلستُ في مقعد مساعد الطيار، وبقيتُ هناك لبضع دقائق أسمع ضربات المياه في جسم الطائرة، مُفكرًا فيما يمكنني فعله. ربما يكون أفضل شيء هو سحب الشاب بعيدًا عن النهر. وعلى الرغم من صعوبة حمله إلى الشاحنة، لأنه كان أثقل مني، حيث قد يكون وزنه ثمانين كيلوجرامًا. كان يُمكنني جره، إلا أن فكرة سحب جثة أزعجتني.

وفكرتُ أنَّه لا فارق إذا ما تركته هناك لفريق الإنقاذ. يمكنني الاتصال بالشرطة من الطريق، سيصلون في أقل من ثلاث ساعات. فحصتُ نبض الشاب، وعندها لاحظتُ حقيبة ظهر جلدية مُعلقة بحزام خلف المقعد.

من منظر الحقيبة عرفت محتواها، إنها تشبه تلك الحقائب التي تراها على شاشة التليفزيون في أخبار مداهمات الشرطة لأوكار المخدرات، وبداخلها تجد كتلة مضغوطة بيضاء ومفتتة، ملفوفة في كيس بلاستيك سميك ومختومة بشريط لاصق. صنعتُ ثقبًا صغيرًا في اللفافة، وفحصتُ

Twitter: @ketab_n

المسحوق بفركه على لثتي، لم أكن خبيرًا في هذا الموضوع، لكنني لم أكن مُبتدئًا أيضًا، فلساني تخدر، وحلقي أيضًا.

جلستُ هناك أفكر في مركز الشرطة الذي يتعين عليَّ المرور به في الطريق إلى مدينة "كورومبا" لتسليم هذه الحقيبة والإبلاغ عن الحادثة، لكن التفكير في حفنة المال جعلني أحسم أمري في أقل من دقيقة.

لا أعرف من الذي قال منذ زمن إن الإنسان ليس أمينًا من تلقاء نفسه، ولكنها الحقيقة المطلقة.

وانطلاقًا من الدافع نفسه، أخذتُ أيضًا ساعة يد الطيار، وخرجتُ من ذلك الجحيم.

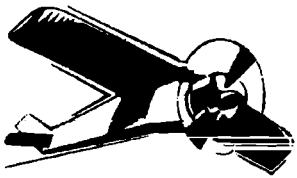

Twitter: @ketab_n

4

منذ عام كنت أعمل مدير تسويق عبر التليفون في غرفة حارّة جدًّا في "ساو باولو"، ومسؤولًا عن بيع أجهزة رياضية، من النوع الذي يمكنك طيّه، ووضعه تحت السرير، ثم لا تستخدمه أبدًا بعد ذلك. كنت قد بعتُ أشياءَ أسوأ، مثل بطاقات الائتمان، وفلاتر المياه، وأحزمة فقدان الوزن. كنت مُنتفخًا بسبب شرب القهوة كثيرًا. لم أفعل سوى الجري ذهابًا وإيابًا في الممرات مثل أرنب خائف، وإعداد التقارير، والتنسيق بين فرق المبيعات باللاسلكي، ويلازمني شعور دائم بأنني لن أستطيع تسليم البضائع في موعدها.

كان جزء من وظيفتي تدريبَ العاملين الجدد على استخدام برامج الكمبيوتر من "وورد" و"إكسل" و"باور بوينت" و"أوت لوك"، وهي عملية تدريب طويلة ومرهقة تؤدي دائمًا إلى إصابتي بنوبات الصداع النصفي. كنت قد انتهيت حالًا من تدريب موظفة شابة عديمة الخبرة، وفي يومها الأول في قسم التسويق عبر التليفون، ذهبتُ لمراقبة مكالماتها الأولى في الصباح، لاحظتُ أنَّها تجد صعوبة في نطق الكلمات، كان ذلك بعد

Twitter: @ketab_n

مرورها بعذاب التدريب، سألتها ما الذي في فمها، فأرتني الحلق الذي وضعته في لسانها أمس.

ما قتلني كان تعبيرها، ابتسمت باضطراب، كما لو أنها فعلتْ شيئًا شقيًا كالأطفال، أو كما لو كان العمل بهذه الطريقة مُمكنًا، اللثغة، تبصق الكلمات في وجه الذين لا يريدون التحدث إلينا، وينهون المكالمة في وجهنا بمجرد أن يدركوا أنّها لبيع شيء، قائلين: "هل تبيع شيئًا؟ مع السلامة، لست مُهتمًا، لا أريد شراء أي شيء"، ثم يغلقون التليفون في وجوهنا، والآن، موظفتي لديها حلق في لسانها، سألتها:

- كيف ستتواصلين مع عملائنا؟

ابتسمتْ مُحرجة، وألقتْ رأسها إلى الوراء، كل ما أتذكره هو ارتفاع موجة الكراهية داخلي لدرجة أنني صفعتها. يعتقد الجميع أنني من نوع الرجال الذين يتوترون، ولكنني لست كذلك، على العكس تمامًا، أنا أسيطر على انفعالاتي، أعتقد أنني مخطئ بهذا الشأن. ولكن أوّل ما خطر لي في تلك اللحظة هو أننا لم نفهم أبدًا كيف يمكن لمواطن مسؤول يعمل بجد أن يسحب مسدسًا ويقتل سائقًا قطع الطريق عليه. في الواقع، إنه أمر بسيط جدًا، يحدث بالطريقة نفسها التي ضربت بها موظفتي. فالبندقية هناك في خزانة السيارة. فجأة، يقطع شاب عليك الطريق في التقاطعات، فتقفز من السيارة وتطلق رصاصة في جبهته، بهذه البساطة.

على الفور، أخذت الفتاة إلى مكتبي، كانت خائفة، وأنا أكثر منها، شربتُ بعض الماء، وقلت لها:

Twitter: @ketab_n

- اجلسي، واستخدمي هذا المنديل.

واعتذرت لها بكل وسيلة ممكنة، لكنني لم أستطع مسامحة نفسي، ناهيك بفهم كيف استطعت التصرف بتلك الطريقة مع تلك الفتاة، ظلت هادئة، وعيناها على الأرض، مثل كلب مضروب ضربًا مبرحًا، كانت ترتدي فستانها الرث الذي ترتديه منذ أول يوم في التدريب. كانت فتاة نظيفة، فقيرة، شاحبة كزجاجة مياه فارغة، لا بد أنّك شاهدت الكثيرات من عيّنتها حولك في كل مكان بحقائبهن الرخيصة ينتظرن في محطات الأتوبيس، ويضغطن أزرار المصاعد، ويبعن التذاكر في السينما. في ذلك اليوم، كانت تحاول ألا تجهش بالبكاء أمامي، سألتني:

- هل يمكنني الذهاب إلى الحمَّام؟

كلانا يواجه الآخر، ولا أعرف ماذا أفعل، قلت لها:

سامحيني، أنا آسف للغاية.

عرضتُ عليها استخدام حمَّامي. المديرون لديهم ذلك الامتياز، لكنها فَضَّلتْ استخدام حمَّام الموظفين، عادت بعد خمس دقائق، من دون الحلق، والمكياج، واستأذنت في العودة إلى مقعدها.

كانت الأيام القليلة التالية رهيبة، كما لو كان كلانا ارتكب جريمة ما، كان الجو بيننا ثقيلًا؛ لدرجة أننا كنّا نقول صباح الخير بصعوبة بالغة. كنت أتجنب المرور بمكتبها بسبب الندم والحرج، وفي السرير ليلًا، لم أستطع النوم من كثرة التفكير في هذا الاحتمال، لكنها لم تبلغ عني.

Twitter: @ketab_n

استمر ذلك لمدة أسبوع، وفي اليوم الثامن لم تظهر الفتاة، عندما رأيت كرسيها خاليًا، راودني هاجس سيئ، وفيما بعد اتصل شخص من عائلتها وعلمنا أنها ألقت بنفسها من الطابق العاشر.

في الجنازة، رأيت زوجها من على بُعد بشعره "السبايك" ومظهره الغريب، وحلقات أذنه وأنفه، يحمل ابنتهما البالغة من العمر عامين على ذراعيه، لم يكن انتحارها بسببي، أعلم ذلك، كانت عيناها على حافة الهاوية بالفعل، لقد كنتُ مجرد الدافع.

لكن مَنْ تلك الفتاة؟ سأل مديري عندما عاد من الإجازة وعرف الأخبار، وبعدها بأيام، كان جميع مندوبي المبيعات يعرفون قصة الصفعة، ويرفضون طاعة أوامري أو التحدث معي، انتشر الخبر مثل الفيروس في جميع أنحاء المبنى وخارجه. حتى العاملون بالشركات الأخرى في الطوابق الأخرى، ابتعدوا عني في المصعد والمطعم الذي أتناول فيه طعام الغداء يوميًّا، ويتهامسون حين أمرّ بهم، يقولون: "انتحرت بسببه"، أصبحت شهيرًا، الرجل الذي صفع الموظفة، كنت الطاعون، والشيطان، حتى كتب أحدهم على لوحة الإعلانات:

"اخرج، أيها الوحش عديم الإحساس".

قال المدير العام عندما فصلني: "ليس لديّ خيار آخر".

انهرتُ سريعًا، لم أستطع مغادرة الفراش، وكنت أتناول الكثير من الأقراص المنومة حتى أصبحت كآلة لا تعمل بانتظام.

Twitter: @ketab_n

قال لي ابن عمي "كارلو" عندما زارني بالصدفة في "ساو باولو": "تبدو مُخيفًا". ودعاني لقضاء بعض الوقت معه، وبهذه الطريقة انتقلت إلى مدينة "كورومبا" بالصدفة.

Twitter: @ketab_n

5

كل شرطة على ميزان الحمام تساوي كيلو من هذه البودرة ، وسعر الكيلو منها في أمريكا ضعف سعره هنا، وسمعت أنّه يساوى ثلاثة أضعاف في أوروبا. في الواقع، لم أهتم مطلقًا بالمال، أردتُ فقط ما يكفيني كي لا أضطر للعمل وقتًا أطول. وزنتُ المخدرات مرتين حتى أتأكد من الكمية.

أعدتُ كل شيء إلى حقيبة الظهر، وتسلقتُ كرسيًّا حتى فتحت الغطاء الذي يسمح بالوصول إلى السندرة، وخبأتُ الحقيبة خلف خزَّان المياه.

غرفتي تقع في ضواحي "كورومبا"، وتخص نجل زعيم قبيلة "جواتا"، الذي لا يتحدث اللغة "الجواتية" ولا يستطيع حتى أن يجدف بالقارب الطويل، كأفراد قبيلته.

المساحة أكبر من سكني السابق، غرفة حقيرة تُطِل على طريق "26A" السريع، المكان خالٍ إلا من عدة ضفادع وشجيرات. كان من

Twitter: @ketab_n

الصعب عليّ اعتياد ذلك المكان، والذباب يطنُّ حولي، والطين في كل مكان، وسكان المناطق المحيطة ليس لديهم ما يقدمونه إلا الأُخوَّة. شعرتُ بالفراغ هناك. في الليل وعيناي مغلقتان أتذكر صخب "ساو باولو" أو مكتبي في شارع "سان لويس" بجدرانه المقشرة المضاءة بلافتة مركز اللياقة البدنية على الجانب الآخر من نافذتي.

أحيانًا أحلم بمندوبة المبيعات التي انتحرت، بوجهها الشاحب، وأستيقظ على صوت الصفعة، كما لو أن أحدًا يهاجمني. لكنني الآن أفكر في "ساو باولو"، والتي حَوَّلني كثرة التفكير بها إلى شيء صغير، وضعيف، وقابل للكسر، وقادر على صفع موظفة. تلك المدينة مرض حقيقي. مثل أولئك الذين يهاجمون الجنود الذين يُنفذون الأوامر وينطلقون إلى الحرب. أو يهاجمون المرؤوسين، عندما يُطيعون الأوامر. بالطبع لا أقول إنّه عليك أن تُحارب أو أن تطيع الأوامر. كل ما في الأمر أن الحياة تحتاج إلى إصرار؛ ففي نهاية الأمر أنت هنا لإنجاز بعض الأمور. عليك أن تتأقلم. وعليك أن تفعل هذا سريعًا، سنتأقلم. أعتقد أن الأمور كان يمكن أن تكون أسوأ من ذلك، كان من الممكن أن أقتُلَ سائقًا، أو أزوِّر دفاتر حسابات، أو أختلس مالًا، أو ألقي بنفسي من الطابق العاشر. على أي حال، لقد سقطت في البئر، وغرقت، وفسدتُ مثل حبة طماطم مُلقاة على الأرض في السوق. لقد هربتُ بصعوبة، وكان ذلك بسبب تلك الشروط التي اعتقدت أن المدينة تفرضها عليّ، وعاهدتُ نفسي ألا أعود لمثل هذه الحياة مرةً أخرى أبدًا، "**حوِّلْ**".

Twitter: @ketab_n

كانت "ريتا"، زوجة ابن عمي، هي التي ساعدتني على الخروج من الأزمة، أول مرة رأيتها، كانت تتشمس مرتدية البيكيني، بالقرب من محطة بنزين، وشعرتُ في تلك اللحظة بشرارات كهرباء تنبعث من جسدها لتحرقني. كانت في السادسة والعشرين وتبيع مستحضرات تجميل، لم تكن جميلة، ولكن كان هناك شيء في وجهها يسر من يراها لأول وهلة. عندما حدثني عنها "كارلو" أول مرة قال إنه بسببها ترك زوجته وبناته، وتحدث تحديدًا عن هذه الجوانب في "ريتا"؛ فضولها، وابتسامتها، وضحكتها، ووصفها وصفًا جيدًا للغاية، كان أنفها كبيرًا نوعًا ما؛ وشعرها مصبوغًا، وقدماها صغيرتين ونحيفتين، لكنك لن تنتبه إلى أي من ذلك عندما تكون بجانبها.

عندما كان "كارلو" يذهب للتسوق أو السفر، كانت تأتي لترافقني ومعها القهوة الطازجة. كنَّا نذهب للسباحة في بحيرة قريبة من المنزل. اعتادت القول إن هذا المكان على حافة الخريطة، المحطة الأخيرة.. "انظر الى نفسك، حتى أنت انتهيت إلى هذا المكان". وإذا أخذت خطوة أخرى فسوف تسقط فيما وراء ذلك، وإذا ذهبت في الاتجاه الخاطئ، سوف ينتهي الأمر بك في "بوليفيا".

أحيانًا نظل هادئين، إلى جوار بعضنا البعض، ندخن، ونتأمل الطريق السريع الخالي، حتى سألتني في أحد الأيام عن الفتاة التي تتصل بي يوميًّا، كان وجهانا قريبين حتى إنني شممت رائحة القهوة في أنفاسها، قلت صديقتي، فسألتني:

Twitter: @ketab_n

- واسمها "سولاميتا"؟ اعتقدت أنه اسم نوع من المعادن الموجود في المنطقة، شيء مثل فوسفات الألومنيوم.

ضحكتُ، لكنها ظلت جادة وقالت إنها تحبني.

هربتُ في اليوم التالي، لم أكن أريد أي مشاكل مع ابن عمي.

الآن أصبحتُ عاطلًا عن العمل مع حقيبة الكوكايين المخبأة في السندرة.

قبل الاستحمام، نزلتُ وعبرتُ الممر بجانب متجر الدراجات، وقدمت السمك إلى الهندية العجوز، أم صاحب محل الدراجات، واسمها "سيرافينا".

كان هناك بعض "الجواتوس" من "جواتيمالا" في الحي، رأيتهم هناك، بعيونهم المائلة، وصنادلهم يلعبون كرة القدم في الظهيرة، يقومون بكل أنواع الأعمال من سمكرة السيارات، والأمن، والنظافة، لم يعتادوا بعد الحياة بعيدًا عن الجزيرة التي طردهم الجيش منها، والتي تمكنوا لاحقًا من العودة إليها عندما بدأ الكهنة في المنطقة يثيرون ضجة للدفاع عنهم، لكن "سيرافينا" فَضَّلت المدينة بعد نقل زوجها إلى المستشفى بسبب مشاكل في القلب.

كانت المشكلة الوحيدة أنها تعيش مع ابنها، وقالت بعد موت زوجها:

- الآن توفي زعيم القبيلة العجوز.

وتعيش الأسرة متزاحمة في غرفتين، تنام "سيرافينا" في المطبخ مع أحفادها الثلاثة، محشورة مقابل غرفة نوم الزوجين، بينما تستند المراتب

Twitter: @ketab_n

الصغيرة على الجدران، وتجف الملابس خلف الثلاجة، وكان الشحم يتسلل تدريجيًا من متجر الدراجات إلى المنزل، وجدرانه.

زوجة ابنها لم تكن من القبيلة نفسها، وكانت تغضب حينما تتحدث العجوز باللغة "الجواتية"، وتصفع بناتها الشابات لأي سبب، ومن حين إلى آخر تضرب "سيرافينا" وتطردها إلى الشارع كنوع من العقاب.

حينها آخذها إلى غرفتي، تكون مرتبكة ومتوترة، وتسألني:

- هل تعتقد أن ذلك كان بسبب ذهابي إلى الثلاجة؟ لقد أخذت موزة، هل الموزة السبب؟

في تلك الليلة قالت لي إن الجميع ذهبوا إلى السوبر ماركت وسوف يعودون سريعًا بعلب المشروبات والمقرمشات، وأضافت:

- لديّ بعض السجق المقلي، هل تريد بعضًا منه؟

فكرتُ أنّه من الأفضل عدم الخروج من المنزل بكل تلك الكمية من الكوكايين الذي يدق في رأسي مثل قنبلة موقوتة.

أكلتُ بسرعة، وشكرتها، ثم عدتُ إلى غرفتي لأرى إذا ما كان هناك أي شيء في التليفزيون عن الطائرة المفقودة.

Twitter: @ketab_n

6

لم تظهر الأخبار التي كنت أنتظرها حتى منتصف الصباح، وأكد المذيع أن الطيار مفقود منذ الأحد، وأن اسمه "خوسيه بيرابا جونيور"، وهو ما كنتُ أعرفه بالفعل من الوثائق التي وجدتها في حقيبته. ما لم أكن أعرفه هو أن الشاب من عائلة ثرية، من مُلَّاك مزارع الماشية في المنطقة. أظهرت الصور الطيّار في مسابقات الفروسية والتزلج في إسبانيا، ويُطعِم الماشية مع والده، وقالوا إن عملية البحث عن الطائرة ذات المحرك الواحد المختفية سوف تُرَكِّز على منطقة ضواحي "كورومبا" التي جرى آخر اتصال منها، وفقًا للرادار، في حوالي الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الأحد، واختتموا التغطية بتصريح من صديقته تقول: "أعلم أنه على قيد الحياة وأطلب من الجميع الدعاء له".

حتى الآن تسير الأمور بشكل جيد، وكل شيء تحت السيطرة. جررتُ كرسيًّا لأصل للسندرة، وأخرجتُ حقيبة المخدرات.

Twitter: @ketab_n

بهدوء أخرجتُ محتويات الحقيبة وعرضتها على الترابيزة، ومرة أخرى فحصتُ بعناية كل الحاجات؛ الساعة، النظارة، المحفظة، المفاتيح، التليفون المحمول، وقلمين، ومجموعة من العقاقير.

في المحفظة وجدتُ عدة بطاقات ائتمان، ومبلغًا من المال، ووثائق الطيار الشخصية، كما كان هناك بطاقة عضوية في رابطة مُربي الماشية من ولاية "ماتو جروسو دو سول" البرازيلية.

قد يكون من الحكمة بالنسبة لي التخلص من كل شيء، وإلقاء الحقيبة في النهر بعد ملئها بالحجارة.

قررتُ أنني سأفعل ذلك في المرة القادمة التي أذهب فيها للصيد.

ارتديتُ الساعة حول معصمي واحتفظت بباقي الحاجات في الحقيبة قبل أن أعيدها إلى السندرة.

وبينما كنت أرتدي ملابسي، تذكرت محل رهونات لعجوز عربي بالقرب من مقبرة "سانتا كروز"؛ حيث رهنت خاتم زفاف أمي عندما جئت لأول مرة إلى "كورومبا".

في الحادية عشرة، كنت واقفًا خلف المقبرة، وعندما خرجت من الشاحنة كانت نظارتي مُشبَّرة. وصلتُ إلى محل الرهونات أتصبب عرقًا، وعرضتُ الساعة على العربي.

Twitter: @ketab_n

فحص بعناية الملصق الأخضر الذي يحمل صورة مجسمة على الجزء الخلفي من الساعة، حيث الرقم المسلسل، ثم ضرب بعض الأرقام على آلته الحاسبة وعرض عليّ مبلغًا قبلته على الفور، ووَقَّعتُ سعيدًا إيصال الرهن.

عدتُ إلى السيارة وأنا أُرَبِّت على المال في جيبي، مُفكرًا أنّه يمكنني تدبير الأمر على الأقل في الوقت الراهن. وقبل الذهاب إلى المنزل اشتريت ميزانًا، وأكياسًا من البلاستيك، وشريطًا لاصقًا، وكيسًا من النجوم الحمراء لتصبح علامتي التجارية، "**حَوِّلْ**".

في حوالي الساعة السابعة وقفت أمام مركز الشرطة، وانتظرتُ "سولاميتا" حتى خرجت برفقة ضابط المباحث "جويل". قال:

- أهلًا يا عزيزي.

رددت:

- أهلًا "نَوْرَستي".

وهو اسم للدلع يعني "النورس"، بهذه الطريقة كنا نتعامل سويًّا؛ عزيزي ونَوْرَستي.

في الطريق إلى البيت اشترينا بيتزا، وأكلناها ونحن نشاهد التليفزيون ونشرب البيرة. كانت الأخبار تستحوذ على اهتمامي.

Twitter: @ketab_n

لاحقًا، حاولتُ الحصول منها في السرير على بعض المعلومات المهمة لبدء مشروعي الجديد. نظمتُ الأسئلة واحدًا تلو الآخر، بهدوء، حتى لا أنبهها إلى ما أنتوي فعله، وطوال الوقت ظللتُ أدس بعض كلمات الثناء، والقبلات، "**حَوِّلْ**"، ثم أبدأ الأسئلة من جديد.

بهذه الطريقة عرفتُ أن نظام بيع المخدرات في "كورومبا" لا يختلف عن بقية "البرازيل"؛ مما يعني أنّه لا دخل للعصابات أو المافيا، بل مجرد شبكة من رجال الأعمال الذين يتورطون في كل شيء وأي شيء بدءًا من وكلاء سيارات، ومربي ماشية، وتجار قطع غيار السيارات، وأصحاب مذابح، ومحلات جزارة، وأصحاب مخازن، وطيارات الأجرة - كل ذلك بهدف تسهيل الاتجار في المخدرات. كان من الصعب اقتحام هذا النظام. ينبغي أن يكون لديك شيء ما، ولم يكن لديّ أي شيء يمكنني من التعرف على الأشخاص المناسبين، كما أنني لست من "كورومبا" حتى. قالت "سولاميتا":

- إن هذه هي الطريقة في تجارة الجملة.

مُضيفة أن تجارة التجزئة لا تتبع نمطًا محددًا. فكرت أن هذا هو مدخلي، العمل على نطاق صغير، "**حَوِّلْ**"، قالت:

- هناك أناس يعملون وحدهم، يُجندون المهربين هنا في الشوارع الخلفية، من العاطلين عن العمل، والمدينين الذين يوافقون على نقل المخدرات إلى أي مكان، وهؤلاء مَنْ نقبض عليهم في الحملات، لا أقصدني بهذا الكلام، لا أتحدث عن نفسي، أنا مجرد مساعدة إدارية دون أي دور محدد، فقط أَسِدُّ الثقوب، أفعل ما لا يريد أو يحب الآخرون فعله، هذا هو عملي الروتيني، أنا دائمًا غارقة حتى أذني في التحقيقات وسماع الشهود، والتعامل مع ما أسميه

Twitter: @ketab_n

متلازمة "لا أعرف"، الشخص لا يعرف أي شيء، لم يرَ الضحية، لم يقتل، لم يسرق، لم يكن حتى في المدينة يوم وقوع الجريمة، ليس لديه ما يُصرح به، أسأم من كل ذلك، أخرج، وآخذ نتيجة التحليل لمدير المشرحة.

كانت الحادية عشرة تقريبًا عندما رَنَّ تليفوني المحمول، كانت "ريتا":

- أنا حزينة، لا أستطيع حتى تناول الطعام، هل يمكنني المجيء إليك؟

شعرتُ أنها ثملة، فأجبتها:

- الرقم خطأ.

- أنت مع "سا.." ماذا كان اسمها؟

- لا أحد هنا بهذا الاسم.

- أراهن أنك لا تفكر في.

كانت "سولاميتا" بجواري وخشيتُ أن تسمع، فقلت:

- الرقم خطأ.

لا أعرف إن كانت صدقتني، لكنها على الأقل لم تقل شيئًا.

نمنا معًا في تلك الليلة، أو بالأحرى نامت "سولاميتا"، وظللتُ مستيقظًا، أحدق في السقف وأفكر في الجثة، "**حَوِّلْ**". شيء فظيع، أن تسقط من السماء وتموت.

7

سيطرت الشمس على كل شيء دون رحمة، ركض الناس كما لو كان يمكنهم الهروب من الحرارة. يمكنك رؤية أجزاء ذائبة من الأسفلت هنا وهناك. هكذا الحياة في هذه المدينة؛ السماء زرقاء، والأرض تتبخر، والناس يحاولون الفرار من هذا الفرن. هنا تتعفن الأشياء أسرع كما يقولون، ولهذا تكثر الديدان، "**حَوِّلْ**".

ركنتُ الشاحنة على الناصية، ثم وقفتُ أتأمل القصر بأكمله، كان به اثنا عشرة نخلة موزعة لتعطي شكلًا هندسيًّا متساويًّا، مما جعلهم يبدون كالجنود، والقصر كأنه ثكنة عسكرية، وجال بخاطري أن النخيل مجتمع هكذا في انتظار يائس لعودة المحارب الذي سقط.

فتح حارس يرتدي زيًّا رسميًّا البوابات الحديدية، وغادرت سيارة شرطة الموقع. في الحديقة كلبان يبدوان أقرب للماعز المحلوقة فروتها. كانا يراقبان بخمول الشاب الذي ينظف حوض السباحة بعصا طويلة. وطنين الذباب.

Twitter: @ketab_n

ما الذي أفعله هنا بحق الجحيم؟

في الليل، وبينما أتقلب في الفراش كانت تطاردني فكرة أنني كنتُ بجانب الطيار في لحظة وفاته بالضبط، والأسوأ من ذلك، أنني كنتُ قادرًا على سرقة الميت، كانت الفكرة تخيفني، وتملؤني بالوساوس المروعة، كانت تشعرني كما لو أننا - أنا والجثة - شريكان. فجأة، أصبحت إحدى مشاكلي، هو وكل ذلك الكوكايين في السندرة، وحينها باغتتني فكرة ممتازة بأن أذهب إلى منزل العائلة وأترك لهم رسالة من مجهول ومعها خريطة توضح موقع الحادث.. "اتبع الطريق السريع القديم، واسلك الدرب مع أشجار نخيل (الكارنوبا)، المسار منقط باللون الأحمر مع علامات دقيقة توجه الأسرة". استغرق مني رسم الخريطة ما يقرب من ساعة، وأضفت علامة "X" للنقطة المقصودة"، "ابنك مات هنا"، ملحوظة: "لم يُعَان"، "**حَوِّلْ**".

ما يُعذبني أكثر من صورة الجثة المتروكة في النهر كان التفكير فيما يحدث داخل ذلك المنزل، وتصريح صديقته على شاشات التليفزيون: "نحن على يقين من أنّه على ما يُرام"، الأم تبكي، أفهم ذلك، "**حَوِّلْ**"، الأمهات اللاتي يتدهورن هكذا، يذبلن سريعًا من كثرة البكاء، قبل أن أعرف أن الناس يموتون، كنت أتصور أنهم يختفون، يهجرون المنزل ويتبخرون ويتركوننا في حيرة، ننظر إلى سريرهم الخالي، الذي يشبه صرخة الصباح، وصفعته، نحلمُ بهم كل ليلة، نحلم أنهم لا يزالون على قيد الحياة، أنهم ينادوننا، يعودون إلى البيت - دائمًا الأحلام نفسها- حتى

Twitter: @ketab_n

ينتهي بك الأمر في الواقع إلى الاعتقاد بأنهم على قيد الحياة، وهناك أيضًا الدراسات التي تقول إن سبعين بالمائة من المختفين يعودون، ربما لست مؤمنًا بالله، ولكنك مؤمن بالدراسات، تتشبث بهذه النسب كما لو كانت صلاة، والأرقام، إلى جانب الأحلام، تُحيل ذلك الشخص إلى نوع من الموتى الأحياء، الزومبي، أعرف كل ذلك جيدًا.

حتى اليوم لا أستطيع التفكير في أمي كامرأة تصنع كعك الزفاف تُزَيِّنه بالبودرة البيضاء "الركوكو" حتى تصل لأعلى الكعكة؛ حيث تمثال العروس والعريس من السُّكَّر يبتسمان إلى الأبد. أتذكرها كشيء نازف مرتبط بالتليفون الذي كانت بالقرب منه دائمًا في انتظار اتصال من أبي يُخبرنا أنّه لم يمت، أو يهجرنا، أو يفقد ذاكرته، وأنه حي، وسيعود، وبعد ما يقرب من عشرين عامًا، كانت والدتي لا تزال تمسك التليفون وتنتظر، وهي أقرب إلى الأموات منها للأحياء.

الحقيقة هي أن الموتى يحتاجون إلى الموت الحقيقي، يحتاجون إلى وضعهم في تابوت ودفنهم، أو حرقهم، ولا بد أن تكون هناك عندما يتم قذف آخر حفنة من التراب عليهم.

ماذا كنت أفعل هناك بحق الجحيم؟ إن الأفكار التي تأتيك أثناء الليل، سواء أكانت جيدة أم سيئة تكون دائمًا أفكارًا رهيبة، إنذارًا كاذبًا، ودعايات مضللة، وتنبيهات للمستهلك: لا تحاول أن تفعل هذا عندما تستيقظ. خريطة لموقع الحادث؟ ما الذي يهمني في كونهم يعانون؟ إنني حتى لا أعرف هؤلاء الناس.

Twitter: @ketab_n

بعد اختفاء الحارس في الحديقة، والكلاب تتعقبه، ذهبت إلى البوابة وشاهدتُ الرجل الذي ينظف حوض السباحة، لم يبدُ متعجلًا، المأساة الموجودة بالداخل لا علاقة لها بأوراقه الميتة، أو بالكلور الذي يلقيه في الحوض. تبدو الحديقة كما لو كانت ممتدة إلى الأبد، بعرائشها ومجموعات نباتاتها التي لا تُرى عادةً في "كورومبا".

إذا كنت أريد المساعدة، فإن أفضل شيء أفعله هو الاتصال بالشرطة كمجهول، أو بالعائلة نفسها. على الأقل هذه هي الطريقة لحسم الأمور مع الجثة التي أهدتني ذلك الكوكايين. وعلى الرغم من أنه لم يمنحني أي شيء حقًّا.. "فليس من وجد كمن سرق"؛ أي إنني لستُ مدينًا لأحد في الحقيقة، ليس لديّ أي سبب يدعوني إلى التورط مع هؤلاء الناس.

أشعلت سيجارة، مُفكرًا أنه ربما قد يأتي شخص يدلني على مكان جثة والدي يومًا ما، في موقع مهجور خلف مصنع الأسمنت، أو غارقة في قاع النهر، أو مدفونة في فناء إحدى الضواحي ورصاصتان في رأسه.

سألني الحارس الذي ظهر فجأة قبل أن تسنح لي فرصة الهروب:

- هل أنت السائق؟

كان بإمكاني أن أجيبه بأنني هنا فقط لأشاهد الحديقة والعشب الأخضر الجميل، أليس كذلك؟ لقد ماتت ورود "الروز" و"الأقحوانات" التي أربيها. لا شيء يزدهر في هذه الحرارة. لم أجد أبدًا صعوبة في بدء الحوار أو الخروج من هناك، ولكنني من الخوف قلت "نعم" وتم اقتيادي

Twitter: @ketab_n

إلى القصر. في الطريق، استجمعتُ شجاعتي، فكرتُ لهذا السبب أنا هنا، سأذهب لأقول كل شيء، كانت الصورة التي رسمتها لهم كالكلب الذي لا بد من قتله برحمة، قلت لنفسي سوف أنهي أملهم الكاذب، سأدخل وأفعل ذلك فورًا، سأذهب وأطلق رصاصة الرحمة. "**حَوِّلْ**".

تسألني "دالفا" الطاهية القصيرة صاحبة السيقان المكتنزة:

- أترغب في الأكل؟

كانت تأكل لحمًا بقريًّا مشويًّا مع الكرنب الملفوف، ومرفقاها مستندان على الترابيزة، مسحت طبقها بقطعة خبز، وبفم ممتلئ حكت لي قصة الشاب، كان ذاهبًا لقضاء عطلة الأسبوع في مزرعة صديقه، واتصل الأحد قائلًا إنه سيصل خلال ساعة، كان يحب الطيران، كان دائمًا ما يحلق فوق "السافانا". حينها فكرت أنّه يطير فوقها لشراء المخدرات من "البوليفيين" على ما أظن.

بعد نصف ساعة، اصطحبوني إلى غرفة المكتب المتلئة بصور الأسرة، والأبقار المعروضة في الأسواق، والفائزين. جلستُ هناك وحيدًا أمام صورة للأب يحتضن فيها ابنه، لاحظتُ أن أحذيتهما متطابقة، والساعة التي رهنتها موجودة في معصم الولد.

فجأة، بدأ الصراخ. كان صوت امرأة، تقول:

- لا يهمني البتة ما سيفعلونه، أنت الأب، وأنت من يتوجب عليك فعل أي شيء، أريد ابني، أعده لي.

Twitter: @ketab_n

وأُغلق الباب، كان صوت بكائها لا يزال مسموعًا، كان كعواء أنثى الذئب. جميعهن كذلك، نفس العواء الذي يقطِّع القلوب.

بعد برهة، دخل الرجل الذي يظهر في الصورة إلى المكتب، مُرتديًا نفس الحذاء كما في الصورة، كان يبدو مشوشًا، وقال:

- تحدثنا في التليفون بالأمس.

فقلت لا بد إنه سائق آخر، لكنه لم يسمعني لتعجله، كنت أريد أن أخبره بأنني لديّ معلومات له، معلومات ممتازة.

كنت هناك لأخبره بالحادث، رغم كل شيء كان ذلك هو سبب دخولي هذا البيت، لأتحدث عن الانفجار وتحطم الطائرة، لقتل الكلب الميؤوس من شفائه. فكرت في قول: "يمكنني اصطحابك إلى مكان الحادث"، الشعور بالأسف لحال الآخرين مقرف، وقفت هناك، إصبعي على الزناد، وانتهى بي المطاف إلى قبول المنصب، والاتفاق على راتب جيد.

سألني:

- متى يمكنك أن تبدأ؟

- غدًا.

غادرتُ المكان مُفكرًا أنّه بإمكاني في أي لحظة الاتصال وانتحال أي عذر، أو ببساطة ألا أظهر، وأختفي من على الخريطة. هذا بالضبط سبب فشلنا الذريع في حياتنا، فدائمًا لدينا اعتقاد أنه بإمكاننا الانسحاب في الوقت المناسب.

8

صوت صليل الجنزير، كل هذه الشحوم جعلت "موسيير" يبدو أكثر سوادًا، أزعجتني الضوضاء، مقرفصًا على الرصيف. كان الهندي يحاول إصلاح جنزير دراجة الشاب الثمل الواقف بجواره الذي كان يلاعب كلاب الحي، تلك الحيوانات القذرة الكسولة القبيحة لدرجة أنّك تتألم من النظر إليها، الكلاب والرجال في حالة يُرثى لها من القذارة، تعوي، وتتبول أمام الأعمدة، الشمس قاتلة.

وبينما كان "موسيير" يحرك البدّالات، ويُدير الجنزير وهو يقفز، انفلت مقود الدراجة. قال الثملُ منفجرًا في الضحك:

– اللعنة، من الأفضل التخلص من كل شيء في سلة المهملات.

أغلقتُ النافذة واستلقيتُ على الفراش. أعدتُ قراءة الرسالة التي تركتها "ريتا" لي مع "سيرافينا" في صباح ذلك اليوم، صوت صليل

Twitter: @ketab_n

الجنزير مجددًا: "شكرًا لغلق الخط في وجهي، اليوم عيد ميلادي، أنت - فقط أنت وحدك - مدعو للحفلة في التاسعة.. إمضاء (ريتا)".

فتحتُ علبة بيرة وفكرت فيما سأفعل، سيكون من اللطيف السباحة في مياه المغارات الباردة، لكنني أشعر بالثقل لدرجة العجز عن السباحة. الجو حار جدًا، فكرت مرَّات عِدَّة في الاتصال بأسرة الطيار ثم تراجعت. المشكلة أن العودة إلى "ساو باولو" لم تكن ضمن خططي، ولا حتى للعمل التجاري. كنت قد تجولت بالفعل تحت شمس "كورومبا" وفي يدي صحيفة الإعلانات المبوبة، أبحث عن شيء مثل محطة بنزين "كارلو"، التي اشتغل فيها كل شيء بدايةً من تشغيل مضخة البنزين وحتى ترقيع الإطارات. عندما جلستُ في الظل وسرحتُ بخيالي، كان كل ما وجدته هو أعمال في مخابز ومحلات نفخ الإطارات، والباقي هراء، كلها أعمال وضيعة. كل شيء حار، لا شيء يصلح لي، ولكن العمل في منزل مُربي الماشية كان جيدًا، على الأقل سيكون لديّ مكيف هواء، وهو شيء مهم للغاية في "كورومبا". "**لدينا تكييف هواء**"، واسم الشركة مكتوب على لوحات مزخرفة لجذب الزبائن. عشر درجات حرارة أقل هي معادلة تحقيق السعادة في هذه المناطق. هذا ما منحوني: سيارة جيدة بتكييف لأقودها، إذن، بسيارةٍ كهذه، هل يهمني حقًا ما إذا كان هذا هو بيت الطيّار الذي رأيته يموت؟ ما الأهمية في أنني تركت جثته تسير مع النهر؟ لم أقتل أحدًا، "**حَوِّلْ**". حتى لو كنت سحبت الشاب من الطائرة وحملته على ظهري إلى المدينة، لم يكن ليتغير أي شيء، كان سيموت على أي حال، سنموت جميعًا يومًا ما، ليس مهمًا هل يُهِم حقًا أنني

Twitter: @ketab_n

سرقت الكوكايين؟ "من كان منكم بلا خطيئة فليرمني بحجر". الشاب هو من أحضره، "**حَوِّلْ**". كلنا سرقنا شيئًا ما في وقت ما بطريقة أو أخرى، جميعنا تقريبًا فعلناها على الأقل مرة، أو في طريقنا لفعلها، "البرازيل" ممتلئة بالحقراء، هذا شيءٌ مؤكد.

في المساء، أصبحتُ أكثر هدوءًا، أخذتُ حمَّامًا باردًا، أخرجت المخدرات من السندرة، وبدأت العمل. كنت قد قررت بيع المسحوق، وصنع ثروة صغيرة، وهذا ما سيكون. سأبيع كل شيء بمفردي، من دون مخاطرة، لأنه هكذا يؤذي الناس أنفسهم. فما تبدأ فعله كشيء مؤقت، تدريجيًا يتحوَّل إلى عادة دائمة. فعندما تبدأ بكسب المال يشعر شخص ما بأنه قد تم خداعه. شخص مدين لك أو تصبح أنت ملكًا له، أو هو ببساطة يحسدك، أو أحد الجيران الفضوليين، أو عدو مؤقت. أولئك الذين يظهرون من العدم دون أن تلاحظهم حتى. شخص ما عاملته بطريقة سيئة، يتصل بالشرطة ويبلغ عنك، الشيء نفسه قالته "سولاميتا": "اصطياد المجرمين ليس له أدنى علاقة بكفاءة ضباط المباحث، هم حتى لا يفعلون شيئًا، فببساطة هناك شخص يرى شيئًا ثم يبلغ الشرطة. الناس تتصل بنا، يعطوننا أسماء وعناوين مُرَوجي المخدرات. يعطونا كل شيء". قالت إنه في تجارة المخدرات هناك شيء واحد فقط مضمون وهو أن أحدهم سيشي بك. أنت تنتظر دورك في الطابور ليتم القبض عليك. الأمر شبيه لامتلاكك درّاجة نارية، فيومًا ما ستتعرض لحادث. ربما لن تموت، ولكنك ستسقط، هكذا تجري الأمور، لهذا قررت ألا أتحمس للربح السهل، وألا

Twitter: @ketab_n

أشتري المزيد من الكوكايين، هذه الحقيبة ما هي إلا هدية.. ولا شيء أكثر من ذلك، هدية من جثة. كان هذا الجزء الأكثر تعقيدًا. أعتقد أنني محظوظ بعثوري على هذه الجثة، فقد وجدت حقيبة المخدرات هذه وبدأت العمل كسائق في هذا القصر. الأشياء الجيدة التي حدثت لي حتى تلك اللحظة؛ المخدرات، والوظيفة، كلاهما له علاقة بالميت. هل كل هذا بمحض الصدفة؟ أيًّا ما كان، سيكون عدم استغلال هذه الفرصة خطيئة لا تُغتفر، وهو شيء تعلمته من حياتي كمندوب مبيعات.

ساعدني العمل في وزن ولف المسحوق على ترتيب أفكاري، وضعتُ جرامًا في كل ظرف وختمته بالنجمة الحمراء. شاهدتُ ذلك في فيلم، وأدهشتني كاستراتيجية فعَّالة. سوف يربط زبائني على الفور بين النجمة والكوكايين النظيف من مسحوق الرخام أو الزجاج، أو بودرة التلك، أو المقويات، وسوف أبيع بأسعار رخيصة أيضًا، هكذا منطق التجارة - أفضل وأرخص.

بمجرد أن توقف الهندي عن الضجيج، أعدتُ فتح النافذة. وعلى الناصية وصل سنَّان السكاكين وأدواته معلقة على دراجة قديمة، تجمعت ثلاث ربات بيوت من حوله، يحملن مظلاتهن الملونة، طارت شرارة من الرحى بطنين اخترق رأسي كالإبرة أو النحلة.

وبعد ذلك بقليل، عاد الأطفال من المدارس في جماعات. أغلق "موسيير" متجر الدراجات. توقف رجال في طريقهم إلى البيت عند حانة

Twitter: @ketab_n

على الناصية، امتلأ الشارع سريعًا بالصغار يضحكون ويركضون في مجموعات، ويلعبون كرة القدم.

أشعلتُ سيجارة وشاهدتُ غروب الشمس خلف المنزل. أصبحت درجة الحرارة محتملة.

في الثامنة إلا الربع ظهر "موسيير" على الرصيف وسألني إذا كان يمكنه التحدث إليّ، أومأتُ إليه ليصعد.

كان قد اغتسل، إلا أن الشحم صار جزءًا من جلده. كان عرقه ثقيلًا، وزيتيًّا، وشعره كتلة لامعة، وساقاه نحيلتان وكتفاه غائران. لم يبدُ كابن لزعيم قبيلة. كان لينته أمره إذا ما أُجبر على اصطياد الفهود كأسلافه. ربما لم يكن يعرف كيفية الرقص في دائرة على صوت الكمان خماسي الأوتار، والأشياء التي أحبت "سيرافينا" حكيها لي بالتفصيل. الآن في أيام الآحاد، يظل جالسًا أمام التليفزيون، ويعتني بالأطفال في انتظار عودة زوجته "إليانا" من الخدمة الإنجيلية، يُقال في الحي إنها ذهبت للقاء "ألسيو" الجزار، وتسأل "سيرافينا":

– من أين يمكنها الحصول على اللحم دون مال؟

كان "موسيير" مُحرجًا قليلًا، أراد أن يعرف إذا كان بإمكاني دفع الإيجار مبكرًا، مُتعللًا بحاجته إلى شراء أدوية لأمه وأطفاله، فالصيدلية هي المكان الذي يبتلع أموال الفقراء بلا رحمة.

Twitter: @ketab_n

أخذتُ جزءًا من المال الذي كنت قد حصلت عليه من رهن الساعة ودفعت إيجار الشهر المقبل. سألتُ بعض الأسئلة، ودون أن أسمع أي شيء مما قاله بدأتُ أفكر فيما إذا كان "موسيير" هو الشخص الذي أبحث عنه. كنت أبحث عن وسيط لي لبيع المخدرات؛ فهو يعيش في المنطقة منذ فترة طويلة، ويعرف الكثيرين، ومعرفتنا ببعضنا البعض ستسمح لي بالسيطرة على الوضع.

سألته إذا ما كان يريد عملًا إضافيًّا، مكسبه سهلًا، فقال مقهقهًا:

- إذا كان سهلًا بالفعل.

ظننتُ أنني ينبغي أن استخدم كل فصاحة مندوبي المبيعات عبر التليفون كي أقنع الهندي، لكنني عندما فتحت درج الكومودينو المجاور لسريري وأخرجتُ الخمسين مظروفًا، كان "موسيير" قد اقتنع بالفكرة على الفور. وبدأ في الثرثرة قائلًا إنه هو نفسه فكر في الذهاب إلى "بويرتو سواريز" والبدء بتجارته الخاصة، وأنه ستكون خسارة كبيرة أن تكون "بوليفيا" كما يقولون "في الشارع اللي ورانا" ولا نستغل الأمر، كما أخبرني بأنه يعرف رجلًا هناك يُدعى "خوان"، يُعبئ الكبسولات وهو أيضًا صديق للزعيم الكبير"راميريز"، و"ويلسو" الذي هَرَّبَ نصف كيلو إلى "أراراكورا" في معدته؛ حيث "ابتلع المخدرات" التي تم إحضارها في "كتلة العجين"، وأُعتقل "ويلسو" بعد ذلك، وهذه هي المشكلة، لأنه شرب وتحدث كثيرًا، وعندما سألني ما إذا كانت "سولاميتا" ستساعدنا، أجبته نعم ولا، ولا ونعم، راوغته. أخبرته بأنه عليه أن يكون حذرًا:

- لا تقل لها شيئًا، أترك "سولاميتا" لي.

Twitter: @ketab_n

قبل مغادرته، حذرته مجددًا بأن يلزم جانب الحذر.

لاحقًا، غيَّرت رأيي وذهبت في أعقابه لإلغاء هذه الشراكة، لكنه لم يكن بالمنزل.

اتصلت بي "سولاميتا" عندما عدتُ إلى المنزل. أخبرتني بالعثور على الطائرة في نهر "باراجواي"، وأنها و"جويل" شاركا في الإنقاذ.

كان عليّ أن أظل صامتًا، أن أنتظر فقط، لكنني أخذت شاحنتي وغادرت، كنت قد تعلمت شيئًا: أن الانتظار سيجعلك نهبًا لوساوس الشيطان، "**حَوِّلْ**".

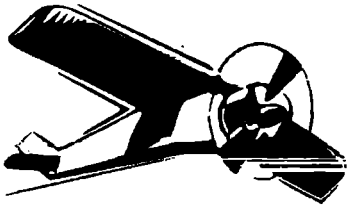

Twitter: @ketab_n

9

تركت طريق "26A" السريع في اتجاه "كنسا هيل"، وبدأ امتداد الطريق الترابي. الجو لطيف وهادئ، ورائحة زهور الغابة منتشرة في كل مكان. وفي الراديو الشيء القديم نفسه: الموسيقى وهراء، كان "لوسين" و"جوسياس" قد أصابهما السُكْر ويدخنان الحشيش طوال فترة بعد ظهر السبت. وبعد أن تم القبض على "يوشيا"، اعترف بأنه تلقى أمرًا شيطانيًّا من السماء بتقطيع أوصال الفتاة بمجرد نومها. ولأنه استغرق وقتًا طويلًا في فعل هذا، قرر "جوسياس" أن يخنقها قبل تقطيعها، ثم ألقى أجزاء الفتاة في بحيرة "ديب كريك".

فتحتُ النافذة وكررت، حتى الآن يسير كل شيء بطريقة جيدة، "**حوِّلْ**"، لست "يوشيا". لم أقطِّع أوصال أحد، لا أعرف "لوسين"، ولا أسبح في بحيرة "ديب كريك"، "**حوِّلْ**".

Twitter: @ketab_n

عند الكوبري الأول، مرت بي سيارة شرطة تتبعها سيارة إسعاف، كنت أعرف جيدًا إلى أين تتوجهان، وشعرت براحة مؤكدة. وشعرت بالخوف أيضًا.

تجاوزتُ محطة البنزين ووقفت بالقرب من المطعم. إن كانت هذه حقًّا حفلة، فأنا أول الواصلين.

في العنبر الضيق المُهدم لم يكن هناك مساحة تكفي عشرة ترابيزات. كان المكان مزينًا برسوم لطيور "اللقلق"، وحيوان "التابير"، والببغاوات، والنوارس، ومالك الحزين، والغربان التي رسمها "كارلو" بنفسه، والتي سمَّيتها بعرض "بانتنال" المرعب. كان المكان مطعمًا في السابق، ولكنه الآن يُستخدم لبيع الحلي للسياح لأن "ريتا" ليست طباخة ماهرة مثل زوجة "كارلو" السابقة.

كان المطبخ في الخلف ويطل على فناء كبير مفتوح. تخيلت أن "ريتا" و"كارلو" قررا عمل الحفلة في الخارج بسبب الحرارة.

وجدت "ريتا" وحدها، جالسة على كرسي، تدخن وتشرب. كانت ترتدي ثوبًا أخضر فاتحًا رفعت طرفه ولَفَّتُهُ في حجرها كاشفة عن ساقيها المتناسقتين الجميلتين. وكان شعرها معقوصًا لأعلى مما جعله يبدو كالعش.

قالت:

Twitter: @ketab_n

- أنت أول الحاضرين، ولهذا فقد فزت بتذكرة ذهاب بلا عودة إلى أي مكان بعيد عن "كورومبا".

جلست على الكرسي المجاور لها، وعلى الفور وضعت قدميها ذواتي الأظافر الحمراء على ساقي. كانت ثملة.

سألتها عن "كارلو" فأجابتني:

- ذهب لإحضار البيرة. ستكون حفلة كبيرة، لقد دعوت فرقة من عازفي الجيتار، هل ترغب في الرقص؟

قلت:

- لا.

قالت:

- سأحاول تعليمك، ولكنه ليس سهلًا، يجب أن تسمح لي بتوجيهك.

- ماذا عن الضيوف الآخرين؟

- سيصلون مع وصول الطعام. طلبت كل شيء. كعكة ضخمة في طبقات مثل التي كانت تصنعها أمك. وأنت، أنت رجل فظ، لم تُهنئني بعد. هل تستطيع تخمين عمري؟

- عيد ميلاد سعيد.

- كم عمري؟

- ماذا؟

Twitter: @ketab_n

- كم عمري؟

- لا أعرف. أنت لستِ كبيرة في السن.

- خمِّن!

قالتها وهي تضغط بقدمها على فخذي اليمنى.

- اثنان وعشرون.

- تقريبًا، لن أكون دقيقة، لأنني لا أريدك أن تعرف كم سيكون عمري بعد عشر سنوات من الآن.

أبعدت ساقيها عن حجري ثم وضعتهما ثانيةً، قائلة:

- لن أكبر أبدًا، لأنني أضع الكريم على وجهي دائمًا، وإذا أصبحت قبيحة في الأربعين سوف أقتل نفسي، أفضل الموت شابة على أن تملأ وجهي التجاعيد، هل تراني جميلة؟

- نعم، أين "كارلو"؟

- أنا صاحبة عيد الميلاد، وليس "كارلو"، هذا يومي.

نهضت وسحبتني من يدي، قائلة:

- دعنا نشرب بيرة قبل أن تبدأ الحفلة.

في المطبخ، فتحت الثلاجة، وأخرجت عبوتين وأعطتني واحدة، ثم أحاطت عنقي بذراعيها. شعرت بالعلبة الباردة في مؤخرة رأسي، وسرت القشعريرة إلى عمودي الفقري.

Twitter: @ketab_n

سألتني:

- ماذا نفعل هنا؟

قلت:

- الحفلة، الكعكة، والرقص، إلخ.

- أتحدث عن مستقبلنا، خطة لحياتنا، مشروع، لماذا لا نهرب من هنا؟

- لقد تأخر "كارلو" كثيرًا.

- لا تقل إنك تخطط للزواج من تلك الشرطية الفاسدة التي لا تكاد تعرفها.

- ليست فاسدة.

- لكنها شرطية، وجميع رجال الشرطة فاسدون. دعنا نقر الحقيقة، كانت الإجازة عظيمة. فأنت تخلصت من فزعك، وأنا قضيتُ أوقاتًا طيبة في "بانتنال". كانت الأمور لطيفة مع "كارلو"، أعني، حتى قابلتك كانت لطيفة، لكن "كارلو" عجوز.

بدأت في الضحك قائلًا:

- "كارلو" يكبرني بثلاث سنوات فقط.

- إنها تلك السنوات الثلاث بالضبط التي تفسد كل شيء، إنها نفس الفرق بين امرأة في السابعة والثلاثين وامرأة في الأربعين، فهمت؟ فرق جوهري. لست منجذبة له بعد الآن. كانت الأمور لطيفة وكل شيء، ولكنني اكتفيت. "كورومبا" ليست بالمكان الذي تستطيع الحياة فيه. أنت من

Twitter: @ketab_n

"ساو باولو"، وأنا لست من هنا أيضًا. هذا المكان ليس لنا. أعلم جيدًا أنك مجنون بي. منذ اليوم الذي وطئت فيه قدماك المكان، رأيت نظراتك لي، وأعرف سبب رحيلك من هنا، إنك لا تريد جرح "كارلو"، ولكن تذكر كلماتي، يجب أن نكون معًا.

وعندئذٍ فقط أخبرتني أن "كارلو" ذهب إلى "كامبو جراندي"، وأنه لا توجد حفلة على الإطلاق، وأنه ليس عيد ميلادها.

كانت تضحك وتقبّلني. حتى ذلك اليوم، يمكنني القول بصراحة إنني حاولت المقاومة. بعدما اشتعلت الأمور بيننا اختفيت. وعندما كانت تتصل بي لم أرد، وإذا أجبت التليفون أُغلِق الخط في وجهها، وعندما بدأت أفكر في "ريتا" تذكرت اليوم الذي دعاني فيه "كارلو" إلى مكتبه ليريني مسدسه، قائلًا إن هذه هي الطريقة التي تُحل بها المشاكل هنا.

إذا كنا داخل فيلم، كنا سنصل للمشهد الذي تريد أن تصيح في الشخصية الرئيسية قائلًا لها أن تهرب. إنه مشهد حرج: الشخصية تقرع باب البيت المشؤوم متسائلة هل من أحد هنا؟ لا أحد يجيب، ولكن البطل يدخل على أي حال. في الداخل يوجد قاتل أو جثة هامدة أو كلاهما. في الفيلم يدخل البطل المنزل والباقي أنت تعرفه بالفعل. الكثير من الدماء. أدرينالين نقي.

في الحياة الحقيقية، أنت لا تدخل، لكنك - على سبيل التعويض - تفعل أشياء أسوأ. تسرق ممتلكات جثة. تستأجر هنديًّا فاشلًا كي يبيع لك المصيبة

Twitter: @ketab_n

التي سرقتها من الجثة. تنام مع زوجة ابن عمك. تفعل ذلك لاعتقادك أنه في استطاعتك فعل الخطأ مرة واحدة فقط، ثم مرة أخرى فقط، وأخرى، وأخرى، وخطأ صغير آخر فقط، ثم تعود وتستمر في طريقك، أو فيلمك، لأن دورة الحياة مستمرة هناك، ساكنة، في انتظار خطئك وعودتك لاحقًا.

قبل أن أدرك ما يحدث، كنا على الأرض، هي تنخر، وأنا أتعرق، وكلانا في حالة هياج خرقاء مثل الكلاب التي رأيتها تمارس الجنس في الفناء الخالي المجاور لمنزلي. لم نتمكن من خلع ملابسنا، فمارسنا الجنس بها، وسروال "ريتا" الداخلي يحتك بقضيبي. الحرارة والخوف من انكشافنا زادت من رغبتي، فتركتها تسيطر. العاهرة كانت تعتليني، لعقت وجهي قائلة:

- العق وجهي، عضني، امتصني، أدخله فيّ، أدخله أعمق.

وبمجرد أن أوشكت على الإنزال بدأت تناديني "بوبي"، وبدا كما لو كان للكلمة قوة تسحبني بعيدًا وتجعلني أستوعب ما يحدث، قالت:

- ستكون تحت قدمي يا بوبي، ستطيعني، ستكون عبدي.

سيطر عليّ الرعب وهي تكرر:

- "بوبي".

وكررت "تغلبت على الخوف يا بوبي"، كاسرة بذلك الإيقاع، لم تسمح لي بالإنزال، وحينئذٍ فقط أدركت ما كان يحدث، وقررت وضع الأمور في نصابها، أنزلتها عني، ووضعتها على الأرض، فَتحتْ ساقيها، ولكنني لم أغص في ذلك الشق، بدلًا من ذلك أمسكت رأسها بين فخذي، وفعلت الباقي بنفسي، باستخدام يدي، حتى أنزلت، وتركتها مستلقية هناك، ووجهها ملطخ بالمني.

Twitter: @ketab_n

10

شربت فنجانين من القهوة.

عندما دخلت المخزن، قالت "دالفا" لا تبدو سعيدًا جدًّا.

كنت متأخرًا، ولكن لم يبدِ أحد أي اهتمام. كان الجو في المنزل على عكس اليوم السابق تمامًا. هناك كثيرون في الحديقة. أصدقاء، وسياسيون، وصحفيون. وظل الخدم يدخلون ويخرجون بصواني القهوة والعصير من المطبخ دون توقف. كان بإمكاننا سماع ضحكات قليلة إذا ما ركزنا انتباهنا، سألتني "دالفا":

- هل سمعت؟

كنت أعرف مسبقًا كل شيء وكررت لنفسي: الأمور حتى الآن جيدة جدًّا، "**حوِّلْ**"، كل شيء تحت السيطرة.

قبل ساعات استيقظت دهشًا داخل الشاحنة، و"سولاميتا" تتكئ على نافذتي.

Twitter: @ketab_n

سألتني:

- ماذا تفعل هنا؟

وقبّلتني، كنت قد ركنت أمام منزلها، منتظرًا عودتها من مهمة الإنقاذ.

جاء الصباح، وذهبنا إلى الفرن المحلي، ويدانا متشابكتان. كان سروال "سولاميتا" ملطخًا بالطين، ومبللًا حتى ركبتيها. على الفور بدأت الحديث عن وظيفتي الجديدة مؤكدًا على اسم العائلة حتى يمكنها الربط الذي لا مفر منه، وعندما حدث ذلك، غالبني شعور بعدم الارتياح كما لو كنت عالقًا في الوحل، قالت:

- يا لها من مصادفة.

لاحقًا، وبينما نتناول القهوة، أخبرتني أن الطائرة عَلَقَتْ في الحواجز الرملية، ومقصورتها خارجة من المياه، ولكنهم نجحوا في إخراجها. هناك احتمال بأن الطيّار لا يزال على قيد الحياة.

اعتقدت أنني لم أسمع جيدًا.

فكررتْ:

- لم يكن هناك.

سألتها:

Twitter: @ketab_n

- من؟

- الطيار.

- لم يكن في الطائرة؟

- حزام أمانه كان مفكوكًا، وبابا الطائرة مفتوحان.

وقالت إن هناك نظرية تقول إن الشاب فقد ذاكرته ويتجول في الغابة، أو أصيب بجروح خطيرة، وموجود في مكان ما في المنطقة المحيطة. هناك فريقان يمشطان "بانتانال" في تلك اللحظة، واحد عن طريق البر، والآخر عن طريق الجو.

قالت أيضًا إن جميع المحققين تم تكليفهم بتسريع عملية البحث. عندما يكون لدينا مثل هذه الحالة، فإن ما يحدث هو دائمًا القصة القديمة نفسها: المحافظ يضغط على الوزير، والوزير يضغط على المدير الذي بدوره يضغط على رئيس القسم الذي يضغط على رئيس مركز الشرطة، وبعدها ينتشر الأمر بين أصحاب المراكز العليا.

لاحقًا بالمنزل، كنت أستحم، واضطررت إلى تكرار القول لنفسي بصوت عالٍ إنه لا يمكن توريطي فيما حدث. لا يمكنهم اتهامي أو اعتقالي، لم أفعل شيئًا سوى السرقة. لقد فحصت نبض الشاب مرتين، كوكايين عالي الجودة، "**حوِّلْ**". راجعت كل شيء، كل تفصيلة، ونظمت أفكاري. لم يكن صعبًا تخيل ما حدث بعد أن غادرت مكان الحادث. أخطأت عندما حللت حزام أمان الطيار ولم أغلق الأبواب. كان سهوًا من

Twitter: @ketab_n

جانبي. مات، "**حوِّلْ**". لم يكن مقيدًا. حمله التيار. تعفّن، "**حوِّلْ**"، إنها مسألة وقت، سيجدون جثته عالقة في منحنى من منحنيات النهر. قرأت أن البكتيريا تعمل بسرعة في حالات الوفاة. هذه الفكرة عذبتني أيضًا: الجثة عائمة، وجهها في الطين، وبطنها منتفخة، والذباب يطن حولها.

من ناحية أخرى، كان هناك قدر من الراحة في ذلك، قلت لنفسي حتى الآن كل شيء على ما يرام، لستُ جثة، ولم أتعفن، أو أطفو، "**حوِّلْ**".

قضيت بقية الصباح في الجراج أستمع إلى الأخبار في الراديو. كانوا يتحدثون عن الموضوع بلا توقف. قالوا أشياءَ كثيرة، منها إن المنطقة مفتوحة مما يساعد على تمشيطها أسرع، وإن الطيار سيتم العثور عليه في الساعات القليلة المقبلة، وإنه كان حاصلًا على الحزام الأسود في الجودو، ويتمتع بحالة بدنية ممتازة، وفاز بآخر مسابقة فروسية في "ريو دي جانيرو". وهو من عائلة غنية. كرروا ذلك كثيرًا، الثروة. فكرت أن كل هذه الأموال لن تحميك من نهاية كتلك، في المستنقع. وقالوا أيضًا إن "جونيور" كان شابًّا محبوبًا، وسيمًا، طيبًا، إلا أنهم لم يذكروا أنّه يحب تعاطي الكوكايين. من المدهش كيف تحوِّل مأساة شخصًا عاديًّا إلى بطل؟

كان اليوم نفسه الذي رأيتها لأول مرة. "دونا لو"، هكذا يناديها الجميع. "لو" اختصارًا لـ"لورديس"، كانت دون الخمسين، مكتنزة، وتبدو كما لو كانت مصنوعة من مادة سهلة الكسر. كانت نوعًا من الأشخاص الذين - لو كنت لاعبًا - لدفعت لها كي تلعب في فريقي. فهي تنظر إلى عينيك عندما تحدثك من دون تكلف بطريقة أنثوية للغاية. لا أعرف كيفية التعامل مع هذا

Twitter: @ketab_n

النوع، الذي نتج بالتأكيد عن تزاوج الثروة باللطف، والجمال مع اللطف، والثروة مع الجمال، أو حتى اللطف أو الجمال النقي فقط، فتَّاكة. تقضي عليك. تحولك إلى تراب، هذه هي الحقيقة.

وقفت "دونا لو" بجانب السيارة، تنتظر أن أفتح لها الباب. وسرعان ما سيطرت الرائحة الغامضة للسيدة الغنية على كل شيء. استغرق الأمر مني بعض الوقت لفهم أن مهامي تشمل أيضًا فتح الأبواب.

طلبت مني توصيلها إلى الكنيسة. في الطريق سألتني عدة أسئلة: إذا كنت متزوجًا، إذا كان لديّ أطفال، وأسرة، وإذا كنت أحب "كورومبا". قالت إنني فأل خير لعائلتها، وإن الشرطة تعتقد أن ابنها لا يزال على قيد الحياة، وأنها متأكدة من ذلك، مضيفة: إنني سوف أحبه.

كما سألتني إذا ما كنت متدينًا، تذكرت أنني قرأت أن الناس يفضلون المشاهير عن "سانتا كلوز"، ففي رأيي الممثلات مثيرات للاهتمام أكثر من القديسين، إذا خيروني ما بين "مادونا" ومريم العذراء، سأختار "مادونا"، ولكنك لا تستطيع قول ذلك في استطلاع رأي أو إلى "دونا لو".

لم يكن هناك أحد في الكنيسة، البرودة والضوء الخافت وهي فقط، على ركبتيها تصلي، شعرت بالحزن عليها، وددت لو أقصر عليها المسار الذي ستتبعه، تمنيت لو أخبرتها بأن الصبي قد مات. أن آخذها لترى جثته، حتى يمكنها دفنه بصورة لائقة، بجنازة وزهور، إذا ما أمكنها البكاء عند قبره فلن

Twitter: @ketab_n

تبقي على اشتعال نيران البيت لفترة طويلة – مثل أمي- الموت العنيف ليس أصعب شيء، الأسوأ منه هو الغموض، والشك الذي يدمرنا.

عدنا إلى البيت صامتين، وفي المرآة رأيتها تبكي في هدوء، ما دمرني أنها ذكرتني ببكاء أمي، والدموع التي تتساقط في بياض البيض المخفوق، فكرت في العرائس السعيدات اللاتي تناولن كعكات أمي الممزوجة بدموعها في حفلات الزفاف.

في تلك الليلة، مررت على "سولاميتا" في مركز الشرطة، كان هناك حفل وداع لها، لأنه آخر يوم لها في العمل، وغدًا ستنتقل إلى قسم الطب الشرعي، كرئيس للمشرحة.

كانوا يشربون البيرة جالسين على الترابيزات.

سألوني:

- هل تعرف ماذا سيكون عملها؟

- ليس لدي أدنى فكرة.

ضحكوا محاولين مضايقتي.

قالوا ضاحكين إن "سولاميتا" ستتحدث مع الجثث، الآن الموضوع جد، الجثة هي الصندوق الأسود للطائرة، كل شيء مسجل في تلك القطعة الكبيرة من اللحم، وعليك فقط أن تجلس وتعرف كيفية الاستماع إليها، المتوفى، أو الموتى يتكلمون حقًا، ويقولون كل شيء، من فعل هذا، وكيف، وأضافوا أن

هذه هي الطريقة لحل لغز الجريمة، وأضاف أحدهم، أفضل أساتذتي كانوا السفاحين العظام، والجزء الصعب، على حد قولهم، هو تحمل الرائحة.

أشار شاب رفيع الساقين، ذو كرش ضخم، لم أره هناك من قبل، إلى التحقيق الذي ذهب فيه أحد الضباط الجدد - الذي توفي لاحقًا بنوبة قلبية - إلى الحمام في منزل الضحية، وأحضر عطرًا ونشره في أنحاء المكان، ولكم أن تتخيلوا رائحة تعفن جثة بالعطور، فقهقهوا، وقال رئيس المركز المدعو "بيدرو كاليرو"، تلك الرائحة النفاذة للجيفة مع العطر – كنت على وشك قتل "راؤول" الغبي. كنا غارقين في عرقنا كالخنازير، قهقهوا، خصوصًا "دودو"، مساعد الرئيس، وهو رجل أشقر بعيون زرقاء ووجه كلب. "وايمري" العجوز كان هو من اقترح على "سولاميتا" استخدام مرهم "فيكس"، كانت ليلة ساخنة، وخانقة، شردت عمّا يقولونه، بينما صورة "دونا لو" وهي تبكي خلف نظاراتها الشمسية لا تفارق مخيلتي.

سألتْ "سولاميتا":

- ما الأمر؟

أجبتها:

- لا بد أنني شربتُ كثيرًا.

وخرجت للتقيؤ في الممر، حيث بضعة إطارات وغيرها من القمامة تغلق المخرج.

أحضرت "سولاميتا" كوبًا من الصودا، وجلست بجواري، أمسكت بيدي قائلة:

Twitter: @ketab_n

- هل تشعر بأي تحسن؟

قلت:

- نعم.

قالت إن عائلتها تود مقابلتي:

- أمي تدعوك إلى العشاء معنا يوم الأحد.

استأذنتها في الرحيل.

كانت "سولاميتا" تحنو عليّ، وقالت:

- سأوصلك إلى السيارة.

- وبينما كنت على وشك المغادرة، سمعت "جويل" يسألها إن كان بإمكانها توصيله إلى "ترانكيرا"؟

- بالطبع يا عزيزي.

في البيت، ظللت أتقلب في الفراش، ناظرًا إلى الساعة، عاجزًا عن النوم، صورة الجثة طافية في النهر لم تترك مخيلتي.

في الثالثة فجرًا نهضت، ذهبت إلى تليفون عمومي على الناصية، اتصلت بأسرة "بيرابا".

قلت لمن رد عليّ:

- لديّ معلومات مهمة.

- من المتحدث؟

Twitter: @ketab_n

تعرفتُ على صوت "خوسيه بيرابا"، فقلت:

– ابنك مات.

وأغلقت التليفون.

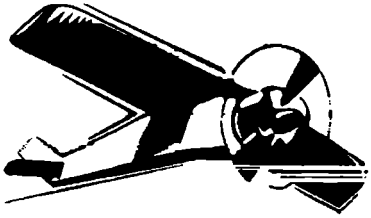

Twitter: @ketab_n .

11

أولًا فَجَّر "برايان" دماغه، وبعدها بعشرة أيام شنق "روبي" نفسه، ثم شرب "جوستين" سم فئران، وبعدها بثلاثة أيام فعل "ماكس" مثل "برايان"، و"روبي"، و"جوستين". قلت لنفسي إن الناس في هذه المنطقة - "تكساس" أو "ويسكونسن" لست متأكدًا بالضبط - لا بد أنهم يتساءلون عندما يستيقظون كل صباح من الذي سوف يشنق نفسه اليوم، ومن الذي سوف يقفز من الطابق العاشر؟

استنتج الخبراء أنها ليست مصادفة. لا أعرف أين قرأت هذه القصة، ولكن النظرية هي أن ما يحدث وباء منتشر. يقتل أحدهم نفسه وينتشر الخبر كالإنفلونزا. فيروس قوي، ويظهر في كل الصحف، وقنوات التليفزيون، والإذاعة، وأولئك القتلى، الذين كانوا قبل ساعات مجرد طالب خجول، أو أرمل، أو بائع أجهزة مسالم، أو ابن أحد المهاجرين الصينيين، يتحولون دون موهبة أو جاذبية إلى مشاهير مثل ممثلي الأفلام أو لاعبي البيسبول، شهرة سوداء بحق، النجومية معدية.

Twitter: @ketab_n

الآخرون، الذين لا يقتلون أنفسهم، يدعمون الموت وينظّمون المشهد، وذلك جزء من المرض أيضًا، إنهم ينقلون الإشاعات، والتعليقات، ويشوهون أنفسهم حقًّا، يلتهمون الصحف، ويعيشون عليها، الجنازة حدث كبير في وجود رئيس البلدية، الذي يؤبن المنتحر بجميل الكلمات، بينما يصطف تلاميذ المدارس في إنشاد ترنيمة، وتُعلَن فترة الحداد ويُنكس علم الفريق، إنها مثل الحصول على جائزة أوسكار محلية، إنها جائزة وتكريم، أنت قتلت نفسك، وفي المقابل تصبح مشهورًا في بلدتك الصغيرة لعدة أيام، ثم أحيانًا يشنق شخص آخر نفسه لاحقًا، ثم آخر، فآخر، في حلقة مفرغة تنعش – وياللعجب- الحياة في تلك المدن الميتة المعروفة بأسماء مثل "فروست بروف".

ويقول علماء الاجتماع إنه وباء، ولا ينفع معه غسل اليدين، أو التطهر بالكحول، أو ارتداء الأقنعة، الطريقة الوحيدة كي لا تفجر دماغك هي أن تغلق التليفزيون، والراديو، وألّا تقرأ الصحف، وأن تغادر المدينة.

شعرت أنني لوّثتُ نفسي، في رأيي ما كنّا نعاني منه في "كورومبا" هو وباء من نوع مختلف، لكنه بنفس الخبث، في كل الصحف، ومحطات الإذاعة والتلفزيون، كان الموضوع الحصري هو حادث الطيار، لكن الفرق أنه لم ينتحر، كان من المحزن رؤية "دونا لو"، وقد فقدت الكثير من وزنها، كنت أحملها - حرفيًّا - إلى السيارة عندما نذهب إلى الكنيسة، وفي تلك المناسبات، يلتف حولها المستغلون، لا يريدون منها إلا التوقيع لهم، هل تضررتِ بشدة؟ هذا هو كل ما يريدون معرفته، إلى أي مدى تتألمين لاختفاء ابنك؟ ذئاب

Twitter: @ketab_n

يطاردون اللحم الحي، ويحبون الشفقة على امرأة غنية وجذابة ومنهارة للغاية على الرغم من كونها غنية وجذابة، إنهم يشعرون بالرضا عن ذلك، تجعلهم مصيبة "دونا لو" يشعرون بالتعاطف، لكن في الواقع، ذلك عَرَض آخر من أعراض الوباء، الكرم المرضي الذي يتفشى في المجتمع بدلًا من الحمى والإسهال، ويظهر فجأة في أعراض الشفقة.

نظّم شباب المدينة أنفسهم وخرجوا بحثًا عن الطيّار، أصبح هناك صليب وزهور وشباب بالقرب من الطريق السريع القديم في موقع الحادث، كما انتشرت لافتات في جميع أنحاء المدينة.

وكانت الحراسة أسوأ شيء، أحيانًا أتمنى الوصول إلى العمل، وليس هناك طريق آخر للوصول إلى الجراج سوى المشي على الزهور والشموع، علينا جمع الباقات، وإلقاؤها في سلة المهملات لفتح الطريق، ولكنهم على الفور يحضرون مزيدًا من الزهور، والقمامة، ويتسببون في صعوبة الدخول مرة أخرى، في يوم الاثنين تناثرت أكياس البطاطس المقلية وعلب الكوكا كولا، وفي منطقة ركوب الخيل، حيث يعانى الناس قليلًا لكي يمتعوا أنفسهم كثيرًا بمصائب الآخرين، وبدلًا من الذهاب إلى الحديقة أو السينما يعانون على رصيفنا، يمشون متشابكي الأيدي وهم يصلّون ويغنون، ولاحقًا عندما يتعبون من تسلية أنفسهم بالبكاء يعودون إلى ديارهم، وهم راضون.

لا راحة، في النهار بل سخط، وفي الليل كوابيس دائمًا فيها كعكة من عدة أدوار مثل التي اعتادت أمي خبزها، وعلى رأسها بدلًا من العروس والعريس المبتسمين كان حطام طائرة يحلق حولها نسور ونوارس إلى ما

Twitter: @ketab_n

لا نهاية، لاحظتُ سحابة سوداء صغيرة من الطيور، وبينما كنت أستعد لطردهم بعيدًا، أدركت أنني أتحرك مع النسور، استيقظت وأنا أشعر بدوار الصعود أو السقوط، لا أتذكر حقًا.

لم يستمر الوباء طويلًا، ربما شهر، أو أكثر قليلًا، وعندما كنا في الذروة، والمدينة بأكملها مستمتعة بوقتها استمتاعًا كبيرًا، حدث ما لا مفر منه، انتهى الوباء. فهكذا يكون الوباء وفقًا لخبراء المناعة، يصل إلى الذروة ثم يبدأ في التراجع، يهبط، ويزول بالفعل.

تمامًا مثلما بدأنا نستشعر بعض السلام، هدأتْ "دونا لو"، لكنها لم تنسَ:

- كيف يمكن ألّا يعبر ابني، حبيبي، ابني الوحيد، حبي من خلال هذا الباب ثانيةً؟ أريد ابني.

وكررتها لزوجها كطفلة مدللة.

كان يمكننا سماع بكائها من المطبخ، ويأتي الأطباء ليخدروها، لكنها تستيقظ وتستكمل نحيبها، أحيانًا تستيقظ وتسألنا إذا كان ابنها قد استيقظ؟ وتناول فطوره؟ أحيانًا تدعوني لأشاهد ألبومات ابنها عندما كان طفلًا، نقضي الظهيرة هكذا، نشاهد صورًا من الماضي.

أذكر أنه في أحد الأيام عندما عدت من البنك الذي ذهبت إليه لسداد بعض الفواتير، بحثت عنها في المكتب لأعطيها الإيصالات، وجدتها ورأسها مسندٌ على المكتب، تجهش بالبكاء العنيف كطفل صغير، وعندما دخلت سألتني أين ابني؟ ثم في توّسل قالت أريد ابني، ناظرةً إلى عيني، بهذه

Twitter: @ketab_n

الطريقة التي تحدث بها الناس، بنظراتها الثاقبة الشجاعة، وعندما تجيبها، تستمع إليك باهتمام طفولي، وتصديق كما لو كان الآخرون غير قادرين على الكذب.

ما الذي يمكنني قوله في تلك اللحظة؟ إن ابنها كان غذاءً للأسماك المفترسة؟

صحيح إنني قلت ذلك بشكل مختلف، لكن ليس لها، بل لزوجها، إذا كانت ردت كنت سأغلق الخط، ولكن في مرتين، في منتصف الليل، من تليفون عمومي على ناصية عمارتي، عندما كنت متأكدًا من أنه على التليفون قلتُ مباشرةً: "ابنك مات".

أغلقتُ التليفون. أعتقد أن هذه المعلومة ستساعد، وأن معرفتهم لحقيقة أن ابنهم قد مات ستدفعهم للبحث عن الجثة في النهر أو حتى أن يبدأوا بتقبل فكرة أن ابنهم قد مات. الغريب أنهم لم يضعوا ما أخبرتهم به في الاعتبار. قالت "دالفا" صباح أحد الأيام:

- هناك رجل مجنون يواصل الاتصال، يا له من مختل عقليًا!

وهكذا أصبحت تحذيراتي مجرد كابوس آخر من كوابيس الأسرة. يسمعونني، لكنهم في اليوم التالي يستمرون في الاعتقاد أنهم سيعثرون على ابنهم. هم لم يريدوا تصديق أنّه سقط في نهر مليء بأسماك الـ"بيرانا". لم يفكروا في هذا الاحتمال. "البيرانا". إنهم يربون قطعان الماشية منذ عقود، ومعتادون على خسارة أعداد من العجول التي يأكلها سمك "البيرانا" في النهر ذاته الذي تحطمت فيه طائرة ابنهم، ولكنهم تناسوا هذه المعلومة.

Twitter: @ketab_n

بعد خمسة أسابيع من الحادث حصلت على أول راتب فأخذت "سولاميتا" لتناول البيتزا في مطعم بالقرب من "بلفيدير" في جبل "سانتو إيناسيو"، والتي يمكننا أن نرى منها امتداد نهر "باراجواي" من بعيد.

كانت الليلة حارة خانقة، فجلسنا على ترابيزة في الخارج للاستمتاع بالمنظر، كانت "سولاميتا" محبطة قليلًا، وشعرت أن ترددي في تلبية دعوة عائلتها التي كانت تصر عليها لعدة أسابيع هو السبب، وكنت قد أجلتها قليلًا بسبب "ريتا"، لا يعني هذا أنني لا أحب "سولاميتا"، ولكن "ريتا" شيء آخر تمامًا، إنها متدفقة وفائرة كشلال شمبانيا، كل شيء فيها خصب وقوي، ومفرط الأنوثة، ساقاها المكشوفتان دائمًا، ارتداؤها الخواتم والقلائد، والشباشب، ويداها اللتان تحركهما دائمًا أثناء الكلام، كنت مفتونًا بكل ذلك.

كان "كارلو" يعتقد أنها تعتني بالزبائن، واعتقدت "سولاميتا" أنني كنت أعمل في وقت الفراغ في بيت "بيرابا"، بينما كنت و"ريتا" نذهب إلى الفنادق الرخيصة، نملأ حوض الاستحمام ونبقى هناك، نمارس الحب ونهرب من الحرارة.

ذات يوم كنّا متعانقين في السرير بعد ممارسة الحب عندما سألتها لماذا لا تنهي علاقتها بـ"كارلو" ما دامت سيئة للغاية، أعتقد أنني كنت أفكر أيضًا في اتخاذ خطوة أكثر جدية مع "ريتا" التي ردت متسائلة:

Twitter: @ketab_n

- لماذا؟ لقد ترك "كارلو" زواجًا مستقرًا وابنتيه ليكون معي، والآن لأنني معك في علاقة جيدة، وأحبك أقول فقط وداعًا؟ هكذا؟ لا، لست من هذا النوع، أريد فعلها بطريقة صحيحة دون أن أجرح أي شخص.

بعد ذلك، فهمت طبيعة "ريتا"، وهدأتُ الأمور، في الحقيقة، رأيت أن الوقت قد حان لإنهاء هذه العلاقة، لكن ذلك لم يكن سهلًا، كنّا في علاقة مجنونة، كانت تعرف كيف تبقيني إلى جوارها، وبالطبع بدأنا نتعارك كثيرًا جدًّا، خصوصًا بسبب "سولاميتا" أو "كارلو"، لم أكن أحب فكرة خسارة "سولاميتا" وهو ما أغضب "ريتا".

كان "كارلو" ساخطًا عليّ، كان أحيانًا يتصل ثلاث مرات متوالية ليسأل أسئلة غبية. كان يحاول إيقاعي ليعرف حقيقة علاقتي بـ"ريتا"، قالت "ريتا":

- يفعل ذلك وكأنه زوجي.

كان هذا عندما اشتعلت الأمور، كنا نتعارك، تتصل بي فلا أرد، أو العكس، كنتُ أتوسل فتتركني، وتتوسل فأتركها، كلانا قال نعم ولا، كنّا نتصالح ثم نتشاجر ثانيةً، ونعود، فنهين بعضنا البعض ثم نتصالح مرة أخرى.

اشتعلت علاقتنا حقًّا في أحد أيام الخميس عندما خرجت لاحتساء البيرة مع "كارلو" وأخبرني أنّه يريد إنجاب طفل من "ريتا"، فشعرت بالضيق، لذا في ذلك السبت في مطعم البيتزا، ودرجة الحرارة جهنمية، من

دون أي أثر لنسيم طري، قلت لـ"سولاميتا" أخيرًا إنها يمكنها أن تعد لعشائي مع عائلتها يوم الأحد، قبّلتني قائلة إنها تحبني، لكنني لاحظت أنها لا تزال حزينة.. حزينة ومُحِبَة.

استيقظت يوم الأحد عاقدًا العزم على العودة إلى نظام حياتي. اتصلتْ "ريتا" وحرصتُ على إخبارها بأنني سأقابل عائلة "سولاميتا" وقد أخطبها، ردت عليّ: "أنت سخيف"، وأغلقتْ الخط في وجهي قبل أن أقول لها إنها هي السخيفة بعد ما سمعته عن حملها.

بينما كنت أستعد للمغادرة، طرق "موسيير" الباب، كنت أحاول محادثته منذ أسبوع لمعرفة أي الأخبار، لماذا فقد تركيزه ولم يعد يفتح ورشته، وينام متأخرًا، ويترك الخردة وعلب من المحل مكومة عند مدخل البيت، حتى بدأ أطفال الحي في سرقته.

كان يسكر أيضًا، على الأقل هذا ما ظلت "سولاميتا" تخبرني به، ولكن ما أقلقني حقًا كانت "إليانا"، صحيح أننا بدأنا نجمع المال، لكن ليس كثيرًا، لأن استراتيجيتي كانت البيع بثمن بخس لتقويض المنافسة، لذا كانت الأموال يومية، لكن قليلة. يوميًا يدفع "موسيير" بضع ورقات فئة الخمسة والعشرة من تحت عقب باب غرفتي: كان يدفع نصيبه، وكان ذلك جيدًا لكلينا، يمكنني إنفاقها دون لفت الانتباه، أنفقتها على الفنادق الرخيصة والمطاعم مع "ريتا" و"سولاميتا" أيضًا، كما اشتريت خاتمًا لـ"سولاميتا" لآخذه معي إلى العشاء، كما اشتريت صينية لأمها، وسكين صيد لوالدها، أنفقت كل ما معي دون لفت الانتباه، في حين "موسيير" –

Twitter: @ketab_n

يا له من غبي - لا يفتح الورشة؟ و"إليانا" التي تتفسح بملابس جديدة، وكلاهما يبدو متأنقًا؟ لماذا صبغت شعرها أشقر؟ كي تلفت الأنظار؟

بينما كنت ذاهبًا إلى العمل يوم الجمعة، لاحظت أن جميع مَنْ في منزل "موسيير"، بما في ذلك "سيرافينا" يرتدون أحذية رياضية جديدة من نفس الموديل، سألت:

- ما هذا، فريق كرة قدم؟

وشرحت إلى "موسيير" أنّه يجذب انتباهًا غير مرغوب فيه، هل تعتقد أن الجيران في الحي لا يرون ذلك؟ كنت تمشي حافيًا ثم فجأة ترتدي أحذية جديدة ماركة "ريبوك"؟ هل تعتقد أن الناس لن تكتشف الإسراف؟

قال:

- سأكون حذرًا.

وأقسم أنه سوف يتحدث إلى "إليانا"، لكنني لاحظت أن رائحته تفوح بالكحول، فأصبحت أكثر قلقًا.

قلت:

- إنني جاد.

- أعلم، كم بقي لدينا من المخدرات؟

- أقل من مائتي جرام بقليل.

Twitter: @ketab_n

– هل هذا كل شيء؟ لن نحتاج إلى تعبئتها في كيس حتى. اتركها لي، لديّ مشترٍ كبير.

كانت الشمس حارقة عندما دخلت السيارة، والمناظر الطبيعية تومض كأنها مشاهد من فيلم سيئ.

Twitter: @ketab_n

12

هل سُرقت سيارتك؟ اذهب إلى "بويرتو سواريز" لتعرف ما إذا كانت هناك، هذا ما قرأت عنه في المدينة، الآن أقود في شوارع "بويرتو سواريز" الموحلة، على الرغم من أن شاحنتي لم تُسرق، كنتُ هناك بصحبة "موسيير" لنتفاوض.

منذ أن نفد الكوكايين رفض "موسيير" تركي وحدي، وتوقف عن الشرب، ورتب أموره، وبينما كان يطرق قطعه من الخردة القديمة في ورشته الحارّة القذرة، حاول إقناعي بلقاء صديقه البوليفي "راميريز"، أو بالأحرى، شبه صديقه، قال "موسيير":

- إنني صديق "خوان" الرجل البوليفي الذي يعمل عنده، خططهم مضمونة، كل ما عليك هو استخدام شاحنتك فقط.

كلما قاومت "موسيير" كلما حاول إقناعي أكثر، قال:

Twitter: @ketab_n

- بشاحنة مثل شاحنتك سنلعب بالفلوس لعب، أتعرف ما هي خطتي؟

كان يبدو مضحكًا ذلك الهندي وهو يتحدث عن المستقبل وسط دراجاته الصدئة، قلت له إن خطتي هي الهروب، والخروج من الجحيم، لكنه وعدني أننا سنجني الكثير من المال مع "راميريز":

- إنه مثلك، لا يريد مشاكل ويحب المال، بينكما كثير من الصفات المشتركة، أتعرف؟ سوف تصبحان صديقين، أنا متأكد من ذلك، "راميريز" لا يتعاون إلا مع أمثالك. إذا كان كل شيء على ما يرام واتفقنا، أتعرف ما الذي أريد أن أعمله بنصيبي؟ أفتح ورشة حقيقية، يكون فيها رافع هيدروليكي عملاق، هل تعرف الرافعة الهيدروليكية؟

- لرفع السيارات؟

- نعم، في وسط مدينة "كورومبا"، وأوظف اثنين من العمال يعملان معي، ونرتدي جميعًا زيًّا موحدًا، إذا ذهبت إلى "بويرتو سواريز" معي وقابلت "راميريز"، سترى كم هو سهل الحصول على المال.

بطبيعة الحال، لم آخذ كلامه على محمل الجد، وفي الواقع، كان رد فعل "سولاميتا" في اليوم التالي عندما اكتشفت ملابس "ريتا" الداخلية في غرفة نومي هو ما جعلني أُغَيِّر رأيي.

سألتني:

- لمن هذه؟

Twitter: @ketab_n

أجبتها متحفزًا على استعداد للدخول في مشادة كلامية، ولكنها لم تحدث:

- لا أعرف.

ما حدث بيننا حقيقةً كان غير متوقع، أولًا صمت رهيب، ثم سكون، ثم تجاهل، لم تقل "سولاميتا" شيئًا، وبدأتُ في تأليف حجج وهمية في حين جلستْ هي على حافة السرير، كانت تسيطر على نفسها، تعض على شفتيها وهي تسمعني أكرر أنني لا أعرف كيف جاءت هذه الملابس، وأكرر:

- قسمًا بالله لا أدري، لا بد أنهم الهنود، هؤلاء الأطفال الملاعين، يدخلون إلى المنازل، ويفتشون في كل شيء.

قاطعتني "سولاميتا" قائلةً إنه كلما جاءتها جثة في المشرحة لا يمكنها التوقف عن التفكير في أن قطعة اللحم هذه كانت قبل ساعات تتنفس، وقلبها ينبض، ودمها يتدفق. من الصعب التفكير في أن الجثة كان لديها خطط قبل وفاتها؛ رحلة، أو منزل، أو طفل، أو توبة، أيًّا ما كان، إنك تظن دائمًا أن بإمكانك تأجيل حلمك حتى الغد، "سوف أحققه غدًا"، ولكن قد تصيبك رصاصة في رأسك، أو تدهسك شاحنة، أو ينفجر قلبك، وينتهي كل شيء هكذا، ليس هناك غدًا.

في يوم الأحد الذي التقيت فيه والديها، كانت الأم في غاية الفرحة، بينما كنّا جميعًا نأكل السمك الذي استغرقت الأم فترة الصباح بأكملها في إعداده، قالت "سولاميتا":

- أخيرًا أعتقد أنني وجدت الرجل الذي سوف يصبح والد أطفالي.

Twitter: @ketab_n

هذا كان أنا، مشروع أطفال، بالطبع أنا الأب، المانح، ومتحمل كل المسؤوليات، واستطردت:

- أصبحت فجأة أرى مستقبلًا رائعًا لي ولعائلتي، كان حلمي أمامي تمامًا، واعتقدت أننا سوف نحققه معًا، أنت وأنا.

حقيقة أن والدها ووالدتها وشقيقتها، أحبوني، جعلتني أفكر في تحقيق حلمها فقط، ثم قالت:

- كنّا سندخر أموالنا لنشتري قطعة أرض في الـ"بانتانال"، ونبني منزلًا، ونربي الماشية. ولكن الآن، بعد أن وجدتُ تلك الملابس الداخلية النتنة وصاحبتها السوقية كل شيء انتهى.

لم تكن "سولاميتا" بذيئة أو شكاكة، بل كانت حزينة، وحساسة، ولهذا السبب أثر عليّ حلمها بشدة في تلك الليلة، حتى كدت أشعر بطعم الدم في فمي. تربية ماشية في الـ"بانتانال"، وعائلة، تخيلت أننا مثل "دونا لو" و"خوسيه بيرابا"، من دون الابن الميت بالطبع، ولكن بنفس نوع الزواج الوثيق، النوع الذي يمكن أن يحافظ عليه المال فقط، العمل التجاري، تربية الماشية، المستقبل المحدد كمعادلة رياضية، وكنت أفكر في ذلك عندما ركعت بجوار "سولاميتا" وأحرقت الملابس بولاعتي، مقسمًا على ألا أفعل أي شيء قد يجرحها ثانيةً، راجيًا إياها أن تسامحني، قلت لها إنني أريد نفس ما تريده، الزواج، والأرض، والأطفال، وأيًا ما كان قرارك سأرضى به.

Twitter: @ketab_n

لا يستطيع المرء أن يقضي بقية حياته لاهيًا مع امرأة مجنونة مثل "ريتا".

في تلك الليلة مارست الحب مع "سولاميتا" بطريقة مختلفة، دون غضب أو قلق مثلما يحدث مع "ريتا"، وأقل كثيرًا من طريقتنا المعتادة المتلهفة الحنونة، كان شيئًا عميقًا، ومؤلمًا، ومندفعًا. غرقت في شيء غاية في العمق، في قرار، كالمغارة، ثم عدتُ إلى السطح، متأوهًا في سعادة، ثم غُصت وغرقت ببطء شديد وحماسة كبيرة، متقدمًا ومتراجعًا، حتى قذفت.

في اليوم التالي ذهبت إلى "موسيير"، قلت له:

- دعنا نمضي قُدمًا في هذا المشروع.

قال "موسيير" موضحًا:

- ليس لدينا أي أموال، وهذا أفضل لنا لأن "راميريز" يريد شركاء لا زبائن.

أوضحت له أنها ستكون المرة الأولى والأخيرة التي سأتورط فيها في أي شيء من هذا القبيل، فقال:

- ولكن لا تقل ذلك لـ"خوان"، سنأخذ المال ونهرب، أنا أيضًا لا أريد أن أخسر حياتي، سأبني ورشة لطيفة، هذا كل ما أريده.

كما تحدثت مع "سولاميتا" أيضًا، وأخبرتها كاذبًا إنني أدخر بعض المال وسنجمع مدخراتنا ونشتري قطعة أرض صغيرة كبداية، "**حوِّلْ**".

Twitter: @ketab_n

الآن، نسير في شوارع "بويرتو سواريز" غير الممهدة، نبحث عن البار الذي سينتظرنا فيه "خوان"، صديق "راميريز"، بعد أن اتصلت بـ"دالفا" وأخبرتها بأنني لن أعمل اليوم بسبب الإسهال، فوصفت لي علاجًا باستخدام الماء ونشا الذرة، قائلة:

- استخدمه وغدًا ستكون على ما يرام.

سألت:

- كيف حالها؟

أجابتني:

- "دونا لو"؟ سيئة للغاية.

أغلقت التليفون شاعرًا بحزن يدمي قلبي، كم أتمنى شفاء "دونا لو"، وقلت ذلك ذات مرة إلى "دالفا"، فقالت:

- كيف تُشفَى من موت ابن لك؟

شربنا صودا، كان صاحب البار فاتحًا الراديو على محطة إذاعة برازيلية، مستمعًا إلى أخبار البرازيل والإعلانات التجارية للمنتجات البرازيلية، فكرت في أنه لا يوجد عقاب أسوأ في العالم من أن تُولد في "بويرتو سواريز".

بعد عشر دقائق، وصل "خوان" إلى البار مرتديًا قبعة وقميصًا أحمر، وقال:

Twitter: @ketab_n

- دعنا نستقل شاحنتك.

وصلنا إلى الشاحنة، قلت لنفسي: كل شيء جيد جدًّا حتى الآن، "**حوِّلْ**"، كان "خوان" رجلًا من النوع الذي يحبه الناس سريعًا. كان يستمتع بتحدث البرتغالية، قال:

- اتجه إلى اليسار ثم إلى الأمام مباشرة.

في الحقيقة كانت برتغاليته لا تقل سوءًا عن إسبانيتي، وإن كان يعتقد أن ما يتحدثه يعتبر برتغالية، فأنا أيضًا آمنت بأنني أستطيع التواصل بالإسبانية. وأضاف:

- استدر إلى اليسار ثانيةً.

ثم سألني بالإسبانية إذا كنت أحب لحم الخنازير، فأجبته بالبرتغالية نعم كثيرًا جدًّا، قال إنهم يطبخون لحم خنازير مشويًّا رائعًا هنا مشيرًا إلى بار ليس فيه أي شيء رائع، وقال:

- إلى اليمين ثم إلى اليسار.

ثم بدأ "خوان" يحكي كيف تعلم البرتغالية من مشاهدة المسلسلات، وقال:

- اليسار ثانيةً، وهكذا تعلمت، إلى اليسار الآن، ولكنني أيضًا أجرب حظي، مثلما في حالة الخنزير، لم أكن أعرف كيف أقولها بالبرتغالية، لكنني خمنت أنها قريبة من نطقها بالإسبانية، "بويركو".

قلت:

- ليست "بويركو"، بل "بوركو".

قال ضاحكًا:

- حقًّا؟ هل أنطق بشكل سيئ؟

ومنذ ذلك الوقت، وهو يناديني "بوركو"، هذا "البوركو"، ذلك "البوركو"، ماذا كان باستطاعي فعله؟

لم يشارك "موسيير" في الحوار، كان فقط يتطلع خارج النافذة، شاردًا كطفل يحمله والده.

كنّا على وشك مغادرة المدينة عندما طلب مني "خوان" إيقاف الشاحنة، مشيرًا إلى منزل بحوائط بلا طلاء، كانت المنطقة مهجورة وأكثر فقرًا من وسط المدينة، ويقف فيها شابان مسلحان عاريا الصدر كأمن للمكان.

تم أخذنا إلى داخل المنزل، عبرنا غرفة المعيشة التي يجلس فيها زوجان يجلسان بهدوء على أريكة متهالكة، فوجئا بوجودنا. عبرنا المطبخ إلى الجزء الخلفي من البيت، حتى وصلنا إلى الفناء الخلفي الواسع، والمغطى بالأسمنت إلى حد ما. كان "راميريز" هناك، بجانب آلة ضغط يشرف على ضغط قاعدة شاحبة، قدمني باعتباري "بوركو" صديق "موسيير" فكرت أن الاسم أصبح رسميًّا الآن، قال "خوان":

- سيكون عليك الانتظار قليلًا، أنا فقط أحتاج إلى مفاتيح السيارة.

لم أحب ذلك، ولكن "موسيير" تدخل وأخذ المفتاح من يدي، وسلمها إلى الشاب الذي وصل لتوه، الواقف بجانب "خوان".

Twitter: @ketab_n

كان "راميريز" يُعبيء المخدرات بمهارة، يضع شرائط من ورق تغليف شفاف رقيق في فتحات الكباس، ويسوي المخدرات بملعقة على البلاستيك ثم يختم الكبسولات بخيط نايلون، وبينما نشاهد، انفتحت البوابة الجانبية وعبرت منها شاحنتي يقودها الشباب الذين أخذوا مفاتيحها منذ دقائق.

جاء شابان آخران من البيت وبدآ يتحدثان مع السائق عن أفضل مكان لإخفاء المخدرات، شعرت بعدم الارتياح، سألت "موسيير":

- ما الذي يحدث؟

فأجابني:

- خذ الأمور ببساطة، كل شيء على ما يرام.

في تلك اللحظة انضم إلينا الزوجان اللذان كانا في غرفة المعيشة عندما وصلنا، وكل منهما يحمل زجاجة مياه، أخيرًا فهمت ما الذي يفعله هذان الشيطانان الفقيران. قدم "راميريز" التعليمات، وخلال العشرين دقيقة التالية ابتلع الزوجان عددًا كبيرًا من الكبسولات، ما يقرب من 800 جرام من المخدرات، سيتم نقل المخدرات داخل جسديهما في اليوم نفسه إلى مكان ما في جنوبَ "البرازيل".

بدت المرأة خائفة كفأر على وشك الوقوع في المصيدة، ظننتها ستفقد الوعي في أي لحظة. غادر "خوان" مع الزوجين، وعندئذٍ فقط بدأ "راميريز" في التحدث إلينا.

كانت ماسورة العادم قد أُزيلت من شاحنتي بالفعل، أصابني الذعر عندما أدركت الخطة: سنأخذ عشر كيلوجرام من الكوكايين، وليس اثنين

Twitter: @ketab_n

كما اتفقت مع "موسيير"؛ خمسة سيتم تسليمها إلى وكيل آخر لـ"راميريز" غدًا، والباقي لنا، وأمامنا مهلة أربعين يومًا لسداد ديوننا.

أخذت "موسيير" جانبًا:

- هل جننت؟ هذا ليس ما اتفقنا عليه.

أجابني:

- اهدأ، كل شيء على ما يرام.

حينها شعرت بالذعر.

ذهبت إلى الحمَّام، كنت أفكر في ترك "موسيير" والشاحنة هناك، حينها تبعني "موسيير" قائلًا:

- هل تتصور أنني سأضع الجميع؛ "إليانا"، وأطفالي، ووالدتي، في خطر؟ أتظنني مجنونًا؟ ثق بي، سيكون كل شيء على ما يرام.

عندما شرح لنا "راميريز" كيف سنعبر الحدود، ظننته يمزح ولا شك، قال "راميريز":

- كلما عرفتما أقل كلما كان أفضل، كونا هادئين، واعبرا الحدود كما لو أنكما لا تحملان شيئًا.

- ماذا لو أوقفونا وقبضوا علينا؟

قال "موسيير":

- لن يحدث شيء، "راميريز" يضمن لنا هذا.

Twitter: @ketab_n

في رحلة العودة، كنت أرتجف من قمة رأسي وحتى أخمص قدمي، قلت لـ"موسيير" إنّه ليس لديه أدنى فكرة عما نقوم به، إنه مغفل، وجاهل، وإنه لا يوجد في قبيلته شيء كهذا. تتصور أنك ذكي، ولكنك لا شيء، مجرد هندي جاهل، ضحك قائلًا:

- اهدأ، انظر إلى "خوان".

وأضاف مشيرًا إليه:

- عندما نصبح على وشك عبور الحدود سيساعدنا، رأيت "خوان" يركن السيارة، ويخرج منها المرأة المذعورة، والشاب، ببطنيهما المتلئتين بالمخدرات، ثم اختفى "خوان".

كنّا على وشك المرور بالحراس عندما قاطعنا التعيسان ثم ظهر سبعة رجال شرطة، إلى جانب الاثنين الموجودين في الحراسة، وحاصروا الزوجين ثم كبّلوا أيديهما وجروهما إلى مكان ما، ولكنهم لم يبحثوا حتى عنّا. كان الأمر في غاية السهولة، أن أراهما يُسجنان.

بمجرد أن أصبحنا على مسافة آمنة، أوقفت السيارة، "أيها الهندي الغبي"، كانت قدماي ترتعشان.

قال" موسيير":

- كل شيء على ما يرام، كنت أعلم منذ البداية.

سألته:

- تعلم ماذا؟

أجاب:

- إن "راميريز" و"خوان" أبلغا عن الزوجين، إنهما معتادان على فعل هذا، أمر عادي، حتى يمكننا المرور.

صرخت:

- كنت تعرف أيها الحقير؟

أدرت السيارة قائلًا:

- أيها الهندي القذر، أنت لا تستحق حتى أن يتم لعنك.

في الطريق، لم أكن أنظر حتى نحو "موسيير" الذي بدأ يحكي قصة طويلة عن "راميريز" وإخوته الخمسة، وأنه يعرف ثاني أكبرهم، وكيف أن أحدهم في السجن. صرختُ فيه قائلًا:

- اخرس، أنت تجعلني أكثر عصبية.

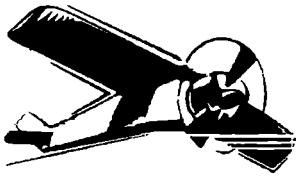

Twitter: @ketab_n

13

سألتني "سولاميتا" بمجرد دخولي المشرحة:

- ماذا تفعل هنا؟

شعرتُ أنها لا تريدني أن أقبّلها.

كانت قد طلبت مني عدة مرات ألّا أذهب إلى هناك، ولا حتى لاصطحابها بعد العمل، أخبرتني أن هذا المكان ليس كمركز الشرطة، أو المكاتب الحكومية، قالت:

- أحيانًا أشعر كأنني في مطبخ الشيطان، أنني أعمل في المكان الذي يطبخ فيه الشيطان مصائبه. لدينا ثلاجة ضخمة صدئة، يدق قلبي بعنف كل صباح عندما أفكر في ما قد أجده في تلك الأدراج، لا يمكنك تخيل رائحة ملابسنا وشعورنا؛ رائحة الجيفة، والكبريت، والقمامة، إنها أسوأ من أي رائحة كريهة تعرفها، رائحة ثقيلة، حتى تكاد تمسكها بيديك، لا أريدك أن تزورني، لا أنت، ولا أي شخص غيرك.

Twitter: @ketab_n

لم أكن أفكر في أي شيء من ذلك عندما مررت عليها لأصطحبها، كنت قد اتصلت بها مرتين، ولكن على ما يبدو فإن الرد على المكالمات ليس بشيء يتم فعله في المشرحة، كان رأسي يغلي، حاولت أن أهدأ، لكنني كنت في حاجة إلى شيء من الراحة التي يحققها وجود "سولاميتا" إلى جواري، لهذا ذهبت إلى هناك.

قبل ذلك بساعة، كنت في السرير استمع إلى "موسيير" وهو يفكك سيارتي في ورشته، كنت عصبيًّا لأنني أعرف أن عشر كيلوجرام من الكوكايين كانت هناك بالأسفل.

عندما كانت "ريتا" تطرق الباب، كانت ترتدي شورتًا وحذاءً عالي الرقبة، وكان شعرها مضفرًا. ألم تجد وقتًا أسوأ من هذا لتأتي فيه؟! كانت تدخن وتشعر بمرارة هائلة، لم تكن تصدق، وأرادت تفسيرًا لـ"الأشياء الغريبة" التي "تحدث بيننا"، لماذا لا أجيب على مكالماتها؟ ما الخطأ الذي فعلته؟ ألم أعد أحبها؟

كانت مثيرة؛ ثدياها طليقان تحت قميصها، وأظافرها ملونة بالبرتقالي الصارخ، كما لو أنها تخطط للإيقاع بي في فخها.

قلت لها:

- "كارلو" أخبرني أنك حامل، أعرف كل شيء، الطفل الذي تنتظران مجيئه، العائلة الجميلة التي تسعيان لتكوينها، لا أفهم كيف يمكنك أن

Twitter: @ketab_n

تفعلي ذلك بـ"كارلو". حامل وتطاردينني؟! إنك تثيرين اشمئزازي، شيء واحد يجمعنا يا "ريتا"؛ المتعة، أمّا بالنسبة لك فهو طفلك مع "كارلو".

قالت بمنتهى البساطة: الطفل ابنك، ألقتها في وجهي، هكذا، بمنتهى البساطة. ثم شرحت بارتباك، إنها حقًّا تحدثت مع "كارلو" حتى قبل التحدث معي، رغم أن الطفل ابني وليس ابنه، قالتها مرارًا وتكرارًا:

- إنه ابنك، وليس ابنه، حتى أمهد الجو، أنت تعلم إنه ليس ابنه، ولكن "كارلو" رجل عظيم، وتتذكر كيف ساعدك عندما كنت محطمًا؟ عندما انتحرت مندوبة المبيعات بسببك؟ لا أريد جرح "كارلو"، لا بد ألا نفعل ذلك، ولا "سولاميتا" تستحق المعاناة أيضًا، هكذا أنا، لا أحب إيلام أي شخص، لقد حاربنا كثيرًا، ولا أعرف ما الذي يحدث، كأنها سحابة سوداء ومرت، لم تكن ترد على مكالماتي، ولم أتمكن من التحدث معك عن الحمل.

دفعتها قائلًا:

- لا أصدقك، اخرجي واتركيني وحدي.

فتشبثت بذراعيَّ صارخة:

- إنه ابنك يا غبي، أيها الغبي القذر، من الذي تظن أنه أبوه؟

كنت أخشى أن يسمعنا الجيران:

- اللعنة، اخفضي صوتك.

- الطفل ابنك، ضع هذا في رأسك. أنا حامل في شهر، والآن تريد الهروب من مسؤوليتك؟ هل تعتقد أنك ستجعلني حبلى ثم تهرب؟

Twitter: @ketab_n

ساد السكون فجأة، كنا غارقين في التفكير. وفي الأسفل كان "موسيير" لا يزال يطرق على صاج سيارتي.

- كيف يمكنني التأكد من أنك لا تكذبين؟

ضحكت منهكة.

قلت:

- لا أمزح. أنت تكذبين كثيرًا على "كارلو"، ما الذي يضمن لي أنه ليس ابن "كارلو" أو أي شخص آخر، كم عشيقًا لديكِ يا "ريتا"؟

عندئذٍ صفعتني "ريتا"، تذكرت مندوبة المبيعات عبر التليفون التي انتحرت. لا يحتمل أي شخص صفعة كهذه.

قالت "ريتا":

- سأخبرك بالحقيقة، ليس ابنك، ولا أتمنى أبدًا أن يكون لي ابن من غبي مثلك.

لم أكن أتوقع هذا الاعتراف المعكوس، شاهدت "ريتا" ترحل ببرود، نزلتْ السلم وهي ساخطة، لم أكن أعرف ما الذي يتعين عليّ فعله، هل أصرخ، أم ألاحقها وأجذبها من شعرها، أم أصفع الباب خلفها بكل قوتي. كانت رغبتي مشتتة ما بين الهجوم عليها وطلب السماح، ما بين المضي قدمًا والتراجع، ولهذا ذهبت إلى "سولاميتا".

سألتها:

- هل أخطأت بمجيئي هنا؟

Twitter: @ketab_n

حاولت أن أحضنها، لكنها تراجعت.

سألتها:

- ماذا هناك؟

قالت:

- اللعنة، سبق أن شرحت لك الرائحة الغريبة التي تنبعث مني عندما أكون هنا، ألا تشمها؟

قلت لها متشممًا شعرها:

- رائحة الشامبو.

- حقًّا؟

قلتُ مصرًّا:

- طبعًا، رائحتك جميلة كالمعتاد.

لكنني كنت أكذب، كانت تنبعث رائحة عفنة ومثيرة للاشمئزاز من كل مكان، بما في ذلك من "سولاميتا".

ابتسمت قائلة:

- أتريد أن ترى شيئًا؟

سحبتني من يدي باتجاه الغرفة الداخلية للمشرحة، واسعة مكسوة بالبلاط الذي كان أبيضَ يومًا ما لكن لونه اختفى الآن. في الوسط ثلاث ترابيزات صدئة، على إحداها جثة مغطاة تمامًا عدا القدمين.

أوضحت "سولاميتا" أن تشريح الجثث يتم هنا؛ الاغتصاب، والقتل، قالت:

- قليلًا من كل شيء، يوميًّا تأتينا جثث من جميع أنحاء المنطقة، نادرًا ما يمر يوم دون وصول جثث.

أخبرتني أن وظيفتها التنسيق بين فريق التشريح، استلام الجثث. وتخزينها، وتنظيفها، ووضعها على ترابيزة الطبيب الشرعي للفحص، وقالت إنها شاهدت عدة عمليات تشريح.

ومن دون أن تسألني، أخذتني إلى الترابيزة الوسطى، وسحبت الملاءة من على جسد امرأة لا تزال شابة، وساقاها تغطيهما الخدوش. كانت ترتدي حلقًا على شكل قلب يتدلى من أذنها اليمنى.

قالت:

- هذه توفيت بالأمس.

لاحظت أن "سولاميتا" كانت شاحبة.

أردفت:

- اغتُصِبَتْ ثم قُتِلَتْ، وجدوا جثتها ملقاة في مقلب القمامة.

حدقنا في الجثة لعدة ثوانٍ.

سألتني:

- أنت متأكد من أنك لا تشم تلك الرائحة في؟

أجبتها:

- نعم، ثم أخذتها في حضني.

Twitter: @ketab_n

14

شرعت "سولاميتا" في البكاء. قالت:

- لا أستطيع الاستمرار بعد الآن، لا أستطيع التحمل، لا أستطيع، ولا أريد.

كررت الجملة إلى ما لا نهاية. كأنها أسطوانة مشروخة:

- أريد الرحيل، لا يمكنني تحمل المزيد.

قالت إنها عندما تسمع صوت وصول عربة الجثث بالخارج، يقفز قلبها كضفدع يهرب من ثعبان يريد التهامه. وقالت:

- لا يمكنني التحمل، أشعر وكأنني سأتقيأ معدتي نفسها. لا يمكنني الاستمرار هكذا. رئيسة المشرحة. أتعرف ما هي وظيفتي؟ لم أكن أعرف حتى اليوم الذي وَقَّعتُ فيه على تسلّم العمل وقرأت وصف الوظيفة فأدركت ما كان على وشك الحدوث لحياتي، حتى ذلك الحين كنت أعتقد أنها نوع من الترقية، لن أصبح مساعدًا إداريًّا أؤدي عملًا روتينيًّا، وسأجني المزيد من المال، لم أكن أعي أنني سأعمل وسط هذا العالم

Twitter: @ketab_n

الرهيب من الجثث النتنة المتعفنة، بالطبع كنت أعرف معلومات عن طبيعة العمل، واجتزت الامتحانات المؤهلة، درست، وعرفت أسماء كل الأدوات التي نستخدمها، وجميع أنواع الفرش والمشابك والمناشير التي تقطع الجمجمة، كنت أعرف كل شيء من المصطلحات الفنية إلى الإجراءات، كنت أعرف، ولكنني لم أفهم ما الذي سوف يعنيه ذلك في حياتي، هذه الرائحة النتنة التي تشمها، أليست كذلك؟

وبدأت في البكاء مجددًا، وهي تدفن وجهها في راحتيها.

سحبتها من ذراعها قائلًا:

- دعينا نخرج من هنا.

عبرنا الشارع، ذهبنا إلى الحانة التي يجلس فيها أهالي الجثث معًا يتناولون الساندويتشات الباردة في انتظار تحديد هوية موتاهم، قالت:

- كل شيء هنا هكذا، ملوث، ولا مكان للهرب، لا يمكنك تناول فنجان من القهوة في سلام دون الاصطدام بأولئك التعساء الذين يعانون بسبب وفاة ابنهم، أو والدتهم، أو أخيهم، بالأمس كانت هناك أم فقدت ابنها ذا العامين. غرق في حوض السباحة. كانت تضرب رأسها بالحائط وتصرخ.

فكرت كم كانت ستصبح والدتي سعيدة إذا ما اتصل بها يومًا ما شخص من المشرحة، إذا كنا قد ذهبنا إلى هناك، وتعرفنا على جثة والدي وتمكنّا لاحقًا من دفنه والانتهاء من تلك المسألة، هذا هو معنى كلمة "دفن"، أن تضع نهاية لشيء ما، أن تدفن الموتى كي تعتني بالأحياء، من قال هذا؟

Twitter: @ketab_n

حتى ندفن الموتى، يظل الأحياء ينزفون، الموت يدمرنا. يدمر "دونا لو"، كنت قد لاحظت في الأيام القليلة الماضية أنه لم يعد يهمها العثور على ابنها على قيد الحياة، جثته تكفي، كانت في المرحلة التي تصبح فيها الجثة أفضل من لا شيء، كانت هكذا تسير الأمور بالضبط، أعرف هذا من تجربتي الخاصة، هناك أوقات يصبح فيها حتى الخبر السيئ مُرحبًا به. وجدنا الذراع، أو قطعة من الجمجمة، أو قبضنا على القاتل، القبر. أي شيء يصلح.

طلبنا كوكا كولا، وبدأت "سولاميتا" تكرر أنها تشعر بالمرض بسبب رائحة تحلل، وتعفن الجثث، وهذا يعني بالنسبة لي ألا أقترب، قالت:

- رائحة شعري، وملابسي نتنة، الرائحة تلتصق بي مثل اللبان، ولا يجدي نفعًا معها الاستحمام بالماء والصابون فقط، إذا لم أطهر جسمي كله بالكحول لا تزول الرائحة.

حاولت تهدئتها، كما حاولت تهدئة نفسي بالحديث عن خططنا، والأرض التي سنشتريها، قلت لها إنها سوف تكون قادرة على الاستقالة من هذا المكان وتبعد عن تلك الرائحة الكريهة، سألتني:

- إذن فأنت تشمها؟

أجبتها:

- لا.

Twitter: @ketab_n

بالطبع شممتها، وفي الواقع كانت لا تطاق، مزيج من رائحتي الفورمالدهايد والأحشاء والشمس فوقهم تزيد الأمر سوءًا.

قالت:

- طالما أن كلينا عاجز عن دعم والدي، ووالدتي، وأختي، فلن يمكنني مغادرة هذا المكان، إنهم يعتمدون عليّ.

اكتشفت أن الأمور أكثر تعقيدًا مما كنت أعتقد، الأب والأم، والأخت يشكلون جحيمًا كاملًا، ورغم ذلك واصلت أكاذيبي، قائلًا إن أصحاب المزارع ومربي الماشية، والمزارعين لديهم أسر أيضًا، وبطبيعة الحال سيكون في مقدورنا دعمهم كما يفعلون، "دعمهم" قلتها كما لو كانت أسرتي أنا أيضًا رغم أنها كانت أسرتها، هي وحدها، أردفت:

- حينما نشتري أرضنا، سوف تتركين كل ذلك ورائك، سيكون لدينا قطيع من الماشية، وسنكسب مالًا كثيرًا.

كنت متأكدًا من أن شيئًا من هذا لن يحدث، لكنني شعرت بالأسف الشديد لـ"سولاميتا" والإشفاق على حالها؛ لذا واصلت تقديم الوعود لها، مَنْ يسمعني سيصدق أنني لم أعد أفكر في "ريتا"، لكن الحقيقة هي أنني عاجز عن إخراجها من رأسي حتى لثانية واحدة.

قالت:

- حاولت مرارًا ألا أنظر في وجوه الجثث، كانت هذه نصيحتهم عندما تسلمت العمل: لا تنظري.

Twitter: @ketab_n

تذكرت الطيار.. عيناه، أحيانًا من دون سبب تعود لمخيلتي، ونفسه الأخير. وعندما اصطحب "دونا لو" إلى الكنيسة أتذكر أيضًا تلك العيون، عيون شخص على وشك الموت، العينان تموت أولًا، تغيم كالسحب، ثم تتلاشى.

واصلت "سولاميتا":

- قالوا لي "ابحثي عن الآفة في الكبد، والمعدة، ابحثي عن كسر في الجمجمة، ابحثي عن الآفة فقط"، لكن مَن قال إنني أستطيع فعل ذلك؟ أذهب مباشرة إلى العينين، والوجه، لا يسعني إلا ذلك، منذ جئت إلى هنا أقول لنفسي يوميًّا "اليوم أيها الغبية لن تنظري إلى وجه أحد". أصل إلى هنا وقبل أن أدرك ذلك أبدأ في التحديق في وجوه الموتى، كأنني أريد رؤية الوجوه الميتة، كأنني استمتع بذلك، ولكنني أكره هذا. وأفكر مرة أخرى، ها هو وجه آخر يضاف إلى ألبوم الجنازة الخاص بي. أعرف جيدًا كيف يبدو الفم والأنف. بمجرد أن أغلق عيني يبدأ عرض الوجوه أمامي كأنني في فيلم رعب.

بعدما شربنا القهوة الفاترة، سيئة المذاق أخبرتني أن جزءًا من مهام وظيفتها يتمثل أيضًا في المساعدة في استخراج الجثث:

- يحفرون للبحث عن الجثث ولا بد أن أقف هناك وأراقبهم. هكذا الأمر هنا. كل مهمة أسوأ من الأخرى. كما يتوجب عليّ أن أخيط الجروح بعدما ينتهون من التشريح وانتزاع الأحشاء، وأكتب وصف الجثة؛ ملابسها، لون شعرها وعينيها وأسنانها، لكن هذا ليس أسوأ مهامي؛ الأسوأ في الليل عندما أكون في السرير، وبحاجة إلى أن أغلق عيني وأنام، هذا هو أسوأ جزء، ثم أستيقظ وأعود إلى هنا، هذا رهيب.

Twitter: @ketab_n

تابعت:

- ليلة أمس كانت ترابيزة التشريح غير مستوية لأن حتى هذه الترابيزة لا تستطيع الدولة إصلاحها، الدولة لا تهتم بالموتى، التوت الترابيزة، بينما كنّا نحمل جثة عجوز توفي بنوبة قلبية، فتدحرجت الجثة على الأرض. بدأتُ أبكي قائلة ألا يكفي أن الرجل قد مات، هل كان لزامًا عليّ أن أوقعه أرضًا أيضًا؟

ظللنا في البار بعض الوقت؛ كانت الخامسة تقريبًا ومع ذلك ظلت حرارة الشمس قوية كما لو كنا في الظهيرة، علقتُ على ذلك، فأضافت "سولاميتا":

- صحيح، هذه مشكلة أخرى في وظيفتي، كل شيء في المدينة يتعفن أسرع.

قالت أم "سولاميتا" وهي تحمل طبقًا يتصاعد منه البخار:

- حاولتُ طبخ مرق من لحوم سمك "البيرانا" والتمساح، ولكن هذا الطبق هو سر مهارتي.

كان في الطبق الذي تحمله سمكًا مطبوخًا بنبات "الأوريانا" البرتقالي المحمر الذي تتفنن حماتي في طبخه.

يوم الأحد قضيت الصباح في الصيد مع حماي. تركنا "سولاميتا" و"ريجينا" في مغارة بالقرب من مزرعة "فيستا أليجري". ساعدنا

Twitter: @ketab_n

"سولاميتا" على حمل "ريجينا" من كرسيها المتحرك ووضعها في الماء، ثم واصلنا الصيد.

كان موسم الأمطار، النهر عالٍ، ارتفع مستواه ارتفاعًا ملحوظًا، مما جعل المياه تبدو وكأنها تمتد إلى ما لا نهاية.

قال حماي:

- إنه جمال حقيقي! تجد فروع الأنهار، وطيور المستنقعات، والأراضي المنخفضة، وسلاسل الجبال والمستنقعات المالحة، سوف أصطحبك إلى هناك يومًا ما. بالنسبة لي إذا كان الله موجودًا فهو الـ"بانتانال"، لدينا كل شيء؛ غابات، مراعٍ، حقول، وأجمل طيور يمكنك أن تتخيلها، سوف أعلمك اليوم كيف تصطاد.

كنتُ أعرف بالفعل كيف أصطاد، وأعرف المنطقة بأكملها لأنني كنت أتجول فيها بصحبة "ريتا"، كانت فسحتنا المفضلة أن نستأجر قاربًا ثم نوقف المحرك في وسط النهر تاركين التيار يحملنا معًا إلى أي مكان.

أناديه "حماي"، وينادينى "ابني"، أخبرني بينما كنّا نصطاد:

- الآن أنت ابني.

ثم بدأ في مدح "سولاميتا":

- أنت لا تعرف مدى غلاوتها وشجاعتها.

تدفقت صفاتها الحسنة كالشلال، قال:

- إنها تلعب الآن مع "ريجينا" التي تحب السباحة، فقط السباحة هي ما تشعرها بأن ساقيها غير عاجزتين، على الكرسي المتحرك تصبح مجرد جسد بلا أرجل، ولكن في الماء تولد ساقاها من جديد، والفضل في ذلك يرجع إلى "سولاميتا"، إنها صبورة فوق ما تتخيل وقلبها كبير، لم يكن مولد "ريجينا" سهلًا بالنسبة لي ولزوجتي، الطفلة المعاقة هي نصف طفل، وعبء كبير علينا، أقول ذلك بحب كامل. في البداية لم تكن أمها تريد حتى النظر إليها، ظنت أنّها أنجبت مسخًا، لكن "سولاميتا" التي كانت تزيد على الخمسة أعوام بقليل أعطتنا درسًا في الحب الحقيقي، كانت هي أول من أحب "ريجينا"، وكلما كبرت "ريجينا" كلما أصبحت أكثر قبحًا، ولكن "سولاميتا" تحبها، هل ترى كيف ينسجمان؟

كنت قد رأيتها، وأجبرت نفسي على الكلام مع "ريجينا"، رغم أنني لا أستطيع فهم همهماتها التي تترجمها لي "سولاميتا" عندما نخرج ثلاثتنا معًا، تقول إنها تريد آيس كريم، تقول إنها تريد عصير، تطلب مني تغيير حفاضاتها، "سولاميتا" الوحيدة التي تفهم لغتها، التي كانت ملتوية ومشوهة كجسدها.

بعد الصيد، ذهبنا إلى "سولاميتا" و"ريجينا" عند البحيرة، نامت "ريجينا" من الإرهاق في السيارة أثناء عودتنا.

الآن، تحلقنا جائعين حول الترابيزة، مع ابنتا خالة "سولاميتا"، وخالتين أرملتين، وجدتها ذات التسعين عامًا، وعندما عرضت "سولاميتا" الخاتم الذي أهديته لها على خالتها قالت:

- "يا له من خاتم أنيق".

Twitter: @ketab_n

لم يكن خاتم الخطوبة، ولكن الآن ربما يصبح كذلك، و"سولاميتا" نفسها قالت إنه خاتم خطبتها، كررت خالتها "شيء أنيق"، وقالت الأخرى "أنيق حقًا". أحضرت "سيرافينا" أم "موسيير" معي، موضحًا أنها مثل أمي، لكن المرأة الهندية ظلت صامتة، تأكل بلا توقف، ولا يبدو عليها أنها تفهم ما يجري.

اقترحت "سولاميتا" دعوة "كارلو" و"ريتا" حتى تتمكن من مقابلتهما، لكنني اخترعت قصة طويلة عن كيف أن "ريتا" تعاني من مشاكل الغثيان بسبب الحمل، لم أكن أريد رؤية وجه هذه العاهرة الوقحة التي ترتدي حذاءً عالي الرقبة وتضع يدها على وركها في انتظار أن تعرف ما الذي يحدث بيني وبين "سولاميتا"، وكنت سأجيبها بألا تحشر أنفها فيما لا يعنيها.

بعد ذلك اليوم في المشرحة، قررت أنا و"سولاميتا" تسريع خططنا، أو بالأحرى هي التي قررت، علينا شراء قطعة أرض صغيرة والزواج، لكنها أرادت الزواج أولًا، كنت كمن تعلَّم القيادة حديثًا، لا أعرف متى أنطلق بالسيارة ومتى أتوقف، فكنت أحيانًا أرفض، ثم أعرقل التدفق، وأحيانًا أتحمس بالفعل، حتى إنني أخبرت "دونا لو" بمسألة الزواج في إحدى الظهيرات عندما اصطحبتها إلى الطبيب، كانت تذهب للأطباء باستمرار لأنها لم تعد تنام إلا بتناول الأقراص المهدئة، قالت "دونا لو" إنها سعيدة جدًا لأجلي، قالت:

- كنت أريد أن يتزوج ابني "دانييلا"، لكنه صغير، ولم يكن يفكر في أي التزامات جادة، طفل مشاغب، لا تنسَ أن تخبرني عندما تحددون موعد الزفاف. نحن نحبك كثيرًا، نريد أن نقدم لكما هدية، نحن معجبون

Twitter: @ketab_n

بك، أنا وزوجي و"دالفا" أيضًا. أخبرت "خوسيه" أنك مؤهل لأن تكون شيئًا أفضل من سائق سيارة، ووافقني في ذلك، لقد قلت ذلك لـ"خوسيه"، كنت جيدًا جدًّا معنا في هذه الفترة.

ثم توقفت عن الحديث. كان الأمر دائمًا هكذا، تنطلق "دونا لو" في الحديث ثم تصمت وتظل هادئة في المقعد الخلفي.

كان حماي يحمل جريدة تحت ذراعه دائمًا، يضع علامات حول إعلانات بيع الأراضي التي كانت جميعها إما باهظة أو بعيدة جدًّا، قلت له إنه علينا تسوية الأمر بطريقة صحيحة.

قال إنه سيذهب غدًا إلى وسيط عقارات. تناولنا طعام الغداء في خمول، استرخينا جميعًا على الأريكة أمام التلفزيون، كنت قد أوصلت "سولاميتا" إلى البيت، وقضينا بقية الظهيرة نشاهد البرامج السخيفة التي يعرضونها يوم الأحد، حتى غلبني النعاس هناك، فمالت رأسي على كتف "ريجينا" النائمة.

عندما استيقظت في السابعة مساء كانت "سولاميتا" قد ذهبت إلى المشرحة لأنه يوم دوامها، ودعت الجميع قائلًا إنني سأذهب لأنام، لا بد أن أذهب إلى العمل مبكرًا.

همهمت "ريجينا" بكلمات غير مفهومة عندما قبّلتها، كيف يمكنني فهم همهماتها هذه؟

Twitter: @ketab_n

15

ليلة الأحد كان "موسيير" يصرخ غاضبًا، و"إليانا" تصرخ غاضبة، والأطفال يصرخون في غضب. وقفت في الممر متسائلًا ما إذا كان لا بد أن أتدخل.

قالت "إليانا" بغضب:

- أمَك العجوز الغَبْية، لن أبيت معها في مكان واحد، كادت أن تحرق بيتي كله تقريبًا.

رد عليها "موسيير":

- لا تغيري الموضوع، أريد أن أعرف من أعطاكِ قطع اللحم هذه؟

سمعتُ المزيد من الصراخ، قيل شيء عن اللحوم ومحلات جزارة "ألسيو". صوت كسر شيء ما، زجاج، والمزيد سن الصراخات.

Twitter: @ketab_n

أشعلت سيجارة وأنا أهرش في رأسي، أشتم رائحة مصيبة، قال أحد الجيران عندما رآني أخرج من الشاحنة:

- ساءت الأمور بينهما كثيرًا اليوم.

ثم أردف الرجل المتقاعد الذي يدس أنفه دائمًا فيما لا يعنيه:

- إنهما يصرخان هكذا منذ الظهر.

بدأ التَّعايُر بالألقاب، يا متشرد، يا سكير، يا نذل، يا عاهرة، يا عرجاء، فقط عندما سمعت كلمة "يا مُهرِب" قررت الطرق على الباب. ولكن "موسيير" فتحه فجأة وخرج، فقلت له:

- ما الذي يحدث هنا؟ الجيران منزعجون.

خرج "موسيير" إلينا، أغلق الباب، بينما واصلت "إليانا" إلقاء الشتائم. سألني:

- هل سمعت الشائعات؟ عنها وعن "ألسيو"؟ هل تعرف من "ألسيو"؟ إنه جزَّار؟ الرجل الأحول قليلًا؟

- لا.

- هذه المرأة تدفعني للجنون.

فعلت ما بوسعي لتهدئة "موسيير"، فأخذته لشرب البيرة في البار الكائن على الناصية، إلا أن الأمور ساءت أكثر عندما وجدنا "ألسيو" الجزار يشرب هناك أيضًا.

Twitter: @ketab_n

قال "موسيير":

- أترى كيف يتطلع إليّ؟ كلا، إنه لا ينظر، إنه أحول، انظر كيف يتطلع نحونا، أريد فقأ عينيّ هذا النذل.

- الرجل أحول، إنه لا ينظر باتجاهنا، بل باتجاه الباب.

حقًّا؟

- أعرف هذا النوع من الرجال، لا بد أن تهدأ، "إليانا" امرأة شريفة.

- هل تعتقد ذلك؟

- بلا شك.

- ماذا عن "ألسيو"؟

- إنه يبيع اللحوم، هذا كل ما في الأمر. إنه أحول.

- هل تعتقد ذلك؟

- بالطبع، "إليانا" تحبك، هذا رأيي.

عدنا إلى البيت، بدا "موسيير" تحت السيطرة، أخبرني أن وكيل "راميريز" واجهته مشكلة في "باراجواي" ولم يأت لتسلم الشحنة، قلت له:

- حذار، بدأت تتحدث بالفعل كالمهربين.

ضحكنا، ثم قال:

- غدًا سوف أسرب لك بعض المال من تحت الباب، لقد بعت حوالي مئة جرام اليوم.

ودَّعته، دخلت غرفتي، وما كدت أنام حتى اتصل بي "كارلو"، سألني:

- مستيقظ؟

- يعني.

- أريد التحدث معك.

سألته شاعرًا بقشعريرة في عمودي الفقري:

- عن ماذا؟

- هل يمكنك المجيء إلى هنا؟

- غدًا؟

- كلا، أحتاج مساعدتك الآن.

يبدو من ظاهر ما يحدث، أن يوم الأحد هذا لن ينتهي.

كان وجه "ريتا" مثل كتلة من اللحم النيئ، فمها متورم، وكدوم في كل وجهها، ولا شيء في مكانه؛ أنفها ينزف، وإحدى أسنانها الأمامية مكسورة، كانت تنتحب على الأريكة، قالت إنها على وشك أن تجهض.

قلت لـ"كارلو":

- دعنا نصطحبها إلى المستشفى.

Twitter: @ketab_n

- أتمنى أن تموت هذه العاهرة، تركت عائلتي، وابنتيَّ لأجلها، أتمنى أن يموت طفلها أيضًا، هذا ما أريده لهذه الحيوانة.

غادر "كارلو" الغرفة، لكن "ريتا" لم تنظر إلى وجهي حتى، كانت تتنشج وتنتحب، اتجهت نحو التليفون، عازمًا استدعاء سيارة إسعاف، عندما عاد "كارلو" بمسدس أدركت أنه يعرف كل شيء.

- سنخرج من هنا، هيا إلى السيارة الآن.

- هوِّن عليك، دعنا نتحدث.

- الآن تريد الحديث يا ابن العاهرة؟ لقد دفعت امرأة مسكينة للانتحار في "ساو باولو"، ذهبت إلى هناك، وأتيت بك من الحضيض، فتحت لك بيتي، وساعدتك في الحصول على وظيفة، أتيتْ إلى هنا، وأكلتْ من طعامي ثم استغللت كونها امرأة سهلة، مارست الجنس مع زوجتي، حتى أصبحت حاملًا منك.

- لست زوجتك.

- اخرسي يا عاهرة.

قالت "ريتا" بإصرار:

- لست زوجي.

- السبب الوحيد الذي يجعلني لا أقتلكما هنا الآن هو أنني لا أريد أن أوسخ بيتي بدماء خنزيرين مثلكما، ولأنني لا أريد أن أقتلكما فقط، بل أريد دفنكما أيضًا، هيا تحركا.

وقبل الذهاب إلى سيارة "كارلو" المركونة بالبنزينة، ذهبنا إلى الجراج حيث أخذ "كارلو" جاروفًا وأعطاه لـ"ريتا"، رأيت الدم يسيل على ساقيها، طمأنتها:

- اهدئي، كل شيء سيكون على ما يرام.

في السيارة سألني هل إذا أبقى على حياتي سأعتني بهذا الكائن البائس الذي على وشك أن يُولد، وهو ما لن يحدث لأنه سيقتلني مع "ريتا"، وهو شيء مفروغ منه، ثم سألني:

- لكن دعنا نفترض أنني أحمق وسأترككما على قيد الحياة؟

بمجرد أن تمكنت من فتح فمي لأقول إنني آسف، وإننا - أنا و"ريتا" - لم نقصد أن يحدث ذلك، وهو ما كان كذبة - لأننا كنا نريد بعضنا البعض منذ أول يوم شاهدتها فيه تتشمس بالبيكيني، جُننت بها منذ اللحظة الأولى، ولكن كان صحيحًا أنني ندمت، وأنني تمنيت لو لم أقترب أبدًا من "ريتا" - حتى بدأ في الصراخ قائلًا:

- اسكت يا ابن العاهرة، اخرس، أقسم لو سمعت صوتك سأقتلكما هنا وأحرق جثتيكما في السيارة.

Twitter: @ketab_n

قدنا السيارة لأكثر من عشرين دقيقة، كانت السيارة تهتز بسبب الطريق الترابي المليء بالحفر، ثم استدارت إلى درب صغير حاله أسوأ من الطريق، وتابعنا القيادة فيه مدة عشرة دقائق.

كانت الليلة صافية، يمكننا رؤية التضاريس من حولنا، والأشجار، والمنظر بأكمله، أوقف "كارلو" المصابيح الأمامية، وحالما خرجنا، سلم مجرفة لـ"ريتا"، وطلب منها أن تحفر تحت شجرة، مردفًا:

- استمري في الحفرِ أعمق، أسرع، أقوى.

وعندما كانت تسقط يركلها قائلًا إنها لا تصلح لأي شيء حتى هذا، حفر قبرها. أعطاني جاروفًا، وعندما أصبحت الحفرة عميقة بما يكفي أمرنا "كارلو" أن ندخلها ونوليه ظهورنا.

أطعناه، بينما "ريتا" تنتحب وتعتصر يدي.

- اتركي يده، يا عاهرة.

- لن أتركه، إذا كنت سأموت فلأموتن هكذا.

حاولت سحب يدي بعيدًا، ولكن "ريتا" كانت تمسكها بإحكام.

أغمضت عيني، في انتظار الأسوأ، ثم سمعنا صوت خطوات من الغابة، اعتقدت في البداية أنه شخص يقترب، ولكن سرعان ما أدركت أن الصوت يتحرك بعيدًا عنّا.

استجمعت شجاعتي ونظرت خلفي، فوجدت "كارلو" يرحل والبندقية في يده.

"ريتا" تجهش بالبكاء، وترتجف، أخبرتها أن تهدأ.

اعتقدت أننا قد نجونا، ولكن الأمور كانت على وشك أن تصبح أسوأ وأسوأ.

Twitter: @ketab_n

16

كل شيء انهار، "**حوِّلْ**"، هذا ما قلته لنفسي. كنت أحاول البقاء هادئًا، وكذلك كانت "سولاميتا". لكن كانت لـ"سولاميتا" صفة غريبة. كانت لديها القدرة على الغرق في مشاكلها الشبيهة بمستنقع الطين، ولكن إذا ما سقط أحد آخر في هذا المستنقع فهي تخرج منه فقط لتساعد الشخص الآخر على الخروج منه أيضًا.

كانت هي التي أخذت بزمام المبادرة في هذا الوضع، اتصلت بسيارة أجرة وجاءت لإنقاذنا بعدما اتصلت بها في المشرحة، التي تؤدي فيها وردية منتصف الليل، أخبرتها بما حدث. عندما وصلت، مشينا أكثر من ساعتين حتى عثرنا على موتيل يمكننا فيه طلب المساعدة، كانت "ريتا" تتحدث بصعوبة شديدة. وفي الطريق إلى المستشفى اختلقت مجموعة من الأكاذيب لأقولها إلى "سولاميتا"، قلت إنني كنت مع "كارلو" و"ريتا" نشرب بيرة في منزلهما عندما بدآ يتشاجران ثم ذهبنا إلى نُزُل معًا، لكن

Twitter: @ketab_n

"كارلو" كان ثملًا، وسيطرت عليه نوبة عنف أثناء عودتنا، ولكن بفضلي تفادينا حدوث الأسوأ.

في المستشفى، بعد أن أحضرنا "ريتا"، أصرت "سولاميتا" على أن أُبلغ عن "كارلو" متسائلة:

- هل ابن عمك مريض نفسي؟ لقد كاد يقتلها، غالبًا ستفقد الطفل.

- كنتِ دائمًا ما تسألينني لماذا لا أقضي وقتًا مع ابن عمي، الآن تعرفين لماذا. إنه مجنون، و"ريتا" أيضًا مجنونة، وحياتهما مشوشة تمامًا، لا أشعر أنني أريد أن أكون جزءًا منها.

كنت واضحًا مع "ريتا" قبل وصول "سولاميتا" إلينا في الموتيل، أنذرتها إن قالت أي شيء يجرح خطيبتي سوف أعيد ترتيب وجهها بنفسي، بعدها شعرت بالأسف لغلظتي الشديدة معها، في تلك اللحظة لم تعد "ريتا" الفتاة جذابة الابتسامة، وبدت أكثر كعود ناحل، مجرد شيء ضئيل، ولكن مع ذلك كانت لا تزال قدرتها على تدميري وسحقي هائلة.

ظلت "ريتا" في المستشفى ثلاثة أيام، و"سولاميتا" تعتني بها، تعطيها ملابس، ومجلات، وفاكهة، تجلس بجوارها، تمسك بيدها قائلة:

Twitter: @ketab_n

- ارتاحي، لن تفقدي الطفل، كل شيء سيكون على ما يرام، وأنت ستتحسنين، سوف نساعدك، هل تريدينني أن أخبر والدتك؟ والدك؟ إخوتك؟

لم يكن لـ"ريتا" أي شخص، أو على الأقل هذا ما قالته، ردت عليها "سولاميتا" مشفقة:

- نحن عائلتك، سوف نرعاك، وكررت الحديث عن الأسرة إلى ما لا نهاية.

همست في أذن "سولاميتا":

- لا أعتقد أنَّكِ يجب أن تقولي لها هذا.

كانت "ريتا" نائمة، لكنني كنت قلقًا من أن تكون تتظاهر بذلك، ردت "سولاميتا":

- طبعًا نحتاج، إنها بنت عمك.

- ليست ابنة عمي، "كارلو" فقط ابن عمي.

- إنها بنت عمك، وكان من الممكن أن نجدها راقدة على ترابيزة التشريح بدلًا من مقابلتنا هنا، والأمر الأكثر احتمالًا، نظرًا لما حدث، أنني كنت سأتسلمها هناك في المشرحة، بتلك الطريقة التي تعرفها، جثة باردة، لكنها الآن دافئة، علينا أن نعتني بها، ضع يدك على ذراعها، إنها دافئة، أليست كذلك؟

وكررت السؤال كما لو كانت تريد التأكد من أن "ريتا" على قيد الحياة، استطردت:

- الملمس هو الفرق الحقيقي، أعني، على طاولتي يكون الملمس هو نفسه، نفس الجلد، نفس اللحم، لكنه بارد، يبدو بشريًّا، إنه إنسان، ولكن

Twitter: @ketab_n

درجة الحرارة تقول شيئًا آخر، مقرف - هذه هي الكلمة التي استخدمتها.

واصلت:

- لكن "ريتا" دافئة، لا بد أن نكون سعداء بذلك، ألا تظن أنها دافئة؟

تحدثنا بهدوء، اعتقادًا من "سولاميتا" أن "ريتا" نائمة، ولكنني رأيت في فمها المتورم الأرجواني نية مؤكدة أعرفها جيدًا، وبداية ابتسامة، ابتسامة عاهرة لا تستحق أي اعتناء.

عندما خرجت "ريتا" من المستشفى، ذهبت "سولاميتا" لاصطحابها، كنت مثقلًا بعبء العمل في بيت "بيرابا"، لأن "دونا لو" تتنقل من طبيب إلى آخر، ليس فقط في "كورومبا"، ولكن أيضًا في "كامبو جراند"، دائمًا ما اصطحبها لأنها تشعر بالأمان معي هكذا أخبرني زوجها، في الواقع، كان "خوسيه" سهل الانكسار تحت وطأة المتاعب، لم يكن يتحمل رؤية زوجته تموت بالبطيء بسبب وفاة ابنهما، حتى الشرطة التي قالت سابقًا إنهم سيجدونه أو يجدون جثته، لم يعد لديها أي أمل، لا بد أنهم يراهنون على إمكانية اختفاء الابن في النهر، ولأن "خوسيه بيرابا" لا يمكنه تحمل مزيد من المعاناة، ورؤية زوجته وهي تعاني؛ انصرف إلى مزرعته تاركًا زوجته تموت معي أنا و"دالفا"، كل يوم تظهر عليها مشكلة صحية جديدة؛ آلام الرقبة، وفي يوم آخر في الصدغ، ثم في الرقبة والصدغ معًا، تشعر بخدر في ذراعيها، وخز في ساقيها، عدم انتظام دقات القلب، تقيؤ،

Twitter: @ketab_n

ودائمًا بعض الأعراض الجديدة، والأطباء الجدد، لكنني أعرف أنه إذا ظهر ابنها، أو حتى جثته، سينتهي هذا المرض، حدث الشيء نفسه مع والدتي، في البداية كان المرض مجرد خيال، نوع من الابتزاز الذي يستخدمه الجسم ضد العقل، وبعد ذلك، مع مرور الوقت، يصبح سرطانًا حقيقيًّا، هذا ما حدث لأمي أمام عيني، أُصيبت بسرطان البنكرياس، أخبرتني "دونا لو" بنفسها أنه خلال الأعوام السبعة والعشرين الماضية كانت حياتها هي حبها لابنها، أي شيء آخر ثانوي:

- فليسامحني الرب، بعد ولادة ابني، كل شيء حتى الرب القدير أصبح في المرتبة الثانية، في المرتبة الأولى ابني يليه كل شيء؛ الرب، زوجي، ذكرى والديَّ الحبيبين، حتى نفسي.

في منتصف الليل، سألت "دونا لو" الطبّاخة "دالفا" عندما جاءت لتبقى معها في الليل أثناء غياب زوجها:

- ما الذي حل بي؟

لم يكن داؤها قد أصبح مرضًا بعد، لكن الأعراض التي سوف تصبح سرطانًا في المستقبل، تُسمى "أين ابني؟ أريد ابني ثانيةً، أعيدوه لي"، وتلك هي المشكلة.

لم أستطع التفكير في "ريتا"، لكن "سولاميتا" سألتني عند خروج "ريتا" من المستشفى:

- ما الذي سنفعله معها؟

- "ريتا" فتاة ناضجة، يمكنها الاعتناء بنفسها.

تلك الليلة، عندما وصلت إلى بيت "سولاميتا" لم أصدق ما رأيت، "ريتا" بوجهها المتبجح، وأظافرها الحمراء المقشرة، تجلس على الترابيزة، تتناول الطعام مع عائلتي؛ حماي، وحماتي، وأخت زوجتي.

استقبلوها وعاملوها بمنتهى المودة واللطف، حتى إنها تنام في الغرفة نفسها مع "ريجينا"، وسريرها مغطى بالملاءات، وملابسها مغسولة. قالت لها حماتي وهي تناولها طبق الحساء:

- لا بد أن تتغذي.

كل هذا يدفعني إلى الجنون.

في أحد الأيام، عندما كنّا وحدنا في غرفة المعيشة، قلت لـ"ريتا":

- إذا كان ما قلتِه عن كوني أبا الطفل صحيحًا فلا بد أن تعرفي أنني لن أعترف بأي شيء، خذي هذه النقود وتخلصي من ذلك الشيء الذي تحملينه في بطنك أو اذهبي إلى الجحيم، اذهبي به إلى أي مكان بعيدًا عني، ليس من حقك تسميم حياة "كارلو"، ثم تسميم حياتي، خطتك لإفساد حياتينا انتهت، أعلني انتصارك علينا وارحلي.

قلت هذه الأشياء إلى "ريتا" متوقعًا منها أن تصفعني وتلقي بالمال على الأرض، لكنها لم تبدِ أي رد فعل، تقريبًا لم أعد أعرف "ريتا"، وأين ذهبت سخريتها؟

Twitter: @ketab_n

إنها تحاول خداعك، "**حوِّلْ**"، كانت تلك الأيام التي بدأت أشعر فيها بشيء غريب، كما لو أن هاتفي الداخلي، الذي كنت أشعر به عندما كنت أعمل في التسويق عبر تليفون، عندما كنت أقضي أيامًا كاملة أقول فيها "**حوِّلْ**"، وأسمعها كما لو أن ذلك الهاتف الداخلي عاد للعمل، ليبلغني أمورًا، رغمًا عن إرادتي، هاتف خفي، صوت داخلي، إنه ملكي، لكنه في الوقت نفسه مستقل، وعفوي، يقول لي: إنها تعتقد أنك غبي، أنك ابن امبارح "**حوِّلْ**"، خطر، خطر، "**حوِّلْ**".

شعرت وكأن رأسي مثل حلة ضغط، كل شيء يقلقني، "ريتا"، "سولاميتا"، "دونا لو"، "موسيير"، والكوكايين، كل شيء.

في أحد أيام الجمعة قلت لـ"سولاميتا":

- دعينا نخرج من هنا.

وذهبنا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في أحد فنادق المنطقة الذي يقدم غرفة بالإفطار. كان "موسيير" قد منحني للتو مبلغًا من المال لذا لم أفكر حتى في ترشيد النفقات، سألتني "سولاميتا" عندما دخلنا استقبال الفندق:

- ألا تعتقد أنّه مكلِّفٌ جدًّا؟

مقاعد فخمة، أريكة زرقاء كبيرة وكراسي عليها زخارف نباتية يجلس عليها عدد قليل من السياح الذين يخططون لرحلات، همست "سولاميتا":

- لا بد أنّه مكلف للغاية، كذبت عليها قائلًا إن "دونا لو" عضو في إدارة الفندق، وإنها أعطتنا قضاء عطلة نهاية الأسبوع كهدية، قالت:

- إذا أنفقنا المزيد لن ندخر، ولن يمكننا الانتقال إلا إذا بنينا عشنا، ولا نسرف، بل ندخر وننفق باقتصاد، كررت ذلك طوال الوقت كما لو كانت صلاة.

لكنني كنت أنفق كل ما معي، لم أستطع السيطرة على نفسي، طلبت مني "سيرافينا" بعض المال لزيارة قبيلتها، فدفعت للزيارة، ثم طلب حماي مالًا ليصلح سطح منزله، فدفعت للإصلاح، أكد عليّ ألا أذكر شيئًا لـ"سولاميتا"، وبعدها طلب المزيد، فمنحته رغم أنني لم أكن أفهم لماذا، لاحقًا أخبرني أنه يريد المزيد من المال لكي يبني غرفة في الجزء الخلفي لي و"سولاميتا"، فأعطيته المزيد من المال، حتى حذرتني "سولاميتا" قائلة:

- إذا طلب منك والدي مالًا لا تعطه، أشك أن لديه عائلة أخرى.

حذرتني متأخرًا جدًّا؛ كان العجوز قد حصل بالفعل على حصة جيدة من المال لحبيبته. هذا إذا كانت لديه حبيبة بالفعل.

حتى اليوم، عندما أغمض عيني، أتذكر تلك العطلة، لم نترك الغرفة إلا للتمشية والسباحة، قضينا الصباح نعوم في البحيرة، نستشعر أشعة الشمس على جسدينا، وبعد الغداء ننام ونمارس الحب، أحيانًا تغادر "سولاميتا" الغرفة كي تركب الخيل، ولكنني كنت أظل في الغرفة، شاعرًا

Twitter: @ketab_n

أن كل شيء سيكون على ما يرام، "**حوِّلْ**"، ليس كل شيء سيكون على ما يرام، "**حوِّلْ**"، كن حذرًا، "**حوِّلْ**"، أفكر إن أكثر هواجسي كانت إنذارات كاذبة، إنها حقيقية، "**حوِّلْ**"، كن حذرًا، أكرر بل ليست حقيقية، رغم كل شيء من الذي لن يندهش من رؤية كل هذه المعاناة؟ أعتقد أنه شيء جيد أن "ريتا" هي التي عانت، وأن "كارلو" هو الذي عانى، وأن "دونا لو" هي التي عانت، "**حوِّلْ**"، أن يعانيا أفضل من أن أعاني أنا، حتى الآن كل شيء على ما يرام، أنا في أمان في غرفة النوم هذه ذات الستائر، زرقاء، كل شيء فيها أزرق كالسماء الزرقاء بالخارج. أسود، "**حوِّلْ**".

عندما عدنا مساء الأحد وجدنا أم "سولاميتا" حزينة، قالت بتعبير بائس:

- "ريتا" رحلت، قالت إنها كانت تود عناقك، إنني أحب تلك الفتاة حقًّا، كانت صبورة جدًّا مع "ريجينا".

- هل تركت رسالة؟

- لا، مجرد عناق.

تركتهم حزينًا، محطمًا، كأنني لا شيء، كيف أمكنني التعامل مع "ريتا" الحامل بهذه الطريقة؟ لا أعرف أين يمكنني البحث عنها، جاءتني فكرة سخيفة بطلب مساعدة "كارلو"، حتى إنني اتصلت بابن عمي، لكنني أغلقت الخط عندما رد عليّ بصوت مخمور، كان يشرب في الآونة الأخيرة، ويبكي عند باب زوجته السابقة، هذا ما قيل لي.

Twitter: @ketab_n

في تلك الليلة جلست في الخارج أمام الورشة، على أمل أن تظهر، مر الوقت، وحل الظلام، بينما أنظر إلى الشارع المهجور، وأعمدة خطوط التليفون، كل شيء صامت. لا أسمع سوى صوت ضربات قلبي. في الصباح ذهبت إلى غرفتي، وبمجرد أن استلقيت بدأ الصراخ، عليهم اللعنة. دفنت رأسي تحت الوسائد، لم أستيقظ إلا عندما سمعت صوت صفارات عربة الشرطة.

نزلت كما أنا بالسروال الداخلي دون قميص، كان "موسيير" يضرب "إليانا"؛ لا بد أن القاعدة في "كورومبا" هي أن تضرب زوجتك، بتلك الطريقة ينسجم الأزواج بالضرب، وإسالة الدماء.

رجلا شرطة يتحدثان، متكئان على سيارة الدورية، بينما آخران داخل البيت يحاولان تهدئة الوضع.

وقفت هناك، متوترًا، أخفي مشاعري بالأحاديث القصيرة، لا أفكر في أي شيء إلا المخدرات.

- إنه رجل جيد. هناك نساء يستحققن الصفع من وقت لآخر.

وافقني أحد رجال الشرطة.

ورد آخر:

- بعضهن يحببن ذلك.

ضحكنا، واعتقدت أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد، ولكن بعد ذلك خرج أحد رجال الشرطة من البيت وطلب الكلبشات قائلًا:

Twitter: @ketab_n

- وجدنا عشر كيلوجرام بودرة مع المتهم.

- عشر كيلوجرام؟

- تقريبًا عشر كيلوجرام.

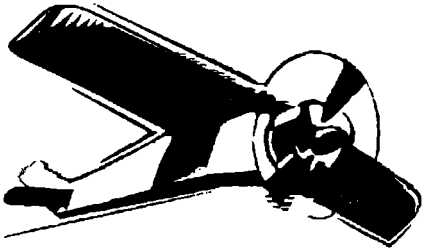

إلى أي عالم ينتمي الميت؟ لعالم آخر

إلى أي عالم ينتمي المال؟ لهذا العالم

تشارلز ديكنز

"صديقنا المشترك"

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الجزء الثاني

اللص

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

17

سأل "راميريز":

- كم لديك؟

كنا قد عدنا إلى شرفة مصنعه في "بويرتو سواريز". شبكات الصرف الصحي في تلك المنطقة مكشوفة، ورائحة الفضلات تملأ الجو. شعرت بالغثيان. تهت في الطريق إليه، يمين، يسار، يمين، يسار مرة أخرى محاولًا تذكر الطريق الذي سلكته في زيارتي الأولى، ولكن اختلط عليّ الأمر، حاولت أكثر من مرة، ولكنني احترتُ أكثر، كان لا بد من العودة إلى وسط المدينة كي أتصل بـ"خوان"، وأدون الاتجاهات، والآن أشعر بالإحراج، غارقًا في العرق، لن ينتهي الأمر على خير. "**حوِّلْ**".

استمع "خوان" لحديثنا، بينما يُعلِّم امرأتين كيف تديران المكبس، بينما كانت ثالثة، أصغر سنًا وأكثر بدانة، تستخدم ماكينة الحلاقة

Twitter: @ketab_n

الكهربائية لتقصير شعر"راميريز" حتى إن ما تبقى من شعره الأسود أصبح يشبه القنفذ، قال "راميريز" مؤكدًا:

- كن واضحًا، أكره أن يبدأ أي شخص حديثه بكلمة "أظن"، أريد أن أعرف كم لديك بالضبط لتعطيه لي.

لم يكن لدي أي شيء، صرفت المال كله، وأخبرني "موسيير" عندما زرته في السجن في اليوم السابق الشيء نفسه، لم يتبق شيء، قام بسداد كل مديونياته. والباقي سدد به أقساط الثلاجة، والتليفزيون، والغسالة؛ يبدو منزل "موسيير" مثل فاترينة محلات الأجهزة الكهربائية، قال "موسيير":

- كل ذلك بسبب تلك العاهرة التي أفعل كل شيء لإرضائها، لكن لا شيء يجدي نفعًا معها، الخائنة، وجدت رسالة من الجزار يرتب معها موعدًا خلف محل الجزارة، ووقَّعها بـ"أنا أيضًا أحبك".

كنت قد ذهبت لرؤيته للحديث عن مشكلتنا، ولأطلب منه أن يبقي فمه مغلقًا، وألا يورطني في أي شيء، ولنرَ ما سنفعل بشأن "راميريز"، ولكن "موسيير" لم يكن مهتمًا إلا بـ"إليانا"، فلقد جن جنونه بسبب اكتشافه أن زوجته تحب الجزار، كل ما يفكر فيه هو إذا كان "ألسيو" قد كتب "أحبك أيضًا"، مشددًا على "أيضًا"، فهذا يعني إن "إليانا" كتبت له من قبل "أحبك"، أليس كذلك؟

حاولت إعادته إلى الواقع، سألته:

- كيف سنخرج من هنا؟

كررت السؤال أكثر من مرة، فأجابني:

- أفضلُ أن أظل سجينًا على أن أرى "إليانا" مع "ألسيو"، كيف يمكنني النظر في عيون الناس؟ جيراني؟ ماذا سيقولون؟ وأطفالي؟

- دعك من "إليانا"، اطرد هذه العاهرة من حياتك، بشعة.

- بشعة؟ "إليانا"؟

لم يحب "موسيير" سماع ذلك، هو الوحيد الذي يمكنه سب امرأته البدينة القزمة، رد عليّ:

- لا تُهن "إليانا"، إنها حياتي. ما حدث ليس خطأها، أعرف زوجتي جيدًا، هي لن تقع في حب أحول يجر ماعز وراءه مثل "ألسيو"، لكن محل الجزارة يستحق، إنها تحب محل الجزارة، لطالما ظللت أسأل إن كان محل الجزارة ملكه حقًا؟

الآن أقف أمام "راميريز"، بذلتُ جهدًا لفهم ما يُقال، لم يكن حوارنا سلسًا، كنت عصبيًا، وفوق كل هذا لم تسعفني إسبانيتي الركيكة، تشوشت، وزاد ضجيج ماكينة الحلاقة الكهربائية الطين بلة، ظللت أكرر:

- ماذا؟.. غير متأكد.. ماذا تقول؟

سألني "راميريز" باستياء:

- هل "بوركو" أصم؟

Twitter: @ketab_n

مما اضطر "خوان" إلى ترك ماكينة الحلاقة واستخدام مزيج من الإسبانية والبرتغالية لترجمة كلام المهربين.

قال "راميريز":

- إن الأمر في غاية البساطة، أخبرني "موسيير" أن زوجتك تعمل مع الشرطة، أليس كذلك؟ تحدث مع زوجتك، وقل لها أن تعيد المخدرات المصادرة.

أربكني ما قاله، لم يدرِ في خلدي أبدًا توريط "سولاميتا" في الموضوع. أول ما خطر ببالي أنني غبي؛ كيف اعتمدت على "موسيير"؟ جميعنا نعتقد أن الشر يأتينا من حيث لا ندري، لكن الحقيقة هي أننا نفتح له الباب بأنفسنا عندما نثق في هندي ملعون ثرثار.

سألني "راميريز":

- ما اسم زوجتك؟

- زوجتي السابقة.

كررت:

- السابقة، نحن منفصلان، في الواقع لم نكن متزوجين، كنا عاشقين فقط، كانت تعمل في المركز كمساعد إداري، لكنها الآن تعمل في المشرحة.

قال:

- آها "بوركو" هذا يفسر لماذا تم القبض عليك، دعني أقول لك شيئًا، لم يكن من المفترض أن تنفصلا، لا توجد امرأة تحب أن يقصيها أحدٌ من حياته، أبلغت عنك، هذا ما حدث.

Twitter: @ketab_n

- لم أركل أحدًا، ولست أنا الذي تم القبض عليه، بل "موسيير".

- لا يهمني بتاتًا أي هراء حدث، أنت تكلفني مالًا.

تحدث "راميريز" دون النظر إليّ، محدقًا فقط في مرآة في يديه، الجزء الأمامي من شعره يبدو بالفعل مثل القنفذ، ولكن الجزء الخلفي لم يُشَذَّبْ بعد فبدا كجناح النسر.

- فقط، انظر إلى الموقف الذي وضعتني فيه يا "بوركو"، أنت ظهرت هنا، أخذت عشر كيلوجرام تحت الحساب.

قلت:

- خمسة كيلوجرامات.

قال مصرًا:

- عشرة، كان جزءًا من اتفاقنا توصيل خمسة أخرى في "كورومبا"، وهو ما لم يحدث، مرتان حاول أحد رجالي تسلم المخدرات، التي سوف تؤخذ إلى "أراركورا". و"موسيير" لم يكن هناك، والآن تخبرني أن الشحنة تم الاستيلاء عليها، وأنك ليس لديك وسيلة للدفع، وعندما أبلغت عنّا صديقتك..

قاطعته:

- توقف، هي لم تبلغ عن أي شخص.

أخبرته عن المشاجرة بين "موسيير" وزوجته، الشرطة تدخلت بسبب المشاجرة.

Twitter: @ketab_n

- أؤكد لك لم يكن هناك أي خيانة.

- بالطبع كانت هناك خيانة، صديقتك هي الخائنة.

الآن أحسست وكأن ماكينة قص الشعر داخل رأسي، تجز أفكاري، كنت أتعرق، حتى ابتل قميص العمل، فكرت في المرور على بيتي قبل العودة إلى بيت "بيرابا".

قال:

- دعنا نواصل الحوار، أولًا، "موسيير" لا بد أن يبقي فمه مغلقًا، لأنه إذا تحدث، أخشى أن تكون حياته في خطر. سمعت أن الرجال الذين يثرثرون يموتون مشنوقين في زنازينهم، عارٌ، ولكنه يحدث، ثانيًا، أنتما الاثنان مدينان لي بخمسين ألف دولار؛ ثلاثين للمنتج وعشرين للخسارة، ثالثًا، سأعطيك شهرًا مهلة ولا يوم زيادة لتسلمني المبلغ، إنني أفعل فيك معروفًا لأنني أحب "موسيير"، رابعًا، لأكون واضحًا جدًّا، إذا لم تدفع سأذهب لمنزلك، وسأقتلك يا "بوركو" عديم الفائدة، وسأقتل صديقتك وأقاربها، وعائلة "موسيير" لأنتقم. الآن أخرج من هنا حتى أقص شعري في سلام.

في طريق العودة، كنت محبطًا تمامًا، لقد انتهى أمري، "**حوِّلْ**"، أين سأجد خمسين ألف دولار؟ كنت أرغب بشدة في أن أكون في هذه اللحظة مع "ريتا"، على متن قارب، نستمع إلى صوت الماء، أين هي "ريتا"؟

سمعت في الراديو أن سيدة إنجليزية تقف على "الكاشير" في سوبر ماركت، فازت بمليوني إسترليني في اليانصيب، وهو ما يقرب من ثمانية

Twitter: @ketab_n

ملايين بعملتنا. أمر مؤسف، أن يحدث هذا لها ولا يحدث لي. فكرت في أن الأشياء السيئة جدًّا – والأشياء الجيدة جدًّا – تحدث للآخرين فقط. فقط الآخرون تقطع رؤوسهم بشفرات طائرة هليكوبتر. فقط الآخرون يفقدون معظم ثرواتهم في البورصة، ولكن من الناحية الأخرى، الآخرون فقط هم من يحققون ربحًا هائلًا بالبورصة. فقط الآخرون. الحياة هي الآخرون. ونظل نحن البقية هنا، نسمع ونتفرج على حياتهم في مجلات المشاهير والأخبار على شاشة التليفزيون.

عندما مررت بشاحنة معطلة فكرت أن حلي الوحيد هو "دونا لو"، ماذا لو حدثتها؟ ماذا لو قلت لها الحقيقة؟ لقد كانت تقول دائمًا إنها تحبني، تحب أن أقود أنا سيارتها، أن أفتح لها الأبواب وأغلقها، أن أقول لها "شكرًا"، و"نعم يا سيدتي"، بالتأكيد لو كنت ابنها لكانت دفعت لي، لكنني لست ابنها، "**حوِّلْ**"، ابنها هو أحد الآخرين، "**حوِّلْ**"، هم الذين لديهم طائرات هليكوبتر، ومخدرات، رغم أن المخدرات كانت ملكًا لابنها، أعني ليست تلك المخدرات تحديدًا، لكن تلك التي بيعت من قبل، بطريقة ما كان ابنها متورطًا في وضعي المعقد، لولا ابنها لما كنت في هذه الفوضى.

في البيت، وبينما أُغَيِّر ملابسي، كنت قد تأخرت بالفعل عن العمل، اكتشفت أنني لم يعد لديّ أي نقود، تسللت إلى السندرة للحصول على الورقات المالية القليلة الأخيرة التي أعطاها لي "موسيير" قبل اعتقاله، عندها رأيت حقيبة ظهر "جونيور".

Twitter: @ketab_n

أخذتها، ألقيت محتوياتها على سريري: بطاقات ائتمان، سلسلة مفاتيح، بطاقة هوية، ورخصة قيادة، شاهدت الصور في الوثائق، وشابًّا حسن المظهر، وسيمًا. وضعت النظارة الشمسية، ونظرت إلى نفسي في المرآة. من يولدون أغنياء هم فقط من يملكون رفاهية الموت في طائراتهم الخاصة.

فتحت الموبايل، ظهر لي إشعار "لديك رسائل جديدة" على الشاشة، قال تسجيل صوتي: أدخل كودك الشخصي، جرَّبت يوم وسنة ميلاد "جونيور"، لا شيء، ظهرت الرسائل عندما كتبت جزءًا من رقم هويته، كانت أول رسالة بصوت "دونا لو" تسأله متى سيصل؟ والدك يريد العشاء مبكرًا لأنه سيسافر غدًا، اتصل بي، أحبك يا عزيزي، رسالة أخرى من "دانييلا" خطيبته: أهلًا يا حبي، "جيل" يدعونا إلى بيته اليوم، "ريكي و"لورا" سيذهبان، و"جابي" هنا أيضًا، عندما تصل اتصل بي في البيت.

كانت هناك رسائل أخرى من "دونا لو"، وبدا واضحًا أنهم قد أُرسلوا بعد الحادث، في الواقع لم تحتوِ الرسائل على شيء سوى البكاء، والعويل، والألم المتكرر الذي يخترق النفس كآلة حادة، إذا كان لا بد أن أحدد متى طرأت لي فكرة ابتزاز "دونا لو" فهي تلك اللحظة، عندما كنت في السرير أستمع إلى تلك التسجيلات، شيءٌ ما طفا على السطح في تلك اللحظة، جزء مني غارق في أعماق مستنقعي من الشر، "**حوِّلْ**"، وماذا لو كنت تبتز العائلة، "**حوِّلْ**"؟ ماذا لو قلت إنك تعرف مكان الجثة؟ وتطلب مالًا في مقابلها؟ "**حوِّلْ**".

أحب "دونا لو" كثيرًا، ولكن ذلك لم يمنعني من التفكير في هذه الحيلة الرهيبة، إن هذا ليس سوى ظلم تام، أنا طيب، على الأقل لست

Twitter: @ketab_n

شريرًا، عاديًّا، تقريبًا طيب، لأعترف بالحقيقة أنا محايد. أخطئ دائمًا، صحيح أنني دفعت مندوبة المبيعات إلى الهاوية بصفاقة، صحيحٌ أنني كنت على علاقة غرامية بزوجة ابن عمي. كذبت كثيرًا في حياتي، لكنني لا أفعل أشياء معينة، لا أقتل، أو أسرق، أو أستغل الآلام أم، أو أبتز أمًا تعاني، "**حوِّلْ**". سأحصل على المال من جثة ابنها. فرصة "**حوِّلْ**". أم تعرفها اسمها "دونا لو"، "**حوِّلْ**"، خمسين ألف دولار، "**حوِّلْ**"، إذا كان هذا الشر بداخلي، يحاول الخروج فسأضع حدًا لذلك.

أنت تتغابى، "**حوِّلْ**"، هذا ما كان الراديو الداخلي، الذي لم أعد قادرًا على إسكاته، يقوله لي، أفكر ويعارضني محاولًا دائمًا إظهار أنني مخطئ، الخير مثل الإله، خيال، "**حوِّلْ**"، يُولد الإنسان شريرًا ويزداد شرًا مع الوقت، لذلك لا بد من المُضي قدمًا في خطتي الشيطانية.

كنت لا أزال في حالة من التشويش. غيَّرتُ ملابسي وابتلت مجددًا، أستعد للعودة إلى العمل، ولكن من دون قلب لمواجهة الحرارة في الخارج، فكرت أن أتصل بـ"بيرابا"، وأخبرهم بأنني لست في حالة جيدة، وفي تلك اللحظة اتصلت بي "دالفا".

سألتني بقلق:

- أين أنت؟ اذهب إلى المستشفى لأمر عاجل.

أعدت كل شيء إلى السندرة وانطلقت.

Twitter: @ketab_n

18

قالت "دالفا" عندما وصلت إلى المستشفى:

- فظيع، فظيع، تلك الفتاة، خطيبة "جونيور" جاءت إلى المنزل هذا الصباح، بعد أن كانت "دونا لو" قد بدأت اليوم بداية جيدة؛ حتى إنني تمكنت من جعلها تشرب قليلًا من الحليب، ذهبنا للتنزه في الحديقة، وتشمست قليلًا في الشرفة، كانت في حالة جيدة حقًّا، تحدثنا، وسألتني ما إذا كنتَ ستصل سريعًا، لأنها ترغب في الذهاب إلى الكنيسة، اعتقدت أن اليوم سيكون أفضل، ولكن بعد ذلك وصلت "دانييلا"، أنت تعرفها، لم أرَ قط شخصًا مدللًا للغاية مثل تلك الفتاة المرفهة، وصلت منتعشة من صالون التجميل، أظافر قدميها ويديها ملونة بدقة فائقة حتى إنك تستطيع شم رائحة الطلاء، تعرفه؟ رائحة طلاء الأظافر الجديد؟ وبدأت تقول كيف إنها في معاناة ومكتئبة، وإنها لا تستطيع تحمل المزيد، بينما أكتفي بالنظر إلى أظافرها الحمراء، الفتاة تذهب لطلاء أظافرها، ثم تعاني! كل أظافرها مشذبة! هذا ما لا يمكنني فهمه، المعاناة ليس لديها

Twitter: @ketab_n

أظافر حمراء، انظر إلى "دونا لو"؛ إنها لا تغسل أسنانها حتى ما لم أضع لها المعجون على الفرشاة، لا تستطيع حتى أن تفعل أبسط الأشياء، تمشيط شعرها، وارتداء الملابس، والأخرى تذهب لطلاء أظافرها، وفي الحال بكت الاثنتان، تعانقتا، انتحيت بالفتاة جانبًا وقلت لها: اسمعي يا "داني"، أعتقد أنه سيكون من الأفضل لك المغادرة، "دونا لو" ضعيفة جدًا، ولا تستطيع تحمُّل الانفعالات العاطفية الزائدة، ولكن "داني" تصرفت كما لو أنها لم تسمعني، عانقتني، وبكت، ووقفت تنتحب، وتندب كما لو أنها أرملة، عندما غادرت، سقطت "دونا لو" على الأرض، كما تعرف، المثير للشفقة أنها رقيقة، وواهية للغاية لدرجة أنها لا تستطيع الوقوف على قدميها. عندما ذهبت إليها بحساء الغداء، وجدتها ساقطة بجوار علب الأدوية الفارغة التي ابتلعتها، فظيع.

شعرت بحزن ليس فقط لأجل "دونا لو"، لكن لأنني قضيت الصباح في التفكير في وسيلة ما لخداع امرأة حاولت الانتحار منذ قليل، وهي تحبني، وتثق بي، كيف يمكنني الإساءة إلى "دونا لو"؟

تركتني "دالفا" لشراء فاكهة، وذهب "خوسيه" إلى البيت لأخذ حمَّام. قال إنه لن يغيب طويلًا، ظللت وحدي في غرفة الانتظار أراقب حركة الممرضات.

Twitter: @ketab_n

كانت الرابعة فجرًا تقريبًا عندما سمعت حفيفًا؛ "دونا لو" صامتة كقط عجوز، ذهبت إلى الغرفة فوجدتها مستيقظة، سألتها إن كانت بحاجة إلى أي شيء، وأخبرتها بأن "خوسيه" و"دالفا" سيعودان وأنني لن أغادر، لذا من الأفضل لها أن تستريح، ابتسمت بوهن، أخذت يدها وقلت لها إنني أفهم تمامًا ما يمرون به، حاكيًا قصة أبي بطريقة لم أفعلها من قبل:

- لعدة سنوات كان الأمر يبدو كما لو أنني أخجل مما حدث لوالدي، كيف يمكن لشخص أن يستيقظ، يتناول إفطاره، يقبّل زوجته وابنه، ويذهب إلى العمل قائلًا "أراكم لاحقًا"، ثم لا يعود بعدها أبدًا؟ بالنسبة لي كنت أعتقد دائمًا أنني السبب، وليس أبي، كانت أمي هي المشكلة، كلانا معًا كنّا عبئًا ثقيلًا على أبي، وعلى الرغم من ذلك لا بد أن أعترف كم كان صعبًا عليّ فهم مثل هذه النهاية.

ليس هكذا ينتهي الأشخاص، كان فشلَ نظامٍ، خطأً شخصٍ، هذا ما اعتقدته، لكن في ذلك اليوم حكيت القصة بكلمات أخرى، ربما لأنه بدا لي، على الأقل وقتئذٍ في المستشفى، أنني و"دونا لو" ننتمي إلى الفريق نفسه، أولئك الذين يجهلون ما حدث لأفراد أسرتهم، فريق "آخر من يعلم"، فوجئت بشجاعتي في ذلك اليوم، تطلب الأمر قدرًا من الوقاحة كي أتحدث عن هجره لنا، حتى عندما لا يوجد مَنْ ألومه، تحدثت دون حرج، حكيت لها كيف ترك أبي المنزل وتبخر كالأثير، وكيف أنه لم يظهر حتى في محل بيع الأحذية الذي كان يديره، حتى أبلغت بائعات المحل أمي أنهن

Twitter: @ketab_n

مرعوبات، ولا يعرفن ما يفعلن بشأن الطلبيات، والمدفوعات. سألت إحداهن أمي:

- أين السجلات؟

ردت عليها:

- لقد رحل بالملابس التي عليه.

كررنا قولنا هذا كما لو كنا نريد أن نثبت على نحو ما أننا لسنا السبب في اختفائه. وفي الليل احتضنتني أمي في السرير، وانتحبت قائلة لا بد أن شيئًا فظيعًا قد حدث لأبي، شيء فظيع جدًا، الأمر الذي ملأني بالخوف، تخيلت شيئًا مخيفًا لا يمكن تصوره حتى، شيء مختلف عن تعرضه لحادث إطلاق نار، بل أسوأ من ذلك، إنه الشر في جوهره، وفي شكله النهائي، إنه تمامًا مربع كالسقوط في الهاوية. كانت أمي تقول لو كان حيًّا، لكان اتصل، ورغم أن أبي لم يتصل أبدًا فإننا لم نعرف يقينًا إن كان قد مات أو قُتل أو صُدم ودُفن في مقابر الصدقة أو هرب مع امرأة أخرى.

كما حكيت عن زياراتنا المنتظمة إلى المستشفيات ومراكز الشرطة، عن الأدلة الكاذبة، ومطاردات الوهم، أملنا المتواصل الذي انتهى يوم وفاة أمي، عندما دفنت أمي دفنت أبي معها في القبر نفسه، كان لا بد من دفن أبي، وترتيب جنازة، لكن دون دفن جثة، ولو رمزية على الأقل حتى أستطيع المواصلة.

Twitter: @ketab_n

كانت عينا "دونا لو" مغلقتين، بدت وكأنها لم تسمعني، واصلت الكلام قليلًا حتى لاحظت الدموع تنهمر من عينيها وتسقط على الوسادة.

جاءت المرضة لتحقنها، وسألت "دونا لو" ما إذا كانت تفضل مغادرتي، لم تجب لكنها تشبثت بيدي، انتظرتها حتى تأخذ الدواء وتركتها عندما رأيتها نائمة.

لاحقًا، جاءت "دانييلا" لزيارتها حاملة إليها الزهور والشيكولاتة، أخبرتها أنها نائمة، فجلست بجانبي في بنطلونها الضيق، وشعرها المنسدل حتى خصرها، إنها تشع بالثراء، تنضح من مسامها وتتلألأ أمامنا كالماس.

قالت:

- لقد فقدت الأمل.

- في ماذا؟

- مات "جونيور". لن نعثر عليه.

- ولماذا أتيت إلى هنا؟

- ماذا؟

- لماذا تستمرين في إفساد حياة "دونا لو"؟

كنت أتحدث دون تفكير، لكن بمجرد أن بدأت واصلت بإصرار، سائلًا إياها عن سبب استمرارها في زيارة "دونا لو" وتعذيبها، لماذا لا تواصل حياتها الخاصة، وتعثر على صديق آخر، وتسافر معه إلى أوروبا، وهو ما سوف يكون أفضل للجميع.

- اتركي "دونا لو" في حالها.

شرعت "دانييلا" في البكاء، قلت لها في نفاد صبر:

- سأذهب لإحضار كوب من القهوة، إذا كنت تريدين الرحيل انتظري حتى تأتي المرضة أو أي شخص من العائلة.

بينما كنت أحتسي "الإسبرسو" فكرت في أن عددًا كبيرًا من الأشخاص يموتون هناك، الكثيرون لن يعودوا إلى البيت أبدًا، إنها مسألة وقت لا أكثر، سوف يذهبون إلى القبر مباشرةً. إذا تمكنت على الأقل من العثور على جثة، "**حوِّلْ**"، سيمكنني المُضي قدمًا في خطتي.

لن أفعل أي شيء من هذا، نعم، لن تفعل، "**حوِّلْ**"، مُحال، أبدًا، ليس "دونا لو". أنا لا أفعل مثل هذه الأشياء، طوال حياتي شعرت بأنني خُلقت لأفعل أشياءَ عادية، الأشياء التي يفعلها شخص تخلى عنه والده، ولكن هذا يختلف كثيرًا عن فكرة كونك شريرًا. أنا لست سيئ الطباع، أو مغتصبًا، أو مدمن كحول، أو مريضًا نفسيًّا، أو خاطفًا، أو لصًا. أفتقر إلى شجاعة فعل أشياء معينة، مثل الخطف، لكنّ هناك حدًّا لكل شيء، للاغتصاب. وعندما

Twitter: @ketab_n

أكون طيبًا، إذا لم أكن محايدًا، فعلى الأقل أنا غير مهم. وهو أمر عظيم من الناحية الأخلاقية أن تكون صفرًا أفضل من أن تكون سالبًا. سالب خمسة، سالب عشرة على مقياس الشر، خاصة في عالم اليوم، الشر في كل مكان، لا بد ألا أعول على وقت كهذا، لا بد أن أكون جزءًا من الفريق الذي – إن كان هناك يوم قيامة فعلًا - لا يستحق الجنة أو الجحيم، سأُترك هنا على الأرض، سأكون من ذلك النوع الغريب الذي لا يمكن تصنيفه.

ولكن ماذا عن "سولاميتا"؟ إنها تستطيع جلب جثة لي، "حوِّلْ"، لا يهم كم أقول لنفسي إنني غير قادر على فعل أشياء معينة، لأن الراديو السري الخاص بي يبث في رأسي أفكارًا رهيبة، أنت تظن أن هناك فارقًا كبيرًا بين التفكير والفعل، تقول لنفسك إن التفكير غير الفعل، إنني فقط أفكر في أشياء مخزية، لكن هذا لا يعني إنني سأفعلها، وهكذا تولد الخطط، تقول لنفسك إنه مجرد تمرين عقلي، ثم ترتب كل شيء وعند ساعة الصفر تتراجع، تضع خطة بشعة قائمة أساسًا على الاستفادة من معاناة ناس في حالة حداد، التفاصيل مروعة: تتصل بـ"دونا لو"، "حوِّلْ"، تخبرها أنك تعرف أين جثة ابنها، تحكي لها قصة يمكن تصديقها عن صيّاد وجد جثة في مياه "باراجواي".

- "دونا لو" إذا كنت تريدين جثة ابنك فالثمن هو 200 ألف دولار.

بالمال يمكنني سداد ديوني، وتسوية حياتي، كلما تقدمت في خطتي المروعة، كلما شعرتُ بالاشمئزاز، كيف يمكنني التفكير في شيء سخيف كهذا؟

عند نهاية الظهيرة، عندما أوقفت سيارتي أمام متجر "موسيير" للدراجات، جاءت "سيرافينا" للتحدث معي، كانت قد عادت للتوِ من

Twitter: @ketab_n

زيارة قبيلتها وتشعر بالقلق على ابنها، أو على الأقل هذا ما تخيلتها تقوله، بينما كنت أصعد السلالم المؤدية إلى غرفتي، كانت عصبية للغاية فلم تتمكن من التحدث سوى باللغة "الجواتية"، قلت لها:

- اهدئي يا "سيرافينا"، سيتم الاعتناء بكل شيء.

كنت أتوق لبعض من الراحة.

- لكن اتركيني وحدي قليلًا.

حينما تمكنت أخيرًا من التخلص من المرأة الهندية، لاحظت وجود "سولاميتا" جالسة على سريري، قالت:

- أهلًا.

ثم أشارت إلى حقيبة ظهر "جونيور" متسائلة:

- هل يمكنك أن تشرح لي ما هذا؟

Twitter: @ketab_n

19

كان يوم عطلة "سولاميتا"، وقد قررت انتظاري في غرفتي. وصلت في حوالي الثالثة، ورتبت الغرفة؛ قالت إنها نظمت الأدراج، غيَّرت فرش السرير، نظفت الحمَّام، وعندما كانت مستلقية على السرير تشاهد التليفزيون بعدما استحمت، سمعت رنين التليفون، قالت:

- لم يكن تليفوني، لاحظت أن الصوت قادم من السقف، أخذت كرسيًّا وفتحت السندرة، فوجدت حقيبة ظهر فيها موبايل ووثائق الطيّار الذي اختفى.

من السقف الصفيح هبت موجات من الهواء الساخن استنزفت قوتي؛ فخلعت قميصي واستلقيت بجوار "سولاميتا".

في المرة المقبلة سأغلق التليفون قبل إخفائه، "**حوِّلْ**"، فكرت إذا كانت تريد الحقيقة، فهي سهلة جدًا، كل ما عليَّ فعله هو أن أفتح فمي، "**حوِّلْ**"،

Twitter: @ketab_n

تدفقت الكلمات دون صعوبة أو رقابة، حكيت لها كل ما حدث، بداية من رحلة الصيد في نهر "باراجواي"، والانفجار في السماء، تحطم الطائرة، كيف مات الرجل أمام عيني، حكيت عن محاولتي إنقاذه، سألتها:

- هل تعرفين لماذا وجدتم حزام الأمان غير مربوط والأبواب مفتوحة؟ لأنني حاولت إنقاذه.

كررت هذه المعلومة بفخر، أردتها أن تفهم أنني حاولت مساعدة الطيار قبل أي شيء آخر، لكنها واصلت مقاطعتي، متسائلة:

- لماذا لم تبلغ الشرطة؟ لماذا تعمل عند عائلته؟ أنت تكذب، ماذا عن هذه الحقيبة؟ وهذا الموبايل؟

لم تنتظر جوابًا حتى، صرخت فيها:

- توقفي عن الأسئلة واسمعي.

- لا تلمسني.

- خطئي أنني فككت حزام الأمان، إذا كنتِ تريدين لومي فليكن على ذلك وعلى ترك أبواب الطائرة مفتوحة، أما بالنسبة للموبايل، وحقيبة الظهر، فما فائدتهما له؟ كان قد مات، فلا هو ولا عائلته سيبحثون عنها.

قالت:

- كنت في تلك الطائرة ورأيت ذلك الشاب؟

فأعدت حكاية ما حدث موضحًا أن الطيار ربما جرفه التيار والتهمته أسماك "البيرانا" المفترسة، هذه نظريتي.

Twitter: @ketab_n

بالخارج، كان الأطفال يقفزون الحبل، للحظة كان الصوت الوحيد هو صوت القفز على الرصيف متزامنًا مع ضربات قلبي، دون مراعاة للعواقب حكيت بقية القصة، قلت إنني وجدت كيلو من مسحوق الكوكايين داخل الطائرة، فبعته، ولذلك لم أبلغ الشرطة عن الحادث، حكيت عن صفقتي مع "راميريز"، وأن "موسيير" كان شريكي، واصلت الحكي حتى حديثي مع "البوليفي" في صباح ذلك اليوم، وبينما أواصل الحكي انسحبت "سولاميتا"، تمددت كما لو كانت كلماتي نوعًا من الغاز المسبب للشلل، في النهاية كانت تجلس على سريري، رأسها بين يديها، تحدق في الأرض، وتردد:

- مستحيل، مستحيل.

كما حكيت لها عن وظيفتي وكيف انتهى بي الأمر في منزل "بيرابا"، قلت شيئًا عن النسور والجثث المتعفنة، قلت في نفسي، لا بد أنني أفتقد بكاء أمي، ربما جاءتني هذه الوظيفة حتى أتمكن من المعاناة مع "دونا لو" كما كنت أعاني مع أمي، ربما كان الألم البديل هو شكل من أشكال المتعة البديلة، لكنني لم أستخدم تلك الكلمات، لم أكن واضحًا، حكيت عن أمي وأبي وكم أفتقدهما، خالطًا كل شيء بـ"دونا لو"، وأنهيت حكاياتي بالوعود، قلت:

- لا شيء سيتغير، سنمضي قدمًا في خططنا، في ضميري أنا لم أفعل أي شيء خطأ، وأنني أبذل أقصى ما في وسعي، لا بد أن تثقي بي.

شعرت بسلام عميق بعدما ألقيت بخطاياي المشتعلة على "سولاميتا". كان الأمر كما لو أن العبء الآن يخصها أيضًا، يخصنا معًا،

Twitter: @ketab_n

تمامًا كفكرة الزواج التي دفعتني دفعًا إلى قبولها. جلست على السرير، حاولت معانقتها لكنها ابتعدت، قالت:

- لا بد أن أرحل عن هنا وأذهب إلى القسم فورًا.

ظللنا صامتين لبرهة، ثم سألتني:

- كيف استطعت فعل هذا من وراء ظهري؟

- الأمر ليس له علاقة بك.

- ما الذي سيحدث الآن؟ ما الذي سيحدث لك؟ ولي؟

- إذا ساعدتيني سنجد مخرجًا من كل هذا.

- كيف؟ هل تعتقد أنك ستتمكن من خداع الشرطة وأسرة "جونيور"، والمهربين، الاحتيال عليهم جميعًا؟ كيف ستحصل على خمسين ألف دولار كي تدفعهم إلى "راميريز"؟

سألتها إذا كانت هناك أي وسيلة لاسترداد البودرة، صرخت:

- عن ماذا تتحدث؟ هل تعتقد أنني يمكنني الذهاب إلى المركز، وأخذ المخدرات، ثم أقول: "جويل" هذه البودرة تخص صديقي؟ يا إلهي، ليس لديك أدنى فكرة عن أي شيء. أنت مجنون.

- ربما، إذا أوضحتِ لأصدقائك في المركز....

"**حوِّلْ**"، لم أتمكن من مواصلة حديثي، في تلك اللحظة ألقت "سولاميتا" بنفسها على السرير، وانتحبت قائلة:

Twitter: @ketab_n

- ليس من حقك إفساد حياتي وحياة عائلتي، كيف أتتك الشجاعة لتدمير كل شيء هكذا؟ تدمير أحلامي؟ أجبتها:

- لم أدمر أي شيء، كل شيء فعلته كان لنا نحن الاثنين.

صرخت:

- توقف عن هذا الهراء، أنت أناني.

كل ما يحدث جعلني أشعر بالاشمئزاز: الحرارة، بكاء "سولاميتا"، وفي الخارج، صوت عمل شاحذ السكاكين على عجلته المصنفرة، فكرت إن سن سكاكيني لن يكون فكرة سيئة لمجرد الإفلات.

في تلك اللحظة بالضبط، نهضت "سولاميتا"، أخذت أشياءها، ورحلت.

صفعت الباب خلفها دون حتى أن تكلف نفسها عناء قول وداعًا.

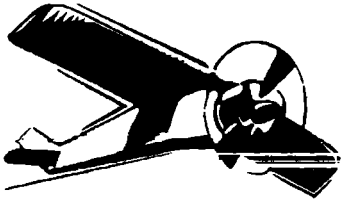

Twitter: @ketab_n

20

أخذتُ حمَّامًا باردًا، تركني أكثر انفعالًا عمّا كنت، لم أنم طوال الليلة، بسبب حرارة الجو الشديدة، أتقلب في السرير، أفكر فيما يمكنني فعله، ماذا لو أبلغت "سولاميتا" عني؟ ماذا لو قتلني "راميريز"؟ أكثر أيام السنة حرارة، قالها الراديو، وفاة ستة عشر شخصًا سحقًا تحت الأقدام في مناسبة دينية، غزو معقل طالبان، نجاح إيران في تخصيب عشرين بالمئة من اليورانيوم.

قلت لنفسي الأمور على ما يرام حتى الآن، لست متدينًا، ولا مسلحًا، ولا أعيش في إيران، ولا يزال يمكنني الهروب والعودة إلى "ساو باولو"، "حوِّلْ"، العودة إلى التسويق بالتليفون، وبيع منتجات لا يشتريها أحد.

شعرت بإحساس غريب ما بين اليأس العميق والهدوء المصطنع، بمجرد أن هدأت عدتُ للتوتر ثانيةً، فكرت في الخروج إلى الشارع كي أدخن، وأتمشى حتى الناصية محاولًا التخلص من ذلك البلاء، مفكرًا أن أقصى ما يمكن أن يحدث لي هو القتل على يد "راميريز"، أو السجن، أو العودة إلى "ساو باولو" تلك "المدينة الأخرى" هكذا أفكر فيها، المدينة

Twitter: @ketab_n

المضادة التي حولتني إلى شخص آخر مضاد يصفع الموظفات، لكنها ما زالت أحد الخيارات، فضلًا عن أنهم حتى لو طاردوني واعتقلوني، فهناك حد لسوء الحظ، لن يعتقلوني أو يقتلوني – سواء "راميريز" أو الشرطة – مرتين، لذا فإمّا السجن أو الموت، كما لو أن السجن والموت مجرد كلمات عديمة المعنى، هكذا هدأت نفسي، وفجأة كما لو أنني استيقظت من حالة الارتباك وأدركت بالضبط ما الذي يعنيه ذهابي إلى السجن أو الموت أو العودة إلى "ساو باولو".

ذهبت صباح السبت إلى السوبر ماركت مع "سيرافينا"، اشترينا لحم خنزير، وخبزًا، وبسكويت، وسجائر، ثم توجهنا إلى السجن لزيارة "موسيير".

كان مكتئبًا هذه المرة أكثر من الزيارة السابقة وقلقًا للغاية على أطفاله. جعل والدته تعده بأنها سترعى الأطفال، قال لها:

– لا تدعي "إليانا" تضربهم، إنها متوترة ويمكن إثارة أعصابها بسهولة.

أرادت "سيرافينا" أن تعرف ما الذي يحدث، فظلت تسأله أسئلة كثيرة. رد عليها:

– أمي. لن يفيد الأمر أحد إذا شرحت لكِ الوضع، كل ما عليكِ فعله هو الانتباه للأطفال، هذا كل شيء.

في النهاية طلب منها أن تتركنا على انفراد للحظات، وأخبرني أن "إليانا" هي التي وشت به، سألته:

– كيف عرفت؟

Twitter: @ketab_n

أجابني:

- اعترفت بنفسها عندما زارتني بالأمس.

سألته إن كانت تعرف شيئًا عني، فأجابني:

- بالطبع لا، لقد رأت لفافات المخدرات في ورشتي عندما كنا نتشاجر، وعندما وصلت الشرطة أبلغت عني، هذا ما حدث.

احمرت عيناه، حاول ألا يبكي عندما أخبرني أن "إليانا" قالت له بوضوح إنها أبلغت عنه لأنها تكرهه وتشمئز منه، لأنه يبدو كخنزير قذر وسط تلك الدراجات، سألني باكيًا:

- منذ متى أصبح الشحم قذرًا؟

لم أعرف ماذا أقول، غامرت بالقول:

- ربما تكذب.

أكد لي أن الشحوم هي السبب. حاولت تهدئته قائلًا:

- سأُحدث "سولاميتا" لننظر بموضوع توكيل محامٍ.

قال لي:

- ليس ضروريًّا.

لأنه تولى الاعتناء بكل شيء بنفسه بالفعل. سألته:

- كيف؟

قال لي إن له صديقًا لا أعرفه أنا. أصررت عليه ألا يورطني، فقال:

Twitter: @ketab_n

- أنت مجنون؟ من سيرعى أطفالي وأمي؟ إنني أعتمد عليك.

كنت مستاءً من إجابته، لم يكن جزءًا من خطط رعاية أسرة "موسيير"، وكانت الأمور من وجهة نظري أن ثمن حريتي سيكون شيئًا مثل الزواج من "إليانا"، وتولي مسؤولية أطفالهما.

قال لي:

- لا تدعهم يحتاجون أي شيء.

وافقته:

- بالطبع لا، أبدًا.

غادرت مع "سيرافينا" التي كانت لا تزال حائرة، وتطرح المزيد من الأسئلة.

عندما وصلنا، وجدنا "إليانا" عائدة من السوق مع أطفالها، وفي يد كل واحد منهم كيس. سألتها إن كانت في حاجة إلى أي شيء، فأجابتني أن الشيء الوحيد الذي تريده هو التخلص من "سيرافينا"، لأنها لا تستطيع تحمل تلك الحيزبون في بيتها فترة أطول.

اصطحبت "سيرافينا" لتناول الغداء في مكان قريب، ولكننا لم نستطع تناول أي شيء.

لاحقًا، اتصلت بـ"سولاميتا"، رد عليّ حماي متسائلًا:

– ما الأمر؟ إنها تتصرف بغرابة، اهدأ، وتعالَ حتى نتمكن من الكلام، ربما استطعت مساعدتكما بمنحكما نصيحة جيدة، أنا صديقك، بالمناسبة أحتاج خدمة منك، من أب إلى ابنه، سلفة – قالها كما لو أنني رئيسه – أمامي فرصة شراء "الفولكس" سيارة جارنا.

أجبته:

– لا أستطيع ذلك الآن وأبلغ "سولاميتا" أنني اتصلت. "**حوِّلْ**".

قضيت بقية اليوم في غرفتي، "سيرافينا" بجواري تضفر القش في صمت، كان وجودها مريحًا في لحظات معينة. من وقت لآخر عندما أغمض عيني، تتشكل خطتي ببطء مثل موجة عملاقة بدأت عبر شق في أعمق وأحلك جزء من قاع محيطي، ثم تندفع إلى الأمام مكتسبة قوة وحجمًا، وكانت ذريعتي في المضي قدمًا قوية أيضًا: لو كنت غنيًّا عندما اختفى والدي، واتصل بي شخص ما حينها يطلب مالًا مقابل جثة أبي، لكنت دفعت ولم أتردد لثانية، خطتي في حد ذاتها لن تسبب أي ضرر لـ"دونا لو" لديها مالٌ يمكنها أن تحرق منه لكثرته، إنني أصنع جميلًا للعائلة بشكل ما، طالما أنّه بدفن موتانا الذين يموتون مرة واحدة إلى الأبد نصبح في سلام، المشكلة في الجثة، أين سأجدها؟

يوم الأحد كان أسوأ من يوم السبت، لم ترد "سولاميتا" على اتصالاتي، شعرت وكأنني مخدر، وثقيل بسبب الحرارة.

Twitter: @ketab_n

أعدت لي "سيرافينا" شوربة سمك بارد، وبينما كنت آكل منه في السرير، علمتني المرأة الهندية تعبيرًا باللغة "الجواتية" لأول مرة (إينفاني) يعني "فظيع".

استيقظت في الثالثة تقريبًا، اتصلت بي "دالفا" سألتني إن كان يمكنني استقبال "خوسيه" في المطار.

في طريق العودة، أخبرني "خوسيه" بمدى قلقه على صحة "دونا لو":

- أعلم في داخلي أن "جونيور" قد مات، لكنها لن تصدق ذلك حتى ترى جثته.

كلمة "جثته" منحتني الشجاعة، لا بد أن أتصرف بسرعة، "**حوِّلْ**".

عندما عدتُ إلى البيت، كان الأطفال الهنود في غرفة نومي يلعبون الاستغماية، ألقيتهم جميعًا بالخارج، استلقيت على السرير، ورأسي تموج بالأفكار.

وفي السابعة، سمعت صوتًا على السلالم.

ركضت لأفتح الباب ورأيت "سولاميتا" مقبلة عليّ.

عندما احتضنتها، لاحظت من رائحة ملابسها وشعرها الحمضية أنها جاءت من المشرحة.

Twitter: @ketab_n

أمسكت بيدي قائلة إنها تريد أن تريني شيئًا هامًا للغاية، غادرنا بسيارتي وفي رأسي تدور الكلمة التي علمتني إياها العجوز الهندية.. (إينفاني).

Twitter: @ketab_n

21

سحبت "سولاميتا" الغطاء كاشفة عن جسد "موسيير" العاري على ترابيزة المشرحة.

في ذعر تراجعت خطوة للخلف من المفاجأة، عاجزًا عن رفع عيني عن القطع الطولي المخيط من دون مهارة في جثته، هذا ما كنت أخشاه، "**حوِّلْ**". كانت ساقاه أيضًا بهما قطعان طوليان مخيطان بالطريقة الرديئة نفسها. أوضحت "سولاميتا" أنّها الإجراءات الاعتيادية في تشريح حالات الوفاة الناتجة عن أعمال عنف.

حافظت على اتزاني بالكاد، تعرَّقت، شعرت بالغثيان من خليط رائحة العفن والكلور. فكرت وأنا أستند بظهري على الحائط، "إنها النهاية".

أخبرتني أن "إليانا" لم تعرف بعد أنهم وجدوا "موسيير" مشنوقًا في زنزانته، حينها ألحت على رأسي فكرة واحدة، "إنني التالي ".

Twitter: @ketab_n

قُتِل صباح اليوم أثناء تشمس المساجين في فناء السجن.

- سيقتلونني، إنهم يبعثون لي برسالة.

- وهل تعتقد بأنني لم أفكر في ذلك عندما رأيت جثة "موسيير" على الترابيزة؟ أنني لم أفكر فيك وفي كل ما قلته لي أول من أمس؟ لم يكن حتى من المفترض أن أحضر تشريح الجثة، كنت على وشك مغادرة المناوبة. طلبت من "روزانا"، الطبيبة الشرعية السماح لي بمتابعة الإجراءات، بل فعلت أكثر من ذلك، اتصلت بـ"جويل" وطلبت منه قراءة التحقيق.

- ألا يمكن أن يكون الانتحار مدبرًا، ربما ربط أحدهم غطاء السرير في قضبان الزنزانة وأجبر "موسيير" على شنق نفسه.

- أتعرف ما نفعله عندما تصلنا جثة؟ نجلس بجوارها ونتناقش، كل جزء فيها يكشف لنا تفصيلًا معينًا، نقلبها من الداخل إلى الخارج، نمزقها من الرأس حتى القدمين، نخرج الأحشاء، نزيل فروة الرأس، نسحب المخ، انظر، مشيرة إلى شق عميق غير منتظم في رقبة "موسيير"، هذه علامة الشنق، لو كان قتلًا، لكانت حول العنق بأكمله، وليس فقط في الجهة الأمامية، ولوجدنا علامات مقاومة.

أشارت إلى منطقة الكتف قائلة:

- لا توجد أي خدوش أو كدوم.

لكنني أكدت على أنني أحتاج إلى الحماية قائلًا:

Twitter: @ketab_n

- أيًّا كان ما شاهدتيه في تشريح الجثة، لقد قتلوا "موسيير"، كما هددني البوليفي بأنهم سيقتلونني.

أخبرتها عن محادثتي مع "راميريز" بالتفصيل، قلت إنني التالي، إذا لم أدفع الدين سأكون جثة طافية في النهر أو مشنوقًا مثل "موسيير"، أحتاج إلى حماية البوليس، كررت ذلك عدة مرات، متوسلًا لها أن تصدقني، وكلما طلبت مني "سولاميتا" الهدوء، كلما أصبحت أكثر عصبية، قلت لها:

- أنتِ مثل الشرطة التي تعرقل التحقيقات في الأفلام الرديئة تاركة الأبرياء يموتون.

- من البريء؟ أنت؟

قالتها بطريقة لم تعجبني.

كنت أرتجف لا إراديًّا، قلت لها:

- أنتِ لا تفهمين، أنا في حاجة إلى الحماية.

قاطعتني قائلة:

- أنتَ الذي لا تفهم، توقف عن الهراء. لقد انتحر، ليست الشرطة أو البوليفي هو من يقول ذلك، بل أنا، حبيبتك المخلصة. وما هذا الكلام الغبي عن الحماية؟ هل تريد الذهاب إلى مركز الشرطة والاعتراف بأنك صاحب الكوكايين الذي عثروا عليه مع "موسيير"؟ هل هذه هي خطتك؟ إذا كان كذلك، اذهب على الفور، لأنهم يوفرون الحماية فقط - وهي حماية سيئة لن تحل أي شيء إذا كان شخصٌ ما يريد فعلًا قتلك - إذا

ذهبت إلى هناك، ستفعل ما لم يفعله "موسيير" أبدًا، لم يفتح فمه، كان أمينًا للغاية. لقد حَمَاك.

لم تبد لي فكرة تسليم نفسي بهذا السوء، لكن إذا كانوا قد قتلوا "موسيير" داخل السجن، فما الذي يمنعهم من قتلي هناك أيضًا؟

أخذتني "سولاميتا" إلى الخارج وأمرتني بالذهاب إلى السيارة. عادت بعد دقائق ومعها كوكاكولا، قالت:

- لا بد أن تفهم شيئًا واحدًا، لقد تحققت فعلًا بنفسي، ذهبت إلى السجن بعد تشريح الجثة، تحدثت مع "جويل"، و"ألفريدو" السجّان اللذان وجدا "موسيير" في الصباح. أخبراني أنه عندما دخلا إلى الزنزانة، كان "موسيير" منتصبًا لأنه كان لا يزال يلاعب نفسه، نعم كان انتحارًا، كل الأدلة تشير إلى ذلك.

وقفنا هناك، بينما كنت أرتجف وأشرب الكوكاكولا، فكرت في إذا ما كانت هناك طريقة للهروب.

الطريقة الوحيدة للهرب هي خطتي، مشروع الجثة، "**حوِّلْ**".

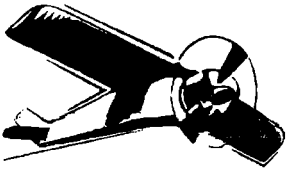

Twitter: @ketab_n

22

كان يومًا ممطرًا، ولكن على الرغم من ذلك، واصل الناس الحضور، بعضهم ألقى مجرد نظرة على المتوفى ورحل، والبعض الآخر غير راضٍ ويريد معرفة المزيد من التفاصيل حول الانتحار، لم يأتوا لأنهم يعرفون مُصلِّح الدرّاجات أو يحبونه، بل لأنهم لم يعتادوا أن ينتحر أحدهم في تلك المناطق. الناس هنا لا تقتل نفسها، إنهم يموتون فقط. بطلقة في الصدر، هكذا يموتون، يسقطون من السقالات، أو يُدهسون، أو يتعفنون ببساطة. قالت عجوز إنها لو أرادت انتحار، فلن تنتحر بحبلٍ أبدًا. وقالت امرأة أخرى حتى الكلاب تقتل بعضها.

وُضع النعش بين الموقد والأريكة، و"سيرافينا" التي قضت الليلة مستيقظة تراقب الجثة، تغفو الآن وتميل بجسدها على الجثة.

أما "إليانا" فكانت تجلس بجوار "ألسيو"، بدت كنحلة تواصل الطنين بسبب السعادة، تهمس في أذن "ألسيو" طول الوقت، ولا تلتفت لأحد إلا الجزار، حتى جثة زوجها لم تعرها انتباهًا.

Twitter: @ketab_n

قالت "سولاميتا":

- توقف عن التحديق فيها، ليس لديك أي شيء لتفعله حيال ذلك.

- ليس من حقها التصرف بهذه الطريقة، على الأقل ليس أمام الجميع.

- أنت لست واحدًا من الأسرة.

- أنا الذي دفعت للدفن، والتابوت، والزهور، والمقبرة، ألا يمكنها احترام الميت على الأقل؟

لابد أنني تحدثت بصوتٍ عالٍ جدًّا، لأن "إليانا" و"ألسيو" بدآ يتطلعان إليّ.

قالت "سولاميتا":

- دعنا نحتسِ بعض القهوة.

شربت قهوة طوال الليل، شربت الكثير والكثير من القهوة، كنت عصبيًّا هائجًا وأعاني من الصداع. غادرنا وشعرت بمطر خفيف يبرد جسمي.

سألت "سولاميتا":

- هل ترين هؤلاء الرجال بجوار عمود الإنارة؟

- ماذا عنهم؟

- لم أرهم من قبل في الحي.

- أنت تجعلني عصبية.

Twitter: @ketab_n

تركت "سولاميتا" تحدث نفسها، وعدتُ إلى بيت "موسيير". أيقظت "سيرافينا" وأخذتها إلى النافذة، ثم أشرت إليهم. قالت إنها تعرفهم وأنهم يسكنون في الحي.

عندما عدتُ إلى الخارج قالت لي "سولاميتا":

- لا بد أن تهدأ .

- لماذا لا تصدقينني؟

- صدِّقني، لقد قتل نفسه، كم مرة عليّ أن أقول لك إنه لم يُقتل، بل انتحر، "موسيير" كان في مأزق وقتل نفسه، هذا ما حدث.

قلت بإصرار:

- لكنني في خطر، يريدون قتلي، وإذا مِتُّ، إذا وجدتيني مقتولًا؛ لا تقولي إنني لم أحذرك.

في العاشرة مساءً ركبنا السيارة، وتابعنا الحانوتي في عربة نقل الموتى السوداء التي تحمل جثمان "موسيير"، في تلك اللحظة بالضبط هطلت الأمطار بغزارة.

في المقبرة، لم يمتلك أحد مظلة إلا "إليانا" و"ألسيو" والأطفال، بينما الآخرون القليلون يشاهدون الأمطار تتساقط والـ"تُرَبي" ينزل الجثمان في ما بدا وكأنه خزان طين.

بعد الدفن رأيت "إليانا" ترحل بسرعة مع الأطفال بجوار "ألسيو" و"سيرافينا" تتبعها، لكنني رأيت "إليانا" تقول لها شيئًا ما بصرامة.

اقتربت وسألت إذا كان هناك مشكلة.

فأجابت "إليانا":

- ليس لها مكان في السيارة.

أدارت ظهرها ومَشْيَّتْ بعيدًا كأرملة سعيدة.

قبل أن أركن شاحنتي أمام ورشة الدرّاجات، سألت "سيرافينا" أن تنظر حولنا. قلت لها انظري بعناية، تأكدي من عدم وجود أغراب حولنا، "**حوِّلْ**"، انظرِ خلف السيارة، وفي الجانب الآخر من الشارع، على الناصية، وفكرت أثناء خروجي من شاحنتي، أنّ فكرة شراء مسدس ليس بالفكرة السيئة.

اتصلت بـ"دالفا" لأخبرها بـأنني لن أعود إلى العمل اليوم. قضيتُ بقية اليوم في السرير. لا تزال الكثير من أفكاري مشوشة، ربما لا بد أن أترك وظيفتي عند "آل بيرابا" حتى لا أثير الشكوك فيما بعد عندما تبدأ الخطة، كل ما في الأمر أن الخطة تبدو من الخارج مليئة بالأخطاء. "**حوِّلْ**"، اختلفت نظرتي للأمر. إلى جانب ذلك، قد يثير رحيلي المفاجئ الشكوك، ربما قد يأتي بعض المحققين من "بانتانال" لاحقًا مثل "جويل" بحذائه عالي الرقبة وقبعته، ويقول "من الطريف أن يستقيل سائق "بيرابا" في تلك اللحظة بدلًا من أي وقت آخر"، ولكن من الوارد أيضًا أن يحدث العكس، وأصبح مشتبهًا به ليس لتركي البيت لكن لبقائي فيه، وكوني صديقًا لـ"سولاميتا" التي يعرف الجميع أنّها المسؤولة عن المشرحة، لذا قلت لنفسي، لا بد أن أضع في

Twitter: @ketab_n

حسباني بعض الاعتبارات قبل أن أتصرف، لا بد أن أحسب الإيجابيات والسلبيات، ولكن الحقيقة هي أن لا شيء يمكن قياسه.

كلما تحطمت طائرة أفكر في الذين يصلون المطار مبكرًا ويكون أمامهم فرصة لتغيير موعد رحلاتهم. أليسوا هكذا يقايضون رحلة آمنة مضمونة بأخري ستغرق في المحيط وتقتل 198 راكبًا؟ ثم يقول الخبراء أسوأ حادث تحطم طائرة على الإطلاق، قد يحدث ذلك، وقد يحدث العكس تمامًا. لأن الرجل لم يغير موعد رحلته، فقد مات. لأن الطائرة التي ستتحطم به هي التي تحمل علامة X، وليست الطائرة الأخرى، وهناك أسباب أسوأ، ربما وجوده بالتحديد هو سبب تحطم الطائرة. ربما لأن مصيرنا مكتوب في حمضنا النووي. ربما الإله يسوي حسابًا ما معك وكل من سيموت معك ما هم إلا ممثلون ثانويون.

هذا ما أعنيه. هناك المنطق، والذكاء، والاستراتيجية، والخطط جميعًا، ولكن هناك أيضًا غموض الحياة، والحقيقة هي أننا لا نستطيع الحصول على كل هذا دفعة واحدة، ولكن إذا حدث هذا فإنه الحظ. الحظ هو الحظ، هذا ما كنت أفكر فيه أثناء استحمامي عندما سمعت طرقات على الباب.

لففت فوطة، وغادرت الحمَّام، بقيت هادئًا عدة لحظات والأنوار مطفأة.

جاءني صوت "سولاميتا":

- إنها أنا، افتح الباب.

كنت قد وصلتها إلى بيتها في طريق العودة من المقبرة منذ ساعتين، شعرت بشيء غير مُعلن بيننا، كما لو كانت "سولاميتا" تشعر أن عدم

Twitter: @ketab_n

سؤالي لها إن كانت ترغب في اصطحابي إلى غرفتي غريبًا. فمنذ أن اكتشفت موبايل الطيَّار وحقيبة ظهره في سندرة غرفتي، ومنذ نقاشنا الحاد حول الموضوع لم نتحدث ثانيةً، لم ننفصل، لكننا لم نعد معًا أيضًا، لم نتشاجر، ولكننا لم نكن في حالة سلامٍ أيضًا. بوفاة "موسيير" أصبحت الأمور معلقة، كان يمكنني تيسير الأمور لو قلت لها عندما غادرت منزلها دعينا نحل هذه الفوضى، لكنني اعتقدت أنها ستطلب المزيد من التوضيحات، ولم أكن قادرًا على تقديمها لأي شخص.

أغلقت الباب بعد دخولها، احتضنتها طويلًا في صمت. كانت رائحة شعرها لطيفة، بدت جميلة في ثوبها الأزرق الفاتح. كان فضفاضًا، وشفافًا. انزلق من على جسدها عندما أزحت حَمَّالته.

كان أمرًا عاديًّا، فقط قليل من الغضب، وبعدها صمت، ضربات قلبي تتسارع.

كنت لا أزال أشعر بحزنٍ دفين، ورغبة مجنونة بالهروب.

لاحقًا في السرير وأنا أدخن، شعرت مجددًا بأن رأسي سينفجر بالمشاكل، وقلت لـ"سولاميتا":

- ربما لا تصدقين ذلك، ولكن "موسيير" قُتِل، لا أريد أن أموت. لن أموت.

أخبرتها أن لديّ خطة جيدة ستحل مشكلة حياتي، حياتنا:

- أيمكنك مساعدتي؟ يمكننا أن نفعل ذلك معًا، ونواصل طريقنا، نعتني بعائلتنا بالطريقة التي حلمنا بها، لـ"ريجينا" و"والديك"

Twitter: @ketab_n

و"سيرافينا". ويمكنكِ أن ترفضي مساعدتي، لكن يمكنك أيضًا إفشالها، يمكنكِ ارتداء ملابسك والرحيل بلا عودة، لكن إذا بقيت، سيكون عليك مساعدتي لأنني سأنفذ خطتي، سواء معكِ أو بدونك، سأمضي قُدمًا في خطتي.

ردت قائلة:

- عندما رن جرس ذلك التليفون المحمول اللعين في السندرة، قلب حياتي رأسًا على عقب، أنت تعرفني، أنا دائمًا منظمة، أحب فعل الأشياء على أكمل وجه. أنا أخطط لكل شيء قبل أن أقوم به، وأفعله وفق القواعد. إذا هناك قواعد وقوانين، فهذا لجعل حياة الناس أفضل أو هكذا أتصور. في رأيي، النظام هو كل شيء. لم يكن من قبيل الصدفة أن أعمل في الشرطة، أعلم أن هناك الكثير من السذاجة والمثالية في هذا الاختيار، لسنا في السويد، والشرطة هنا فاسدة، ولكنّ هناك فرقًا بين أن تقرأ عنه في الصحف وأن تعيش وتعمل كشخص نزيه في وكالة عامة. أنت تعلم أن الفساد موجود، ولكنك لا تراه، الفساد ليس شيئًا يأتي من أسفل، ليس له علاقة بموظفين مثلي. أنت تعرف أن كل شيء فاسد، ولكنك تقود حياة شريفة، مع شرفاء يؤدون واجبهم. وفجأة وجدت نفسي في فوضى لا نهاية لها، طيّار مفقود، وكوكايين، وديون ضخمة بالدولار، وأنا في وسط كل هذا الارتباك، وأنا أحبك، تركت البيت في اليوم الذي اكتشفت فيه كل شيء، وقضيت ما يقرب من ثماني وأربعين ساعة في الخارج لا أفهم أي شيء على الإطلاق، كل ما فكرت فيه هو "أنني أحب هذا الرجل"، وحتى ذلك اليوم، كنت أنت الرجل في حياتي، ثم اكتشفت أنّك مهرب أيضًا، سألت نفسي ما

Twitter: @ketab_n

الذي كان سيفعله أي شخص عاقل في مكاني، لم تكن هناك إجابات كثيرة، لا بد أن أساعدك، في اليوم الذي مات فيه "موسيير" حتى قبل أن أعرف أنّه انتحر، أدركت أنني لا بد أن أتصرف بسرعة. اليوم "موسيير" وقد تكون أنت غدًا، ساعتها قررت طلب مساعدة "جويل"، تتذكر "جويل"؟ اتصلت به وأخبرته بأنني في حاجة إلى الحديث معه، أردت فهم ما يحدث، قراءة أوراق التحقيقات مع "موسيير"، كنت سأناقش الأمر مع "جويل"، وأحكي له كل شيء، ونظرًا لخطورة هذا الوضع المرتبك، طلبت منه أن يأتي إلى هنا كي يقنعك بضرورة تسليم نفسك، "جويل" مخلص جدًّا في تقديم المشورة وأعرف أنني أستطيع الوثوق به، لكنه كان في اجتماع في تلك اللحظة وطلب مني الحضور إلى مركز الشرطة لاحقًا، كان ذلك عندما حدث الأمر الذي لم يكن من المفترض حدوثه، أعتقد أنّها إرادة الرب، ولها علاقة أيضًا بالتليفون، من الغريب أن التليفون هو سبب حصول المآسي في حياة الناس هذه الأيام. جزء من حياتنا يحدث عبر التليفون، وعلى التليفون يفسد الناس حياتهم. لم يغلق "جويل" الخط بشكل صحيح، في البداية صرخت، معتقدة أنّه قد يستطيع سماعي، لكنني بدأت أسمع حديثهما، إلى جانب "جويل" كان هناك شخص آخر أعتقد أنه كان "دودو"، لست متأكدة، كانا يضغطان على شخص ثالث، صاحب ساحة سيّارات خردة، ومما فهمته أنه تم القبض عليه متلبسًا بتوزيع المخدرات. كانوا يطلبون منه رشوة لإخلاء سبيله.

أن تعرف أن الرئيس فاسد، والمحافظ مرتش، ووزير الداخلية فاسد شيء، وأن تعرف أن الرجل الذي يعمل بجوارك مباشرةً منذ سبع سنوات

Twitter: @ketab_n

فاسد شيء آخر، الرجل الذي يتناول معك الغداء والعشاء! الذي يزورك في بيتك! "جويل"! الذي علمني كل شيء! إنني على استعداد أن ألقي بنفسي في النار لأجله، ذلك الذي يناديني حبيبتي فاسد! إذا كان هكذا فإن جميع مَنْ في مركز الشرطة لا بد على نفس الشاكلة، هذه الأيام لا يوجد أي لصوص دون شركاء، والفساد شبكة، فلماذا أقلق إذا كان حبيبي قد سرق كيلو كوكايين من شخص ميت بالفعل؟ بالطبع لم يكن من المفترض أن تتورط مع "راميريز"، لكن الحقيقة هي أنك لم تقتل أحدًا، لستَ قاتلًا أو مغتصبًا، هذا هو المهم، لو كنت سلبت حياة شخص، أو كنت مغتصبًا للأطفال؛ لم أكن لأصفح عنك، هذا لا يعني أنني أتغاضى عما فعلت، لكن أن تمسك بندقية لقتل شخص شيء، وأن تفعل ما فعلت شيء آخر، أنت لست قاتلًا، لهذا السبب أنا هنا، بالطبع إن كنت قد أُعتقلت كان يمكنني انتظارك، لكنني انتظرت بالفعل فترة طويلة للغاية، لا أريد التخلي عن حياتنا أو خططنا، وعائلتنا تحتاجنا، خذ بيدي الآن وأخبرني خطتك.

Twitter: @ketab_n

23

خطتي مثل قصة عن الصيد. تخيلي صيّادًا بمفرده في قاربه في يوم هادئ مشمس. أتعرفين؟ يوجد كل شيء في أنهار الـ"بانتانال" هذه. أشياء مرعبة حقًّا مثل ثعالب الماء والسحالي الكبيرة، والتماسيح ذات الذيول التي تجعلها شبيهة بالتنانين، وأسماك "البيرانا" الضارية وكأنها أسماك قرش مصغرة بفكين بارزين وأسنان حادة كالسكاكين السويسرية، وأفاعي "الأناكوندا" البالغ طولها عشرين قدمًا التي يمكنها ابتلاع ثور بأكمله. حيوانات مخيفة. سامَّة، ولكن الأسوأ من ذلك كله. ولكن الأكثر تهديدًا وخطرًا، والأشد قسوة وافتراسًا هو صيادنا الوحيد الذي يسلي نفسه في يوم مشمس. شيءٌ مروع حقًّا، وها هو يدخن سيجارة ويفكر في الحياة، بينما ينتظر أن تلتقط سمكه طعمه، وفجأة يرى شيئًا عالقًا بين فروع النباتات، ما هذا؟ يقترب من ضفة النهر اليمنى ويرى الجسد يتحرك. في الحقيقة، إنه ما تبقى من جثة طيارنا.

Twitter: @ketab_n

كل ذلك حدث منذ ثلاثة أشهر، عندما كان الحادث واختفاء الطيّار في "كورومبا" في جميع وسائل الأخبار. الصيّاد فهم الصفقة على الفور، كان قد شاهد التقارير على شاشة التليفزيون وعرف أن الحادث وقع في المنطقة المجاورة، وحياته صعبة. إنّه عاطل عن العمل وليس لديه مال، ويعرف عائلة "بيرابا"، ومن الذي لا يعرفهم؟ أغنياء من المدينة، وبعد ذلك، هناك مباشرة، بينما الشمس تقدح رأسه يُعِد خطته الجهنمية.

استمعت "سولاميتا" لخططي وعيناها مثبتتان عليّ وهي عارية في السرير، وذراعاها خلف رأسها.

قالت:

- السجون مليئة بأصحاب الخطط الجهنمية.

واصلت كلامي:

- تخيلي أن الصيّاد أخذ الجثة ودفنها في مكان ما دون أن يخبر أحدًا، والآن كما في الأفلام يمر الوقت، بعد ثلاثة أشهر، توقفت الشرطة عن البحث، وهدأت الأمور، ماذا يفعل الصيَّاد؟ يتصل تليفونيًا بأسرة "بيرابا" ويقول لهم: عندي جثة ابنكم، إذا كنتم تريدون دفنه، كل ما عليكم فعله هو دفع 200 ألف دولار، ثم يغلق الخط.

سألت "سولاميتا":

- وهل سيدفعون؟

- سوف يدفعون أي مبلغ، أضمن لكِ ذلك، ألم تسمعي المثل "لا يصبح الرجل رجلًا إلا عندما يدفن موتاه"، إنها حقيقة إنجيلية. لا توجد حضارة من دون طقوس الموت والدفن، من دونها نعود إلى الكهوف، بدونها لا تكرمين ذكرى المتوفى، لا تقدريهم، لن يكون لديك قبر تزورينه. سنتحول إلى زومبي إذا تركنا جثثنا تتعفن على الأرض. على المستوى الشخصي المأساة أكبر، أتذكر أنني وجدت أمي تبكي في المطبخ في "يوم الصلاة للأرواح" وقالت لي: "لو كان هناك قبر لنزوره على الأقل"، لم تكن والدتي تعاني لأن والدي توفي فقط، بل لأنها لا يمكنها إعلان وفاته.

- ألن يبلغوا الشرطة؟

- كلا، "دونا لو" مستعدة لفعل أي شيء للحصول على الجثة.

- أنت واثق جدًا.

- ألم تسمعي المثل القائل "الميت يقتل الأحياء".

- أمثالك كثيرة.

- هل تعرفين معناه؟ إذا لم ندفن موتانا فستظل ذكراهم في حياتنا تقتلنا ببطء. إنهم يقتلوننا بجعلنا نفكر دائمًا في أننا لم نقم بواجبنا نحوهم، لأننا لم ندفنهم ونسمح لهم بالعودة إلى التراب، لسنا نحن فقط، الأحياء، مَنْ نريد دفن الموتى، لكنهم أيضًا يريدون التحرر من عالمنا.

أخبرتها بأنني أحب "دونا لو" حقًّا، صدقيني، نحن لن نضرها أو نضر عائلتها، بل فقط سنساعدها على إقامة جنازة لابنها، ومبلغ 200 ألف دولار لا يعني شيئًا لهؤلاء الناس، إنه ثمن بقرة واحدة تقريبًا، وهم

Twitter: @ketab_n

لديهم الآلاف منها، سنضرب ثلاثة عصافير بحجر واحد: ستحصل على جثة ابنها، سأسدد الخمسين ألف دولار، وستحققين حلمك في ترك المشرحة وامتلاك مزرعة، كل شيء سيكون ملكك.

- حلمنا.

- بالطبع، خطتنا. سأدفع الفدية إلى "راميريز" وسنشتري مزرعة.

- هل ستخدعهم؟

- أخدع من؟

- عائلة "بيرابا" هل ستخدعهم أم تسلمهم الجثة؟

- هذا دورك، علينا توفير جثة.

- هممم. أعرف.

- أود حقًّا المساعدة في تحقيق حلم "دونا لو" بدفن ابنها، صدقيني، إنها تحلم باليوم الذي ستدفن فيه ابنها. "دونا لو" شخصية طيبة جدًا، ستحبينها.

صمتنا قليلًا، ثم سألتها إذا كان في وسعها الحصول على جثة من المشرحة.

- هناك رقابة على تسلم وشحن الجثث، الأمر ليس سهلًا.

- من دون الجثة لا توجد خطة.

- عدني بشيء واحد، أيًّا كان ما سيحدث، لن نقتل أحدًا .

- لسنا قتلة.

Twitter: @ketab_n

– أحتاج بعض الوقت للتفكير.

– لا بد من وجود طريقة ما.

– لسنا قتلة.

– بلى، بالطبع.

قالت "سولاميتا":

– وإذا استطعنا الحصول على جثة فستكون مجرد جثة.

– ماذا تقصدين؟

– لا يكفي لزوجة القيصر أن تكون أمينة، بل لا بد أن تكون فوق مستوى الشبهات.

– ماذا تقولين؟ مَنْ القيصر؟

– لسنا في حاجة إلى مجرد جثة، أو أية جثة قديمة، بل لا بد أن يصدقوا أنّها جثة ابنهم، سيريدون بعض الضمانات التي تثبت أن ما لدينا هي جثة ابنهم.

– ستضطر للتعامل مع ذلك أيضًا.

سألتها:

– هل سننجو من مخاطرة ظهور جثة الابن طافية في مكان ما، الجثة الحقيقية؟

أجابتني:

Twitter: @ketab_n

- بعد ثلاثة أشهر؟ في هذه الحرارة؟ استحالة.. في رأيي، إن بطنه كان مثقوبًا، وفي حالات الغرق إذا ثُقب البطن تغرق الجثة ولا تطفو إلى السطح ثانية.

قبَّلتُ "سولاميتا"، قائلًا:

- كنت أعرف أنك ستساعدينني.

لم ينم أي منا تلك الليلة، كنت أسألها كل ساعة سؤالًا جديدًا، وتفصيلة جديدة، قضينا الليلة هكذا، في ظلام مليء بالأفكار.

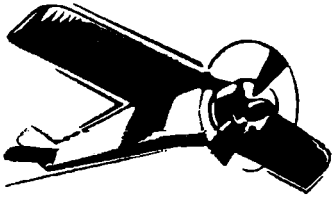

24

في الثامنة صباحًا ركنت الشاحنة، قالت "سولاميتا":

- من الأفضل أن تذهب وحدك، سأنتظرك هنا، اترك المفتاح، سوف أبقى في السيارة بسبب التكييف، أسرع، حاول ألا تلفت الانتباه إليك، لا تتحدث مع أي شخص أكثر من اللازم.

- دعي الأمر لي.

قبل أن أخرج، جذبتني إليها، قائلة:

- قبّلني.

قبّلتها.

- قل إنك تحبني.

- أُحبّك.

- كثيرًا؟

Twitter: @ketab_n

- كثيرًا

- إلى أي مدى؟

- اللعنة يا "سولاميتا"، دعيني أنجز هذا الأمر.

نزلت من السيارة متجهًا إلى محل الرهونات، الذي بدا وكأنه كهف مظلم على عكس النور بالخارج والسماء الزرقاء، استغرق الأمر مني عدة ثوانٍ لتعتاد عيناي الظلام.

قلت:

- جئت من أجل ساعتي.

أخذ الرجل العجوز إيصالي، ذهب إلى الجزء الخلفي من المحل، وسرعان ما عاد بساعة "جونيور" الذهبية.

لم يكن سعيدًا جدًّا بذلك، هؤلاء الرجال يعيشون على سوء مصائبنا.

دفعت وذهبت إلى السيارة.

سألتني "سولاميتا":

- هل سألك أي أسئلة؟

- لا شيء.

نظرت إلى الساعة قائلة:

- جميلة، وما زالت تعمل. سأُضطر للعمل عليها أيضًا.

Twitter: @ketab_n

بعد عشر دقائق وصلت "سولاميتا" أمام المشرحة. اتفقنا على اللقاء في البيت عند حلول الظلام.

كان بقية اليوم هادئًا، باستثناء لقاء تعيس بـ"كارلو" عندما ذهبت إلى البنك لدفع فواتير "آل بيرابا"، كان "كارلو" مع زوجته السابقة. بدا كتابعٍ ذليل يحمل حقيبة زوجته، حقيبة حمراء محشوة بالحلي تتدلى من كتفه. كانت زوجته السابقة – التي تجهل بالتأكيد السبب الحقيقي لانفصال "ريتا" و"كارلو"- هي التي اقتربت مني قائلة:

- تعالَ لزيارتنا يومًا ما، سأستعيد مطعم البنزينة.

كان "كارلو" ينظر إليّ وكأنه ينظر إلى قطعة خشب؛ بلا اهتمام.

استطردت زوجته:

- نحتاج لرؤية بعضنا أكثر، فأنتما ابنا عم في النهاية.

وما إن أبعدت المرأة عينيها عني حتى رفع يده المشعرة وأشار لي بالوسطى!

عندما عدتُ إلى بيت "بيرابا" أخبرتني "دالفا" أن "سيرافينا" على التليفون.

قالت المرأة الهندية:

- طردتني من المنزل.

- عمّن تتحدثين؟

Twitter: @ketab_n

- "إليانا"، قالت لي أن أبحث عن مكان آخر أعيش فيه.

تحدثت مع "دونا لو" وطلبت منها أن تسمح لي بالمغادرة مبكرًا، وذهبت للتحدث مع "إليانا".

قالت دون أن تتوقف عن تحضير الأكل لأطفالها الذي يبدو من رائحته أنّه غراب مقلي:

- إذا كنت قلقا جدًّا على هذه الهندية، فلماذا لا تأخذها معك؟

أجبتها:

- هذا ما أنوي فعله، لكنني بحاجة إلى بعض الوقت، وهي ليس لديها مكان تذهب إليه حاليًا.

- بل لديها مكان، فلتذهب إلى قبيلتها، كل ما عليها هو أن تجمع أغراضها وترحل، الحكومة تدفع لهؤلاء الناس من أجل العودة.

- ألا تشعرين بالأسف على حماتك؟

- حماة؟ عديمة الفائدة تلك؟ ومتى شعر "موسيير" بالأسف عليّ؟ أو على أطفالنا؟ هل ترك لنا أي مال لنسدد فواتيرنا؟

- كم تحتاجين؟

- لأي شيء؟

- لدفع فواتيرك.

ظهر الاستياء على وجهها، فكررت السؤال:

Twitter: @ketab_n

- كم تريدين؟

- خمسمائة.

أخرجت محفظتي، ومنحتها كل ما كان معي قائلًا:

- سأحضر لك الباقي، لكن عليك الحفاظ على "سيرافينا" حتى أرتب أموري.

استدرت ورحلت.

"إليانا"، يا لها من عاهرة لا تستحق "موسيير" الذى أنهى حياته بسببها.

حتى الآن كل شيء على ما يرام. "**حوِّل**". أنا آمن داخل بيتي وليس هناك أي رياح أو مطر، الطقس جيد، كل شيء في مكانه، "**حوِّلْ**"، كل شيء سينجح. هذا ما فكرت فيه وأنا أشاهد برنامجًا تليفزيونيًّا عن الأعاصير.

وصلت "سولاميتا" في السابعة وظلت بجواري، ساقاها في حِجري. كانت الصور على شاشة التليفزيون مبهرة: حظائر، سيارات، أعمدة سياج، كل هذه الأشياء تمتصها دوّامة الإعصار الخفية، علقت "سولاميتا":

- تبدو كما لو كانت مؤثرات خاصة.

بقينا في السرير، ممسكين بيد بعضنا البعض، شاعرين بالأمان، بينما نتحدث عن حجم الضرر الذي يعاني منه هؤلاء الناس أصحاب السيارات والمنازل من سكان تلك المدن، قالت:

Twitter: @ketab_n

- ألا تظن أن مصائب الآخرين هي شكل من أشكال الترفيه للآخرين؟

أضفت:

- من الممتع مشاهدتها.

- هذا شيء حقير ومقرف.

قلت:

- إنهم يستغلون هذه الكوارث ليبيعوا منتجاتهم.

- وما يفعلونه يقتنع به الناس.

- نعم، هم يبيعون هكذا لأننا نشتري.

بعد البرنامج، أغلقت "سولاميتا" التلفيزيون واقترحت أن نخرج لأكل البيتزا.

لم أكن أريد ترك المكان؛ شعرت بأنني معرض للخطر، ولم أستطع التوقف عن التلفت حولي وخلفي طوال الوقت خشية الإصابة بطلق ناري في الرأس.

قالت لي "سولاميتا" في مطعم البيتزا:

- إذا كان "راميريز" قد منحك شهرًا لتسديد الدين فلن يقتلك هكذا فجأة، ما يريده "راميريز" هو الخمسون ألفًا. لا معنى لقتلك قبل موعد التسليم.

وافقتها، لكن ذلك لم يمنعني من التلفت حولي طول الوقت، قلت لها:

Twitter: @ketab_n

- لا بد أن نجلس وظهورنا للحائط، انتقلنا إلى ترابيزة في مؤخرة المطعم.

أثناء تناولنا الطعام أرتني ساعة "جونيور"، قذرة، مخدوشة، ومكسورة، كنّا قد تحدثنا كثيرًا في الليلة السابقة عن نوع الإثبات الذي لا بد أن نقدمه.

قالت:

- علينا الأخذ في الاعتبار أن الساعة كانت في الماء حتى وجد الصيَّاد الجثة.

هكذا تحدثنا عن الصيَّاد كما لو كان شخصًا آخر، "**حوَّل**"، ولسنا نحن الذين سننفذ ذلك.

- أنت تفكرين في كل شيء.

- أين تليفون "جونيور"؟

- أحضرته، لكنني لا أعرف ما إذا كان استخدامه فكرة جيدة، إذا اتبعنا تفكيري فنحن نفترض أن حقيبة الظهر لم تكن مع الابن لحظة الإنقاذ، كما أن التليفون لو كان معه لتعطل لأنه لا يمكن أن يظل سليمًا في الماء عدة ساعات.

- أنت على حق، ولكن إذا كان لديهم خاصية إظهار رقم الطالب سيعرفون أن الاتصال من تليفون "جونيور".

قبَّلتها قائلًا:

- بالطبع، عندك حق.

Twitter: @ketab_n

بعد العشاء عبرنا كوبري "جاكاري" ووقفنا في مكان هادئ كما لو كنا سنقبل بعضنا.

قالت:

- استخدم هذا.

وأعطتني قطعة قماش قطنية سحبتها من خِزانة شاحنتي، وأكملت:

- وغيِّر صوتك.

- أليس من الأفضل أن تتحدثي أنتِ؟

- قالت: لا، لا بد أن يكون الصياد رجلًا.

- اتصلت وردت عليَّ "دالفا".

قلت بصوت عميق:

- أود التحدث إلى "دونا لورديس بيرابا".

- من المتصل؟

- صديق.

وبعد ثوانٍ سمعت صوت "دونا لو" الرقيق.

- مرحبًا، من المتصل؟

ترددت لحظة ثم قلت:

- لديَّ جثة ابنك، لا تطلبي الشرطة. سوف أخبرك بالتعليمات للحصول عليها، إذا بلغت الشرطة لن أتصل بكِ مرة أخرى.

أغلقت السماعة، أو بالأحرى الصيّاد أغلقها.

كان الأمر بهذه البساطة.

Twitter: @ketab_n

25

لم أكن أريد الشعور هكذا طوال الوقت. شعور الفريسة، كأنني غزالٌ يجري في حقل مفتوح. أرنب يهرب من الخوف. "راميريز" لن يفعل خطأً آخر. دائمًا ما أسدد ثمن كل شيء، أعني أنني زبون يُعتمد عليه، واحد من أولئك الذين لا يستطيعون النوم وهم مدينون بشيء لشخص ما. صفة ورثتها من والدتي في الحقيقة. كانت هذه عاداتنا، أن ندفع كل شيء في وقته. كان الدَين نوعًا من الخطيئة في بيتنا.

في شرفة مصنعه في "بويرتو سواريز"، لم ينظر "راميريز" إلى وجهي حتى، كان مهتمًا أكثر بسيارته "الميتسوبيشي" السوداء الجديدة الواقفة في الجراج، المسروقة غالبًا، "حوِّل". في غرفة المعيشة بعض الناس من المحتمل أنهم المزيد من الذين يبلعون كبسولات الكوكايين، كانوا يتحدثون مع "خوان". أخبرتني "سولاميتا" أن الناس يصطفون لهذا النوع من العمل، وأنها رأت في مركز الشرطة امرأة تخبئ حزمة مخدرات بحجم كرة التنس في مهبلها.

Twitter: @ketab_n

ليس جيدًا أن تقتلني، "حوَّل". ستخسر خمسين ألفًا، كما ستخسر شريكًا. كنت هناك لأقول له هذا. ذهبت مبكرًا للغاية دون اتصال مما أزعجهم، قال لي "خوان":

- سأعطيك نصيحة صغيرة يا "بوركو"، نحن لا نحب المفاجآت.

ولكن كان عليَّ تسوية الموقف وعمل اتفاق مع "راميريز"، كنت سأقول له وعد، وأقسم عليه، لكن كانت ساقاي ترتعشان، وألهث كالكلب، ولم أستطع التفوه بكلمة واحدة مما تدربت عليه وأنا في الشاحنة في طريقي إلى "بويرتو سواريز". كل ما قلته كان هراءً وأكاذيب، بينما الراديو الداخلي يقول إنني على وشك إفساد أمري تمامًا، "حوِّل". حكيت له عن "موسيير" وكيف وجدوه منتحرًا في زنزانته، وكيف قذف عندما أزالوا الغطاء الذي استخدمه في شنق نفسه، قلت لو تم خنقه لما أنزل بهذه الطريقة، أنت لا تتجشأ ولا تقذف وأنت ميت أليس ذلك مثيرًا للاهتمام؟ أخبروني أن "موسيير" كان عضوه منتصبًا عندما وجدوه مغطى بالمني، ضحكت وكأن ما قلته كان مضحكًا.

قال "راميريز":

- "بوركو" يقول أشياءَ غريبة جدًا.

- هاه؟

- هل لديك شيء خاص تخبرني به؟

- كلا، الأمر إن "موسيير"..

Twitter: @ketab_n

"قال راميريز" مقاطعًا:

- لا أهتم بأي هراء عن "موسيير" على الإطلاق.

قلت:

- سأدفع، لا تقلق من ناحيتي.

رد "راميريز" مقهقهًا:

- أنا واثق تمامًا من أنك ستدفع.

ثم صرخ في "خوان":

- أحضِر لي دفتر ملاحظاتي.

ترك "خوان" البيت وعاد بعد فترة قصيرة بكتاب كبير أسود من النوع الذي كان يستخدمه المحاسبون في الماضي.

هكذا يقضي هؤلاء الرجال على أنفسهم بأيديهم، يكتبون كل شيء عن أنفسهم في سجل كبير كهذا به أسماء كل المهربين، وكأنهم رؤساء شركات متعددة الجنسيات، والآن أصبح اسمي بينهم في هذا السجل.

قال "راميريز":

- مكتوب هنا "بوركو" مدين بستين ألف دولار، أنت "بوركو" أليس كذلك؟

- نعم.

- إذن فأنت تعرف هذا بالفعل.

Twitter: @ketab_n

قلتُ مغامرًا:

- قلتُ: خمسون.

- حقًّا؟ وحتى لو، هل تريد أن تأخذ مكاني وتقوم بعملي بدلًا مني؟ إنها ستون الآن.

أمسك الكتاب وعدّل الرقم.

توقف قبل إضافة البقية:

- في كل مرة تأتي إلى بيتي بهراء، سأضيف عشرة آلاف دولار إلى دَيْنَك.

ثم أضاف أنني أمامي أربعة وعشرون يومًا لتسوية الدَّيْن، وأنني يجب أن أعتبر فترة السماح بادرة حُسْن نية، لأنه ليس سخيًّا عادة هكذا.

أثناء عودتي إلى وسط مدينة "بويرتو سواريز"، كان يغمرني شعور بالارتياح. رغم كل شيء لديَّ أربعة وعشرون يومًا، "**حوِّلْ**". أفضل من أربع وعشرين ساعة، إذا قال "راميريز" إن لديَّ أربعة وعشرين يومًا، فإن لديَّ أربعة وعشرين يومًا، سابقًا، كان لديَّ ثلاثون يومًا، والآن أربع وعشرون، وهي مدة كافية، إذا أخذت في الاعتبار حجم الدين ستين ألف جنيه، وعشر كيلوجرام كوكايين.

لم أستطع التوقف عن التفكير في أن هذا هو ما يشعر به شخص محكوم عليه بالإعدام.. أربعة وعشرون يومًا، وبعدها الكرسي الكهربائي، أو شعور مريض سرطان أيضًا، الطبيب يقول:

- ستة أشهر، موعد نهائي وكل شيء ينتهي.

Twitter: @ketab_n

ما يميزني هو أنني لديَّ إرجاء تنفيذ الحكم، والمصل في جيبي. أَعدَّت "سولاميتا" كل شيء في صباح ذلك اليوم: صندوق خشبي صغير فيه ساعة الابن لنرسله إلى "بيرابا" من "بويرتو سواريز".

نظفت "سولاميتا" الساعة بعناية مزيلة بصمات أصابعنا، ولفتها في ورق كربون، وهي تقنية لإحباط عمل الأشعة السينية. كما حرصنا على طباعة اسم المستلم على ورق من على كمبيوتر "سولاميتا" واستخدمنا عنوان مرسل وهميًا، إذا فحصوه سيكتشفون سريعًا أن الشارع ورقم العقار لا وجود لهما.

ركنت على بعد مبنيين من مكتب البريد، ومشيت متجنبًا البرك، "**حوِّلْ**"، أتحسس حجم ما أحمله في جيب سترتي الجينز.

كنت أتحرك بصعوبة، مطعم للوجبات الخفيفة، محل للحُلي، بنك، محل آخر للحُلي، مخبز، ومحل حُلي آخر، جميعهم مزدحمون بسبب المطر الذي يهطل بكثافة الآن.

ترددت أمام مكتب البريد، لا أعرف هل أدخل أم أطلب من شخص أخر فعل ذلك بدلًا مني، طفل من الذين يعرضون حمل حقائب السياح يمكنه فعلها. لا تثق بأحد، "**حوِّلْ**". عندئذٍ دخلت مجموعة من السيّاح الأمريكيين إلى مكتب البريد، وسببوا ارتباكًا يليق بمجموعة من المراهقين. انضممت لهم وأرسلت الساعة بالبريد دون جذب الانتباه.

تمت المهمة، فكرت بهذا وأنا أركب السيارة.

Twitter: @ketab_n

26

كانت الأيام القليلة التالية أيام الانتظار.

لم يتصل الصيّاد، ولكن كان هناك جو من التوتر في البيت حتى إنه يمكنك الشعور به في الهواء.

في المرات الثلاث التي تحدثت فيها مع "دونا لو"، لاحظت أنها تمسك الموبايل في يدها طوال الوقت، وإذا رن لا تنتظر الرنة الثانية وترد في الحال بقلق أعرفه جيدًا.

تذكرت عندما دخلت أمي لتستحم وطلبت مني الانتباه للتليفون، سقطت في النوم واستيقظت على صراخها وهي واقعة على الأرض ملفوفة في المنشفة تبكي، صرخت في لماذا لم تجب؟

وفي منزل "آل بيرابا" ما إن عاد "خوسيه" من العمل، حتى سأل زوجته إذا كان أحد قد اتصل فتجيبه: كلا، لا شيء حتى الآن.

Twitter: @ketab_n

في يوم آخر، أثناء ذهابي لإرسال بريدهم، وجدت "دونا لو" نائمة في غرفة المعيشة والتليفون في حجرها. كانت تفقد وزنها سريعًا، ولم تعد تهتم بصبغ جذور شعرها البيضاء، التي تتناقض تمامًا مع الجزء المصبوغ في شعرها. فقدت زهوها تمامًا. كانت ترتدي "روب" أزرقَ باهتًا وشبشبًا بلون الأصفر الغامق. بدت مثل زهرة عجوز فقدت عطرها. أيقظها وجودي، فاعتدلت على الكنبة وأخبرتني أنّها أصبحت في الآونة الأخيرة تنام في أي مكان، بينما تظل سهرانه ليلًا. سألتني إذا كان لي إخوة أو أخوات، فأجبتها بالنفي، قالت وعيناها مغرورقتان بالدموع أنت وحيد مثل "جونيور". شعرت بحب ناحية "دونا لو" ذلك اليوم لدرجة أنه لو كانت هناك أي وسيلة أخرى للحصول على المال لكنت أجهضت الخطة، لكن للأسف لا توجد أي وسيلة أخرى، "حوِّلْ".

قالت "دالفا" بينما كنا في المطبخ:

- إنها متعلقة بخيط رفيع، الآن لم تعد تشرب إلا الحليب، لا تتناول أي شيء آخر.

في الصباح الباكر يوم الأربعاء، انفجرت القنبلة بمجرد وصول الطرد الذي أرسلته بالبريد من "بويرتو سواريز"، كان الأمر كما لو أن صافرة إنذار قد انطلقت، أبلغوا "خوسيه بيرابا" بتليفون، خلال نصف ساعة كانت سيارته متوقفة في الجراج، كما وصل طبيب "دونا لو" أيضًا على عجل.

سألت "دالفا":

- ماذا يحدث؟

Twitter: @ketab_n

لاحقًا، تم استدعائي إلى مكتب السيد "خوسيه" وسألني إذا كنت أنا الذي تسلَّمت البريد صباح ذلك اليوم.

أجبته:

- نعم.

- هل كان نفس ساعي البريد المعتاد؟

- نفسه، هل هناك أي مشكلة؟

- كلا.

ثم أمرني بالانصراف.

في المطبخ، قبل أن أرحل قدمت لي "دالفا" شريحة من كعكة البرتقال التي خبزتها للتو، قائلة:

- إن شيئًا غريبًا يحدث، هل لاحظت ذلك؟ منذ أن تسلَّموا منك البريد .

في تلك الليلة أخبرت "سولاميتا" كل شيء.

قالت:

- سنبدأ بتنفيذ المرحلة الثانية من خطتنا.

سمعت "سولاميتا" أن من أساليب الضغط الفعّالة التي يستخدمها الخاطفون هي الاتصال بالأسرة، وبدلًا من تقديم طلبات أو تهديدات، يكون التزام الصمت ببساطة تهديدًا رهيبًا، لا بد أن نقلقلهم، ونثير مشاعرهم لنمنعهم من الحركة.

Twitter: @ketab_n

اعتقدت لفترة طويلة أن الشر عملية بطيئة. ولكن، هذه الأيام فهمت أخيرًا أن الخير يتم تعلمه بصعوبة أكبر، من خلال تدريبات يومية يسميها الناس أحيانًا الله أو بوذا على حسب معتقداتهم. نحن نُولد والشر مختبئ فينا مثل الفيروسات الخاملة التي تنتظر فقط لحظة الظهور، وإلا كيف يمكنني تفسير سلوكي أنا و"سولاميتا"؟ كيف نفسر تصرف اثنين من الطيبين بكل هذه الفظاعة؟

لم يكن هناك أي أثر في "سولاميتا" للمرأة المذعورة التي كانت منذ بضعة أيام، كانت هي التي فكرت في التفاصيل واتخذت القرارات، ربما لهذا أصبح هاتفي الداخلي - ذلك الصوت الذي يتردد في داخلي - يتحدث أقل الآن، لا يزال يتحدث، لكن بفواصل وانقطاعات، لم يعد يقودني، بل ينبهني فقط، أصبحت "سولاميتا" هي المسؤولة الآن.

لنعد إلى المهم: كانت لياليا دراسات طويلة للاحتمالات، أحيانًا كنا كما لو أننا في قطار أشباح مسعور يخرج عن مساره، كما لو كانت تلك الخطة الغريبة مغامرة مظلمة أيقظت زلزالًا وحشيًّا. توهجت عينا "سولاميتا" بالإثارة، واحترقت عيناي.

قالت:

- علينا دراسة كل التفاصيل، خصوصًا الجثة، والمال.

أحيانًا كنت استيقظ في منتصف الليل مفكرًا في هذا أيضًا، ثم أنام فتوقظني هي، قائلة:

- خطأ واحد، خطأ واحد فقط وينتهي أمرنا. الأمر كله كلعبة الشطرنج.

Twitter: @ketab_n

وقد تسأل عدة أسئلة لم يكن لديَّ لها أي إجابة عن لون شعر "جونيور"، ولون عينيه، وطوله ووزنه، سألتها:

- كيف لي أن أعرف؟

فقالت:

- لا مفر، عليك أن تعرفها، أحتاج إلى معلومات دقيقة، فكر، حاول أن تتذكر، كيف تتوقع مني تجهيز جثة إذا كنت لا أعرف حتى طول "جونيور"؟

في الليلة نفسها التي استلمت فيها العائلة الطرد اتصل الصيَّاد، كررنا المكالمات في أوقات مختلفة في الأيام التالية كما اتصلت "سولاميتا" عدة مرات بينما كنت في العمل، حتى لا يشكُّوا فيَّ.

في ليلة الجمعة اتصلت أربع مرات في وقت متأخر، ردت عليَّ "دونا لو" أو السيد "خوسيه"، كانا في حالة يأس شديدة، كانا يستجديان الصيّاد أن يقول أي شيء:

- أنت تتصل من تليفون ابننا.

لم يصدر عن الصيَّاد أي صوت إلا أنفاسه الثقيلة التي تتردد بإيقاع حيوان متربص ينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض - هكذا شعرت على الطرف الآخر من المكالمة.

في المرة الأخيرة، فقد السيد "خوسيه" السيطرة على أعصابه، قائلًا:

- يا لئيم. يا حقير. يا ابن العاهرة.

ثم أغلق الخط.

Twitter: @ketab_n

27

تسللت أشعة الشمس عبر ألواح السقف، وأيضًا عبر الجوانب، والشقوق، ومن تحت الباب.

كان يوم السبت، كنت في السرير، نصف نائم، ونصف مستيقظ، مروحة السقف تطن، ولكنني على الرغم من ذلك كنت أسمع الضحك الذي بدا كأنه طقطقة نيران، وعبر زجاج النافذة كنت أرى قمم رؤوس صغيرة، أسعدني المنظر، حفنة من الأقزام الفضوليين. كان الأطفال يقهقهون، يتهامسون، قال أحدهم اصعدوا على السقف، كنت أعرف ما الذي يريدونه، نهضت ببطء وفتحت النافذة، مطلقًا سيلًا من التهديدات، ركضوا بعيدًا وهم يضحكون، كنت أعرف أنهم سيعودون، آملين أن ألعب معهم ثانيةً.

كان اليوم حارًّا في الخارج، وكانت "سيرافينا" تغسل الرصيف بخرطوم، عندما لمحتني قالت سأعدُّ لك قهوة طازجة .

اتصلت "سولاميتا" في الثامنة، كانت غاضبة من والدها، قالت:

- هذا العجوز الميؤوس منه، اكتشفت أنه اشترى سيارة "فولكس فاجن" من الجيران، واضطررت لإلغاء البيع، هل تصدق ذلك؟

سألتها عن الاستعدادات، وأجابتني أن كل شيء جاهز:

- مُرَّ عليَّ لتأخذني..

عندما خرجت من الحمَّام، طرقت "سيرافينا" على الباب وقدمت لي فنجان القهوة مع ظرف بني اللون دون عنوان مرسل قالت إنها تسلمته بالأمس.

لاحظت وجود كدمة على ذراعها، فسألتها عن سببها، ابتسمت محرجة.

- "إليانا"؟

أجابتني دون أن تشيح بوجهها:

- كلا، لقد اصطدمت بالدولاب.

- يجب على "إليانا" ألا تفعل ذلك، هل تفهمين؟

نزلت "سيرافينا" إلى الطابق السفلي، بفنجان القهوة الفارغ.

فتحت الظرف ووجدت نوعًا من الأشعة السينية عليها علامة حمراء على شكل سهم يشير إلى بقعة صغيرة على الصورة، وفي الورقة المرفقة كانت المعلومات التالية: فحص بالموجات فوق الصوتية، مشيمة فيها جنين 9 مم، يشير السهم إلى القلب المليء بالدم.

Twitter: @ketab_n

هذا كل شيء، وعليها خاتم بريد "ريو دي جانيرو"، إذن "ريتا" ذهبت إلى هناك؟

وقفت أتطلعَ إلى تلك الورقة السوداء، والنقطة، "ريو دي جانيرو"، مبهور الأنفاس، حرفَت كل شيء، ونزلت إلى الطابق السفلي للتحدث مع "سيرافينا"، طلبت منها ألّا تعطيني أي شيء أمام "سولاميتا"، وعد؟

أجابت:

- نعم.

- هذا أمر مهم جدًا، هل تفهمين؟

كررت:

- نعم.

دخلت السيارة وبدأت أفكر في ما قد رأيته للتو، كانت مجرد نقطة، لكن لديها قلب ودم.

كان هناك متسول نائم على شاهد ضريح ساخن، والشمس تضرب في وجهه. لم يكن حوله إلا الكلاب والقمامة.

مشينا بين ممرات المقابر النتنة، كانت "سولاميتا" تحمل باقة من الزهور البرية اشتريناها في طريقنا.

قالت:

- إذا حدث أي شيء فنحن نزور قبر جدتي لأبي.

كنا ممسكين بيد بعضنا البعض، بينما أتعرق بغزارة، أتلفت خلفي في كل لحظة تحت الشمس المحرقة.

قلت:

- لو كانوا يارقبوننا، لتم القبض علينا.

ردت "سولاميتا":

- لا أحد يراقبنا.

- قلت وأنا أعاود التلفت للخلف:

- أثق بك.

توقفت "سولاميتا" أمام قبر محطم تنبعث منه رائحة بول نفاذة.

قالت:

- سلوكك لا يساعدنا، حاول السيطرة على نفسك، أنت تجعلني عصبية أكثر.

كان اليوم صافيًا دون سحابة واحدة، شعرت أنني لم أعد أستطيع تحمل المشي تحت الشمس.

سألتني:

- هل أنت خائف؟

- إن ما نفعله لأمر بشع.

Twitter: @ketab_n

- لن نقتل أحدًا، فكر في أمك، في "دونا لو"، أنت قلت بنفسك إنها سوف تتحسن بمجرد أن ينتهي كل هذا.

كنا في مرحلة من الخطة بدأنا فيها في إنفاق الأموال، أموال "سولاميتا". هذا الأسبوع عرضت عليها بيع الشاحنة، لكنها رفضت تمامًا:

- لا يمكننا فعل أي شيء بوسعه لفت الأنظار إلينا - بيع، أو شراء، أو إنفاق، أو شجار، أو انفصال، لا شيء إطلاقًا، ليس الآن ولا حتى لاحقًا عندما ينتهي كل شيء. لا بد أن تستمر في العمل عند "آل بيرابا" لفترة معقولة، وكأن شيئًا لم يكن.

سألتني:

- هل تعرف متى يكشف المجرم نفسه؟

- لسنا مجرمين.

ردت:

- بالطبع، ولكننا نرتكب جريمة، وهناك نصيحة للأشخاص الذين يفعلون ما نفعله: لا تغير روتينك، لأنه عندما تغير روتينك فإننا، الشرطة، نجد خيطًا يقودنا للمجرم.

- أنا أفكر في أموالك التي ستنفقينها، فكري في الأمر، إذا كنا سنتراجع فلا بد أن يكون الآن.

قالت:

- لا أريد التراجع عن أي شيء، لديَّ أصدقاء يشربون قبل الذهاب إلى العمل، قد تحتاج إلى الشرب أيضًا كي تهدأ، الآن دعنا نواصل.

سحبتني من يدي:

- إنه في انتظارنا.

كان اسم الرجل "جيلمار"، بدا ببشرته التي لَوَّحتْها الشمس وملابسه الملطخة بالطين كبقعة في ذلك اليوم المضيء. كان ممسكًا في إحدى يديه جاروفًا، وفي الأخرى قبعته.

كنا في منتصف المقبرة، والذباب يطن من حولنا. في الطريق أخبرتني "سولاميتا" أن المكان استولى عليه البلطجية، أصبحت القبور والأضرحة مراحيض للمتسولين. الحكومة لديها سلطة فتح مقابر المدفونين منذ أكثر من خمس سنوات، ولكن اللصوص والصعاليك يفتحونها ويأخذون ما يريدون.

الآن كانت تتحدث إلى "جيلمار"، وبقيت أنا على مسافة، كما لو أنني بهذه الطريقة لن أكون جزءًا من التفاوض المروِّع.

قال "جيلمار":

- مضت خمسة أشهر.

ردت "سولاميتا":

- ليست مشكلة، طالما أنها جثة رجل.

- نعم رجل، دفنته بنفسي.

Twitter: @ketab_n

- ما طوله؟

- خمس أقدام ونصف القدم كما طلبتِ.

- كيف سنحصل عليه.

- سأنبش قبره اليوم، ويمكنك المجيء الليلة، سأنتظرك عند البوابة.

- ألا يوجد حارس؟

ضحك "جيلمار".

عندما كانوا يتحدثون عن الدفع، لم أستطع التفكير في أي شيء إلا تلك النقطة المظلمة، والسهم الأحمر، والمشيمة 9 مم، ماذا لو كنت في "ريو" مع "ريتا"؟ أغمضت عيني وتخيلت المشهد، نسير متشابكي الأيدي على الشاطئ، طائرة شراعية في السماء، تهب نسمة تبرد جسدينا، تدعوني "ريتا" للسباحة، نغوص في المياه.

غارقًا في العرق، غادرنا المقبرة تحت لهيب شمس لا ترحم.

Twitter: @ketab_n

28

لاحقًا بعد نصف ساعة، بعدما ركنت أمام محل تجهيزات البناء، أعطتني "سولاميتا" القائمة التي أعدتها، وهي:

2 معطف

2 زوج من القفازات

2 نظارات واقية

2 أقنعة

جاروف

8 أمتار من البلاستيك الأسود الغليظ

موقد لحام

مطرقة

2 كشافات قوية

Twitter: @ketab_n

8 أكياس قمامة سعة 800 لتر

5 أمتار من قماش أسود

حبل

قالت لي وهي تسلمني المال الذي سحبته من مدخراتها في اليوم السابق أن أشتري أول أربعة أشياء فقط من هنا، والباقي من محلات أخرى.

حقيقة أن "سولاميتا" تموِّل العملية ضايقتني للغاية.

قلت:

- سوف نسترد ما أنفقناه.

قَبَّلَتني.

نزلتُ من السيارة، اشتريت ما نحتاج، وكررنا هذا الإجراء في ثلاثة متاجر أخرى في المدينة حتى لا نُلفِت الانتباه إلينا، عندما عدتُ إلى الشاحنة بعد شراء آخر ما نحتاج، وجدت "سولاميتا" على الرصيف.

سألتها:

- ماذا؟

أجابتني:

- أردتُ التأكدَ من أن أحدًا لا يتبعنا.

تلفتُّ حولنا خائفًا.

قالت:

- كنت أتأكدُ فقط، ظننت أنني رأيت "جويل"، لكنه لم يكن هو.

دخلنا السيارة، وعيناي على مرآة الرؤية الخلفية.

سألتها:

- ما الذي سنفعله؟

- الآن أريد شيئا آكله، أنا جائعة.

قال لي حماي:

- أنت تعلم بأنني سأدفع لك.

كان يهمس خشية أن تسمعه "سولاميتا". كنّا جالسين أمام التليفزيون نشاهد أحد الأفلام الغبية بعد أن انتهينا للتو من تناول الغداء، كان ينبغي أن أختصر الحوار بأن أقول له تحدث مع ابنتك، هي التي يمكنها حل مشكلتك، لكنني سمحت للعجوز بمواصلة الحديث، قال:

- الموضوع وما فيه أنني أقرضت صديقًا لي ولا أريد الضغط عليه، أتعرف؟ المال ينهي الصداقة، إذا ضغطت عليه، سوف أخسر صداقة صديق طيب من النادر أن أجد مثله، الوضع مختلف عندما تستدين من شخص في عائلتك، مثلنا، أنا مدين لك، لكنني سأدفع، وإذا ما احتجت في يوم من الأيام فسوف أقرضك، وفي المستقبل يمكنك أن ترد المال عندما تستطيع، لن ألاحق زوج ابنتي أبدًا، لكنني سأدفع لك، أحتاج أن تقرضني

Twitter: @ketab_n

ألفًا أخرى، في الحقيقة أحتاج إلى ألف ومئتين، وصديقي سوف يدفع لي، وسأرد لك مما سوف يدفعه، سوف أدفع الخمسة آلاف بالإضافة إلى الألف التي ستقرضها لي الآن.

لاحظت أن "ريجينا" كانت منتبهة إلى والدها وتبتسم لي، ثم أعادت النظر إلى والدها وقهقهت قهقهة غريبة، كصوت حصى يسقط على الأرض، استمر العجوز في الحديث، وفي كل مرة يكرر إنه سيدفع لي، تضحك "ريجينا" أكثر، وتتطلع إليّ، وجدت ذلك مضحكًا فبدأت في الضحك أيضًا.

قال العجوز:

- توقفي عن هذا يا "ريجينا"!

لكنه أدرك بعد ذلك ما كان يحدث وبدأ يضحك معنا معلقًا:

- البنت دي هايلة، ليست متخلفة، بل ذكية جدًا.

ضحكنا كثيرًا، أضاف مختنقًا بالضحك:

- الناس يعتقدون أنها ماكرة، لكنها تعتني بنا.

كنا نضحك ونهز رؤوسنا عندما وصلت "سولاميتا" وسألت ما الذي يضحكنا.

قال والدها ضاحكًا:

- هذه المتخلفة ذكية جدًا!

اشتعلت "سولاميتا" غضبًا عندما أشار والدها على "ريجينا" بهذا الاسم، وقالت لوالدها:

Twitter: @ketab_n

- لا تتحدث عنها بهذا الجهل يا أبي، إنها ليست متخلفة.

وبدأ الشجار، صرخت الابنة في العجوز الذي صرخ في ابنته التي صرخت بدورها في أمها وأبيها اللذين صرخا في بعضهما البعض، مما جعل "ريجينا" تبكي، شاهدت هذا الموقف عدة مرات.

سألتني "سولاميتا":

- هل تفهم الآن لماذا لا أستطيع مغادرة البيت؟ لأنهم لا يعرفون كيفية الاعتناء بأختي. دعنا نأخذ "ريجينا" لنتناول الآيس كريم، ساعدني لنضعها في السيارة.

لاحقًا في وقت متأخر من ذلك اليوم، بعد أن تركنا "ريجينا" مع والديها ذهبنا إلى غرفتي وأخذنا حمامًا، قالت "سولاميتا"، التي كانت قد فعلت نفس الشيء منذ دقائق في منزلها:

- ارتدِ ملابسك القديمة.

كانت الشمس قد غربت منذ أقل من نصف ساعة. كان لدينا وقت كافٍ، فقررنا تناول البيتزا في مطعم تكون ترابيزاته في الهواء الطلق حتى يمكننا الاستمتاع بنسيم النهر.

المطعم مكتظ بالعائلات والأطفال، مما أشعرني بالراحة، خاصةً عندما بدأ تأثير الفودكا.

أكلنا وواصلنا الشرب لقتل الوقت.

Twitter: @ketab_n

حكت لي "سولاميتا" أنها عندما كانت في الكلية عن أستاذ التشريح الذى رشّح لها قصة عن قتل وبيع الجثث، والتي اقتُبست من الأحداث التي وقعت في لندن في القرن التاسع عشر. قصة بشعة: أشخاص بلا أخلاق كانوا يخنقون المتسولين ويبيعون أجسادهم إلى الجامعات، ولكن كل هذه الدناءة، كانت لغرض نبيل هو العلم والتقدم. أضافت:

- القصة كتبها "روبرت لويس ستيفنسون" وسُميت "سارق الجثث"، بعد هذه الحكاية صمتت عدة لحظات. ثم قالت بانكسار:

- لكن ليس لدينا حتى هدف نبيل.

كنا على تلك الحالة الآن، نفكر دائمًا في التخلي عن خطتنا البشعة بطريقة أو بأخرى، أولًا أنا، ثم هي، بعد ذلك أنا مرة أخرى، وهي ثانيةً، ثم كلانا معًا، أو هي فقط، أو أنا فقط، يومًا بعد يوم على هذا المنوال من التردد الرهيب.

أدركت أن "سولاميتا" لا يمكنها شرب المزيد، أخذت الكوب من يدها، واستأذنت النادل في أخذ زجاجة الفودكا معي، نصحت "سولاميتا" إنني سأشرب وحدي لأن معدتها لن تتحمل.

في الحادية عشرة مساءً وصلنا إلى المقبرة، كان "جيلمار" عند البوابة مع امرأة عرفت لاحقًا أنها زوجته، أوضحت "سولاميتا" أن الكثيرين يكسبون عيشهم بهذه الطريقة، فهم يبيعون كل شيء من القبور: الجثث، والمزهريات، وحتى اللوحات البرونزية.

بينما كنا نتبع الزوجين في الظلام، تسللت رائحة العفن من نافذة السيارة.

- ماذا لو تحدثوا؟

Twitter: @ketab_n

قالت:

- ليس هناك وسيلة يمكن التورط بها في خطة كهذه دون مخاطرة، علينا اغتنام الفرصة.

- هل تثقين به؟

- ندفع جيدًا، هذا ما أثق به، المال.

عندما وصلنا إلى آخر المقبرة، أومأ إلينا "جيلمار" لنقف، خرجت من السيارة فرأيت تابوتًا متواضعًا بجانب قبر بسيط.

سألته:

- كيف سنحمله؟

أجابت "سولاميتا":

- أحضر القماش من السيارة.

أدرت ظهري حينما فتح الزوجان التابوت، فقط أستمع إلى تعليمات "سولاميتا" للف الجثة ووضعها في مؤخرة الشاحنة.

كنا قد أحضرنا بلاستيك أسود لنخفي شكل السيارة، عدتُ إلى الشاحنة عندما أصبح كل شيء جاهزًا وانتظرت أن تدفع "سولاميتا" إلى الزوجين.

كانت الساعة الحادية عشرة والثلث عندما غادرنا المقبرة.

Twitter: @ketab_n

29

قدنا السيارة لأكثر من نصف ساعة على الطريق الترابي دون أن نقابل أي شخص. "سولاميتا" تعرف الطريق جيدًا، عند المدخل التالي قالت توقف بالقرب من السور، إنها مزرعة قديمة مهجورة، لا أحد يأتي إلى هذه المناطق أبدًا، كان رأسي يدور من الفودكا.

توقفنا، وعندما أطفأت الأنوار بدا الأمر كما لو كان الليل قد هبط على رؤوسنا، حتى إنني لم أتمكن من رؤية يدي.

أشعلت المصابيح الأمامية، شربت قليلًا من الفودكا، خرجنا وأخذنا معنا المواد التي أحضرناها على المقعد الخلفي للسيارة، ثم أضأت الكشاف، وسلمتني "سولاميتا" المعطف الواقي من المطر، النظّارات الواقية، والأحذية عالية الرقبة، والقفّازات، لأستعد. بينما كانت "سولاميتا" ترتدي ملابسها، حكت لي عن مرض تسببه الديدان الآكلة للجثث التي تسبب العمى، قالت انتبه.

أخرجنا الجثة من الشاحنة ووضعناها على الأرض.

Twitter: @ketab_n

كنّا قد اتفقنا على أن احفر القبر، بينما هي تُعَد الجثة، لكن بسبب الظلام ظنّت أنّه من الأفضل أن نفعل كل شيء معًا، قالت:

- لا بد أن تقرب الضوء إليه.

ركعت "سولاميتا" على ركبتيها أمام السيارة، مستفيدة من إضاءة المصابيح الأمامية، اقتربت منها بالكشاف وعندها رأيت الجثة.

لا يمكن التعرف عليها؛ كتلة هلامية، الوحل يغطي الهيكل العظمي، حتى إن كل شعرة في جسدي وقفت من الخوف.

جرعت مزيدًا من الفودكا بتلهف، وكذلك فعلت "سولاميتا".

لا تزال قطع من القماش المتعفنة ملتصقة بالجثة.

باستخدام مقص، قَطَّعتها "سولاميتا" ووضعتها في كيس قمامة. بحثت بحثًا دقيقًا للتأكد من عدم وجود أشياء تدل على الهوية، ثم حفرتُ حفرة عميقة وضعنا الجثة داخلها بعناية، أزحنا عنها القماش الأسود الذي استخدمناه في نقلها.

فقط عندما اعتقدت أننا انتهينا من الأسوأ، طلبت مني "سولاميتا" توجيه الضوء إلى القبر، بالمطرقة كسرت أسنان وساقي الجثة في عدة أماكن، قائلة:

- حتى لا يكون بمقدورهم تحديد الهوية من سجلات الأسنان.

مستطردة:

- شَرَّحتُ جثث طيارين لقوا حتفهم في حوادث. تكون جثثهم مهشمة.

Twitter: @ketab_n

ثم أخذت موقد اللحام وأحرقت الساقين. ثم أغلقنا القبر، جمعنا القماش والأكياس البلاستيك، أشعلنا فيها النار. ألقينا النظارات الواقية، الجاروف، وجميع الأشياء الأخرى في النهر في كيس قمامة أثقلناه بالحجارة.

في الثالثة صباحًا وصلنا إلى بيتي، ذهبنا إلى الحمَّام مباشرة، فتحنا الدش، بقينا صامتين، متعانقين، شاعرين بشلال الماء فوق رأسينا.

يوم الأحد، عندما استيقظت "سولاميتا" كنت قد ألقيت بملابسنا التي كنا نرتديها في الليلة السابقة في كيس للقمامة، قلت لها سنخرج.

تناولنا إفطارنا في مطعم على الناصية، على الطريق السريع القديم بعد خروجنا من المدينة استدرنا يسارًا، توقفنا عند مقلب للقمامة، تخلصنا من ملابسنا.

قضينا الصباح في السباحة في المغارة نفسها التي نذهب إليها دائمًا، لكننا عمليًّا لم نتحدث باستثناء عدة مرات قالت لي فيها "سولاميتا" إنها تحبني.

استلقينا في الشمس حتى يجف جسدانا، كنت متعبًا للغاية حتى إنني أغمضت عينيَّ عدة مرات ونمت، في إحدى المرات استيقظت لأجد "سولاميتا" تتفرس في ملامح وجهي.

سألتني:

Twitter: @ketab_n

– هل سيمكننا نسيان ما فعلناه في يوم من الأيام؟

– تنهّدتُ.

قالت:

– أخشى أن نحمل هذه الجثة على عاتقنا بقية عمرنا.

كنت أعتقد أن علينا أن نحمل عبء شيء ما، لكنني لم أقل لها أي شيء. أغمضت عيني مواصلًا الاستمتاع بأشعة الشمس على جسدي.

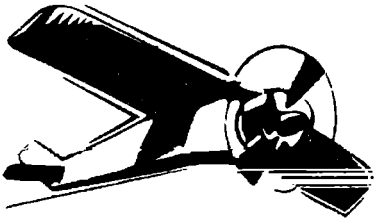

Twitter: @ketab_n

30

عندما وصلت إلى العمل يوم الاثنين، كانت "دالفا" تعرف كل شيء بالفعل. اعترفتْ من دون حرج بالتنصت على محادثات أصحاب البيت عبر الباب، قالت في أثناء إعدادها القهوة الطازجة لي:

- أتعرف أنني أعمل في هذا البيت منذُ أكثر من عشرين عامًا؟ لقد ربيت هذا الفتى، من حقي معرفة ما يجري.

تنهّدت بعمق ساحبة كرسيًّا لتجلس أمامي.

قالت:

- هل تذكر ذلك الرجل المجنون الذي اتصل من قبل وأخبرنا أن الابن قد مات؟ إنه لا يزال يتصل.

شعرت بقلبي يدق بعنف، اهدأ، "**حوِّلْ**". إنهم لا يعرفون أي شيء، "**حوِّلْ**"، تذكرت ما قالته "سولاميتا" عن مهنتها بعدما دفنّا الجثة. قالت:

Twitter: @ketab_n

- ربما تفهم الآن العار الذي أشعر به بسبب العمل في المشرحة. الناس يشمئزون مني، يتجنبون الحديث معي، كما لو كنت سألوثهم، والأسوأ هو أنني أشعر أنني ملوثة بالفعل.

عندما أخبرتني "دالفا" عن المكالمات الغامضة التي تتلقاها عائلة "بيرابا" منذ عدة أيام شعرت بشعور "سولاميتا" نفسه.

سألتني:

- هل تظن أنه من الممكن خطف جثة؟ ما فهمته أنهم خطفوا جثة "جونيور"، لم أكن أعرف أنهم أصبحوا يخطفون الجثث الآن، الأمر جديد بالنسبة لي، كيف يمكنهم خطف جثة؟

كانت "دالفا" مشوشة، كما لو أنها تقول لي، حسنًا، أفهم جرائم القتل والاغتصاب والسرقة والخطف والمطالبة بفدية، أفهم أنهم يذبحون ويحرقون، ويفجرون مركز التجارة العالمي، ولكن سرقة الجثث؟! الجثث لا تُسرق، بل تُدفن في المقابر.

في الحقيقة، "**حوِّلْ**"، لم أعد أسمع "دالفا" بعد الآن، فقط أحدق في وجهها الحائر وأكرر لنفسي على الأقل لم نقتل أحدًا. لسنا قتلة، كررتها صامتًا، وعندما ركزت اهتمامي مع "دالفا" مرة أخرى، تأكدتْ توقعاتي السابقة؛ السيد "خوسيه" أراد الاتصال بالشرطة، لكن "دونا لو" ضده، قالت "دالفا":

- يتجادلون حول ذلك طول الوقت.

قالت لي أيضًا إن "دونا لو" كانت ترتدي ساعة ابنها، قالت:

Twitter: @ketab_n

- أتعرف، أعتقد أن السيد "خوسيه" على حق، عليهم استدعاء الشرطة.

استطردت:

- لو وضعت يديَّ على هذا الخسيس لا أعرف ماذا كنت سأفعل، في رأيي أن أي شخص يفعل هذا النوع من التصرفات الخسيسة يستحق الإعدام بالكرسي الكهربائي، من العار حقيقةً أن البرازيل لا تطبق عقوبة الإعدام.

بعدم الإفطار شعرتُ أن حالتي أسوأ، أصبت بالغثيان وذهبت إلى الحمَّام لأتقيأ، كنت قد استيقظت شاعرًا بالمرض، لكن "سولانجيتا" أصرت على ألا أُغَيِّر روتيني في توقيت كهذا، مشيرة إلى أن أي شيء غير معتاد سيثير الشبهات.

تقيأت مرتين دون أن يشعر أحد. كنت هادئًا حتى لا أجذب انتباه أحد.

ظلت "دالفا" تأتيني في الجراج بأسئلةٍ غير عادية، كيف توصل المجرمون إلى جثة "جونيور"؟ هل كانوا في الطائرة؟ أم إنهم وجدوه قتيلًا بعد وقوع الحادث؟ وأين احتفظوا بالجثة؟ في ثلاجة؟ لماذا لمْ يخطفوه وهو على قيد الحياة؟ ثمنه وهو حي أكثر بكثير من ثمن جثته.

جاءت لحظة أصبحت فيها الأسئلة أكثر سخونة، ألا تعمل صديقتك في المشرحة؟ ماذا تفعل بالضبط؟ هل يمكنها أن تخبرنا إذا نظرت إلى جثة الابن إذا ما كانت حقًّا جثته؟ أم جثة شخص آخر؟ هناك اختبارات لذلك؟

Twitter: @ketab_n

كان الأمر واضحًا، بالطبع سيربطون بيني وبين الموضوع، قلت في نفسي سيقبضون عليك "**حوِّلْ**"، اتصلت بـ"سولاميتا" عدة مرات، نصحتني أن أهدأ وألا أفسد كل شيء، قائلة:

- لا بد أن تبقى هادئًا، لا تفسد كل شيء، لا أحد يعرف شيئًا، أليس هذا ما قالته "دالفا"؟

بعد الغداء، استدعاني السيد "خوسيه" إلى مكتبه، عندما دخلت، كان يتحدث في التليفون مع أحد المسؤولين عن مزرعته، وأومأ لي أن أنتظره.

لاحظت الزهور الذابلة خارج النافذة، التي لم تزهر وماتت بالفعل. هكذا كانت الحياة في "كورومبا".

قال لي وهو يضع سماعة التليفون:

أخبرتني "دالفا" أن صديقتك تعمل في الشرطة.

أكدت له المعلومة، ثم سألته بتهور عمّا إذا كان هناك أي شيء يمكننا القيام به للمساعدة.

تَطَلَّع إليّ مفكرًا في أفضل طريقة يقول لي بها ما يود قوله.

حينها دخلت "دونا لو" المكتب. مدهش ما يفعله الألم بالناس، ينعكس ضرره الأكبر على الوجه. عندما نظرت إلى تلك المرأة المهزومة، كان صوت تهشيم "سولاميتا" عظام الجثة يرن حادًّا في أذني كالصدع.

قال لها "خوسيه":

- خطيبته تعمل في الشرطة.

Twitter: @ketab_n

قالت:

- أعرف.

نظرت إلى زوجها ثم إلي في أسى، كما لو كانت تخشى خبرًا سيئًا، ثم بطريقتها اللطيفة طلبت مني تركهم وحدهم.

تحدثا بصوت عالٍ، لم يسعني إلا الاستماع لهما. توقفت في منتصف غرفة المعيشة، مستمعًا إلى كل ما يقولونه. جاءت "دالفا" بصينية القهوة ووقفت بجانبي. قالت "دونا لو":

- أنْصِتْ إليّ ما سأقوله، أريد ابني، من حقي دفن ابني، سأدفنه حتى لو كان هذا آخر ما أفعله على الأرض، لن تقف في طريقي.

كررتها عدة مرات وسط شهقات ثم بكت متوسلة إلى زوجها أن يسمع، لا أن يتخذ موقفًا، أو يستدعي الشرطة، أو يطلب المساعدة من أي شخص بما فيهم أنا، لأن لا شيء يمكن فعله - مهما كان جيدًا - يمكن أن يعيد ابنها ثانيةً، حتى لو اكتشفت الشرطة من المريض الذي يبتزهم، فإن ابنها سيظل ميتًا، وهي تفضل الموت على ألا تدفن ابنها.

بعد ذلك، لم نسمع سوى بكائها، الذي لم يكن نشيجًا ولا نواحًا، بل فقط عبارة "أريد ابني" وكأنها ترتل في الصلاة أو الابتهال.

رأيت "دالفا" تبكي أيضًا، شعرت بغصة في حلقي، أخذتها إلى المطبخ ثم ذهبت إلى الحمَّام لأتقيأ مرة أخرى، كان مروعًا مشاهدة هذا المشهد، لكنني من ناحية أخرى شعرت بالأمان، لن يبلغوا الشرطة .

Twitter: @ketab_n

في ذلك اليوم ذهبت إلى الصيدلية لشراء دواء لـ"دونا لو" خمس مرات، حضر الطبيب لرؤيتها، وقضى فترة ما بعد الظهر في المنزل.

في السادسة التقيت "سولاميتا" عند مدخل المشرحة، حكيت لها ما حدث بالتفصيل.

سألتني:

- أنت متأكد أن هذا كل شيء؟

- نعم.

- لم يسأل عن أي شيء آخر بشأن عملي؟

- لا، ولم أقل له أي شيء، لم يكن هناك وقت، "دونا لو" قطعت حديثنا، لكن "دالفا" سألتني عدة أسئلة، ربما تساورها الشكوك، لا أعرف، كما سألتني أيضًا عن حياتي في "ساو باولو"، لكن ربما لا تقصد شيئًا.

كنا في السيارة، وأصابتني الحرارة بالدوار.

سألت "سولاميتا":

- ماذا عنه؟ السيد "خوسيه"؟ تعتقد أنَّه يشتبه فيك؟

غيرت رأيي بشأن ذلك عدة مرات على مدار اليوم، أجبتها:

- أعتقد أنه نعم ولا، أحيانًا أعتقد أن كل شيء واضح جدًا، أنت، والمشرحة، من ناحية أخرى أعرف كيف تسير الأمور، عندما تكونين داخل الموقف نفسه، تعانين، لا تستطيعين تكوين نظرة شاملة للوضع. مثلًا عندما أفكر في أمي أعتقد أنه كان بوسعي مساعدتها، هذا كل ما في الأمر.

Twitter: @ketab_n

- إذا كان بهذه الدرجة من الثراء لماذا لا يطلب من وزير الداخلية المساعدة؟

- لأن "دونا لو" تريد دفن ابنها، لأن الشرطة تشكل عائقًا، قد تخيف الخاطف.

- لن تبلغ الشرطة؟

- كلا.

تحدثنا عن ذلك كثيرًا، تعتقد "سولاميتا" أن المشكلة قد تظهر في المستقبل، قالت:

- هناك لحظات يستدعي فيها الجميع الشرطة، عندما يتسلَّمون الجثة، سوف يضطرون إلى إجراء اختبار الحمض النووي قبل الدفن، إنه الإجراء المعتاد، عندها ستطرح الشرطة الأسئلة.

ومع ذلك، تعرف "سولاميتا" عاملًا في المختبر البرازيلي الذي تتم فيه اختبارات المنطقة، تعتقد أنه بإمكاننا إقناعه بمساعدتنا.

سألتها:

- كيف؟

قالت:

- مقابل ستمائة ريال، يمكنك إقناعه بفعل أي شيء مقابل ستمائة ريال، كل ما عليك فعله هو الدفع، المهم الآن استخدام استراتيجية الصمت، سنرهبهم، سنختفي بعض الوقت، الصمت هو سلاحنا الأقوى.

Twitter: @ketab_n

31

عندما تُرتكب جريمة كهذه لا تكون المشكلة في الآخرين، ولا عن الواقع، ولا الدليل. المشكلة هي أنت نفسك. الزلات التي تفعلها عندما يوجه لك سؤال، الأفعال الخاطئة، رد فعلك غير المناسب في حالات معينة. ناهيك بالرغبة في الاعتراف التي تلح عليك مرارًا وتكرارًا. قالت "سولاميتا":

– هذا شائع، لكن الشعور بالذنب يؤدي عادة إلى عواقب وخيمة في مثل هذه اللحظات، الناس ببساطة لا يضعون في حسبانهم الحمل الزائد الذي يبدأون في تحمله، يريدون التحرر منه حتى يتمكنوا من النوم. في الحقيقة الاعتراف له علاقة أكثر بالارتياح عن التوبة، يعمل كبلسم، وتفريغ، وبعدها يندمون على الاعتراف، لكن بعد فوات الأوان.

كان حديثنا عن مثل هذه الأمور في السرير دائمًا، ما الذي نفعله في هذا الوضع أو ذاك، تقول "سولاميتا":

– ضبط النفس هو كلمة السر، تحكم في أعصابك دائمًا.

Twitter: @ketab_n.

انتكست، لكن حالتي جيدة بصفة عامة، لا يهمني أسئلة "دالفا" أو ما يحدث في البيت، ظللت صامدًا حتى قررنا أن الوقت قد حان.

في التاسعة مساء الاثنين ذهبنا إلى ساحة الحي ومعنا تليفون "جونيور" المحمول.

كانت أول مكالمة متوترة، أرادوا معرفة لماذا لا يزال موبايل ابنهم يعمل: ألم تقل إنك وجدت ابني في المياه؟ كانوا عصبيين للغاية، استغللت ذلك بقولي إن كوني أتحدث معهم من هذا الرقم هو دليل آخر، وإننا نريد 200 ألف دولار لتسليم الجثة.

رد "خوسيه بيرابا":

- ليس لديَّ هذا المبلغ، كما أنني لا أعرف حتى إن كنت تقول الحقيقة.

في أقل من ساعتين اتصلت مرتين، هددتهم إن أبلغوا الشرطة فلن يعرفوا أبدًا كيف يعثروا على جثة ابنهم.

لاحقًا، بينما نتناول الآيس كريم في الساحة، لخصت المكالمة لـ"سولاميتا".

قالت:

- الأغنياء الملاعين ليس من السهل التعامل معهم، حتى في مثل هذه الأوقات يريدون المساومة.

كان الليل خانقًا، وفي طريق العودة إلى البيت قررنا شراء زجاجة فودكا، كما اشترت "سولاميتا" شوكولاتة، وفول سوداني، ورقائق بطاطس.

Twitter: @ketab_n

بقينا في المنزل ما تبقى من الليل، نشاهد فيلمَ خيالٍ علمي مكتوم الصوت، نترنح أحيانًا من الفودكا. كنت أغفو ثم أستيقظ فجأة فزعًا، كنت أسمع في أذني صوتًا حادًا يشبه صوت ضربة السوط.

عندما توقف الصوت سقطت في نوم ثقيل، حلمت بـ"ريتا"، لديَّ الكثير من التفسيرات يمكنني إعطاؤها؛ كنت على استعداد أن أطلب السماح من "ريتا"، لكنها أرادت أن تريني الموجات الصوتية اللعينة فقط، سألتني هل ترى هذه البقعة هنا؟ لم أتمكن من رؤية أي شيء، قالت إنها طفلنا، ثم فجأة بدأنا ممارسة الجنس بنهم كالكلاب في المقبرة التي اشتريت منها أنا و"سولاميتا" الجثة، قالت يمكنك أن تقذف بداخلي.

استيقظت بإحساس النشوة الجنسية، لم تكن "سولاميتا" في السرير، عندما ذهبت إلى الحمَّام وجدتها تستحم، كان يبدو عليها آثار البكاء، قالت:

- لم يطرف لي جفن.

خلعت ملابسي، ودخلت إليها، بدأنا التقبيل، لعقت رقبتي، وواصلت تقبيلي، لكنني شعرت أنني لن أقوى على ممارسة الجنس في تلك اللحظة.

عندما قذفت كان بطيئًا، وضعيفًا كأنه صدى.

في صباح اليوم التالي، أثناء مغادرتنا البيت إلى العمل، سمعت "إليانا" تصرخ، كنت منزعجًا منها، وأعرف بالضبط ما الذي يدور بالأسفل.

طلبت من "سولاميتا" انتظاري في السيارة.

Twitter: @ketab_n

عندما دخلت مطبخ "إليانا" وجدت "سيرافينا" جالسة على ترابيزة "الفورميكا"، وأحد أحفادها يحميها من غضب والدتهم.

أخذت "إليانا" إلى الخارج لأتحدث معها.

لم أدعها تنطق كلمة واحدة، سألتها مشيرًا إلى شاحنتي:

- هل ترين "سولاميتا" هناك؟ إنها تراقبك، وطلبت مني تحذيرك إذا وضعت يدك على "سيرافينا" مجددًا ستأتي إلى هنا لتلقي القبض عليك، أتفهمين؟ هل تعرفين ما عقوبة إساءة معاملة الهنود؟ أحذرك، إنها جريمة من دون كفالة، أسوأ من تهريب المخدرات أو اصطياد الطيور النادرة، هل تسمعينني؟

حدقت في وجهي، لا تعرف بماذا ترد.

لَوَّحتْ "سولاميتا" إلينا من السيارة.

عندما ابتعدت بالشاحنة سألتني "سولاميتا" إذا كانت هناك أي مشاكل، أجبتها:

- كلا، على الإطلاق.

قال "بيرابا" بمجرد أن دخل السيارة:

- سنذهب إلى البنك.

Twitter: @ketab_n

بينما كنت أنتظره في السيارة فكرت أن بداية اليوم جيدة. بعد عدة لحظات عاد بصحبة المدير الذي كان يحمل حقيبة سفر سوداء مثل تلك التي نراها في الأفلام لنقل الأموال.

في الرابعة طلبت مني "دونا لو" الذهاب معها إلى الكنيسة، بدت أكثر عزمًا من زوجها، قالت إن الرب أنعم عليها وترغب في حمده، شعرت أنها تريد التحدث لكنني لم أتمكن إلا من قول نعم ولا، عاجزًا عن إنتاج ما يشبه الحوار، في طريق العودة أبقت عينيها مغلقتين، بينما يدها ممسكة بالمسبحة، لم تتوقف عن الصلاة أبدًا.

لا تزال معدتي في حالة غير جيدة، وكلما مرت ساعات النهار شعرت بالغثيان أكثر فأكثر، مع ذلك كنت حريصًا على الحفاظ على رباطة جأشي، في تلك الليلة، فعلت ما اتفقت أنا و"سولاميتا" على فعله، في السابعة اتصلت بـ"خوسيه بيرابا" وتحدثت معه، وافقت على خفض الفدية إلى المبلغ الذي اقترحه (160 ألف دولار).

قلت له:

- في حمام الرجال بالمطار، ستجد التعليمات تحت الحوض، اذهب بمفردك.

وأنهيت المكالمة.

بعد ذلك، ذهبت لمقابلة "سولاميتا" في مركز الشرطة.

Twitter: @ketab_n

كانت قد اشترت فطيرة فراولة وذهبت لزيارة أحد الأصدقاء القدامى، عندما وصلت قالت إننا مخطوبان، تلقينا التهاني من كل من بالمركز، ولم نلحظ أي شيء غير عادي.

لاحقًا، دعت "سولاميتا" "جويل" لتناول العشاء معنا، كما جاء "دودو" متملق الرئيس بوجهه الشبيه بوجه كلب "فايمارانر".

كان تجمعًا حافلًا بالقصص التي كنت سمعتها بالفعل، والتي يحبون قولها مجددًا، مثل اليوم الذي صفعت فيه "سولاميتا" شابًّا كان يلقي بيانًا، علقت "سولاميتا":

- إنه مغتصب كان يسخر منّا.

استطردت:

- النذل كان يتحدث ويضحك كما لو كان اغتصاب الفتيات الصغيرات المساكين أمرًا مضحكًا.

أضاف "جويل" مقهقهًا:

- كان على وشك الاعتراف عندما نهضت هذه المجنونة من أمام الكمبيوتر وصفعته، بدا الرئيس ساعتها وكأنه سيقتلها.

في الطريق إلى البيت، أخبرتني "سولاميتا" أن "آل بيرابا" أنجزوا دورهم من الصفقة، والشرطة لا تعرف أي شيء عن الموضوع، تأكدت من ذلك بنفسها.

كل شيء واضح، "حوِّلْ".

Twitter: @ketab_n

32

السابعة صباحًا.

في المطعم، طلبنا قهوة و"توست" بالزبد.

قالت "سولاميتا" مشيرة إلى الصحيفة:

– فرصة الهروب بمسروقات هي مئة بالمئة تقريبًا، وإذا قتلت شخصًا فاحتمال القبض عليك ليس إلا 15 بالمئة، هذه الإحصاءات من دراسة في "ريودي جانيرو".

قالت هذا وهي تريني الصحيفة.

كنت عصبيًّا، بينما "سولاميتا" تحاول تهدئتي، لكنها كانت في حالة أسوأ مني، لذا كنت أحاول تهدئتها كذلك.

قلت لها:

– إذا كانت حالة "ريو" هكذا، فإن بقية البرازيل أسوأ بكثير، "كورومبا" ليست في البرازيل حتى، نحن عمليًّا في "بوليفيا".

Twitter: @ketab_n

قالت:

- اخفض صوتك، المشكلة أننا لم نسرق فحسب.

- لكننا لم نقتل أحدًا على الإطلاق.

كررت:

- اخفض صوتك.

استطردت متجاهلة حجتي:

- المشكلة هي أننا نبيع جثة مزيفة إلى واحدة من أغنى عائلات "كورومبا".

كانت الفدية الجزء الأكثر حساسية في خطتنا، وضعت "سولاميتا" التفاصيل مع الأخذ في الاعتبار دائمًا أنه من الممكن أن يبلغوا الشرطة. كررت في عدة مناسبات (أنا شرطية)، في الحقيقة منذ بدأنا العمل في موضوع الجثة تصر على تكرار هذه الحقيقة كما لو كانت ليس لها علاقة بالمشرحة والجثث.

كنت متيقنًا من أن "آل بيرابا" لن يطلبوا مساعدة الشرطة، ربما شعرت بذلك بسبب طول الوقت الذي أمضيته بالقرب من "دونا لو". إنهم يريدون الجثة، ويريدون مراسم دفن، يريدون شيئًا يدفنونه ليزوروا القبر بانتظام.

الذين لم يمروا بهذه التجربة لن يفهموا هذا الشعور، قلت هذا لـ"سولاميتا" أكثر من مائة مرة:

- ليس لديك أدنى فكرة عن ماذا يعني الموت من دون وجود جثة.

ردت:

Twitter: @ketab_n

- بالطبع أفهم، إنها مثل جريمة من دون جثة، لا وجود لها.

رددت:

- الأمر يتخطى هذا، وكأنك معلقة بين السماء والأرض. هناك أيام تتقبلين فيها موت ذلك الشخص، وعندها تبكين وتصلين. وفي أيام أخرى تسمعين صوتًا عند الباب فتعتقدين أنه قد عاد، فتركضين إلى غرفة المعيشة، لكنك لا تجدي أحدًا هناك. وإذا رن التليفون في منتصف الليل ترفعين السماعة وكلك أمل. لا تكفين أبدًا عن المعاناة أو الأمل. لا تعود الحياة تهمك بعد الآن، لكنك كذلك لا تستطيعين الموت تمامًا، لأن هناك دائمًا إمكانية أن ينفتح الباب وتجدينه أمامك أو أن يرن التليفون. وعندما يحدث ذلك، تريدين أن تكوني هناك.

بعد 17 مكالمة تهديد حانت لحظة الحصول على الفدية، وكنا نعرف ذلك، بالكاد نمنا تلك الليلة.

قبلها بيوم اتصلت بـ"خوسيه بيرابا"، طلبت منه استئجار سيارة تحمل لوحة رقمها 3422 من وكالة "بانوراما". أرادت "سولاميتا" ألا يستخدم "خوسيه" إحدى سيارات الأسرة الفاخرة في العملية، لذا حرصنا على التحقق من أرقام لوحات السيارات المتاحة في وكالة التأجير.

واصلت "سولاميتا" الخوض فيما سمَّته "المسائل الفنية"، أصبحت الآن عندما تتحدث عن أفكارها ونظرياتها تقول "أنا" و"أنت"، وأصبحت أفعل الشيء نفسه، في البداية كان هناك تحفظ من جانبنا، لم نكن نتحدث بهذه

Twitter: @ketab_n

الضمائر الشخصية، لم يكن هناك "أنا" أو "أنت"، بل فقط الصيَّاد. الصيَّاد الذي اتصل بـ"آل بيرابا" ليلًا، وهددهم، الآن أصبحنا نحن الصيّاد.

قبل مغادرة المخبز أخبرتني "سولاميتا" أنّها سوف تحضر سيارة عمتها لهذه العملية في نهاية فترة ما بعد الظهيرة، مشيرة إلى أنها من الأفضل أن تبقى معي بينما تستقل هى تاكسي.

مشيت معها إلى محطة الأوتوبيسات.

قالت:

- أحبك..

في مثل هذه الحالات أجدني مضطرًا دائمًا للرد عليها بـ"أنا أيضًا"، فأتذكر دائمًا جملة "ريتا" "أنا أيضًا"، كانت "ريتا" تعلق على الجملة بأنها استجابة شخص لا يشعر بأي شيء.

قلت لـــ"سولاميتا":

- ها هو الأوتوبيس.

سألتني:

- هل تحبني؟

أجبتها:

- نعم

- إذن قلها!

Twitter: @ketab_n

- لقد فعلتها بالفعل.

- قل "أحبك يا "سولاميتا"

- أحبك يا "سولاميتا".

صعدت الأوتوبيس، لَوَّحتْ لي مبتسمة من النافذة، ممّا جعلني أشعر وكأنني فأر.

عدت إلى المنزل كي أحضر الشاحنة، وقبل الذهاب إلى العمل مررت على "إليانا".

عندما منحتها المال، قالت:

- تحدث مع هنديتك، تلك المجنونة ترفض تناول الطعام، لا تفعل أي شيء سوى الجلوس هناك بوجهها الذي تبدو عليه أمارات العته، لديّ طفلان لأعتني بهما.

كانت "سيرافينا" تجلس حزينة في ركن المطبخ على كرسي، ويداها القبيحتان متشابكتان في حجرها. شعرت بعاطفة هائلة نحوها، فركعت بجانبها، طلبت منها أن تصبر أكثر لفترة قصيرة:

- مجرد بضعة أيام أخرى وسوف آخذك بعيدًا عن هنا كي تعيشي معي أنا و"سولاميتا".

ابتسمت، أعتقد أنها المرة الأولى التي أرى فيها "سيرافينا" تبتسم. لم يكن هناك الكثير من الأسنان في فمها.

Twitter: @ketab_n

33

كان يومًا طويلًا. كل ما شعرت به هو التوتر الصامت الذي ترك أعصابي في حالة يرثى لها. قضيت طوال الوقت وحدي في الجراج. لم يُطلب مني فعل أي شيء، لم أفعل أي شيء سوى شرب القهوة مع "دالفا" والدردشة مع المسؤول عن حوض السباحة.

في لحظات معينة كنت مقتنعًا تمامًا بأنني لا بد أن أتخلى عن خطتنا. فكرتُ في "دونا لو" ومعاناتها، وكيف تشبه محنة أمي. لا توجد بدائل أخرى.

قلت لنفسي سأقتل "راميريز" و"خوان"، وأهرب إلى "ريتا"، وأحصل على وثائق مزورة.

- ارحل، "**حوِّلْ**".

ولكن فات الأوان. توقف هاتفي الداخلي عن العمل، انتهى وتوقف الإرسال، لم يعد أحد بداخلي، أنا الذي أحكم وأقرر، أنا فقط.

في الثامنة مساء تلك الليلة كانت "سولاميتا" تراقب محطة الأوتوبيسات.

Twitter: @ketab_n

قبلها بنصف ساعة عندما كنّا في البيت راجعنا الخطة بدقة، ولكنها واصلت طرح الأسئلة نفسها.

سألتني في التليفون:

- هل أنت متأكد؟

قلت:

- متأكد.

- لا تقل غير الأمور الضرورية فقط، غيِّر صوتك، عندما تتصل تحدث كأنك أجشّ، افعل بالضبط ما اتفقنا عليه، سوف أراقب منطقتهم في مركز الشرطة عن طريق التليفون.

- لقد أخبرتيني بكل ذلك من قبل.

- هل موبايل "جونيور" مشحون؟

- مشحون بالكامل.

- أحبك.

- أنا أيضًا.

- مهما يكن ما سيحدث، نحن معًا في هذا الأمر.

- جيد، لا بد أن أذهب.

Twitter: @ketab_n

في الثامنة وعشر دقائق اتصلت بـ"خوسيه بيرابا"، طلبت منه أن يذهب بنفسه إلى محطة الأوتوبيس، ويبحث عن أحد الهواتف العامة بالقرب من شباك التذاكر، قلت:

- اركب السيارة المؤجرة، هناك مظروف مثبت تحت أول تليفون، اتبع التعليمات فقط.

اتصلت بي "سولاميتا" في التاسعة إلا الربع قائلة:

- من الواضح أن "خوسيه بيرابا" بمفرده، سأستقل تاكسي إلى محطة البنزين.

في الظرف كانت التعليمات الموجهة إلى "خوسيه بيرابا" كالآتي؛ أن يقود السيارة إلى سوبر ماركت "كريسبان"، ثم يبحث عن قطعة ورق حمراء موجودة تحت سلة المهملات الموجودة على يمين المدخل.

كنت أنتظر في موقف سيارات السوبر ماركت داخل سيارة عمة "سولاميتا" "الفولكس فاجن" القديمة التي حال زجاجها المظلل دون رؤيتي من الخارج.

تحت سلة المهملات وضعنا ورقة بخط السير: "خذ الطريق السريع 26A حتى الكيلو 34، وانتظر مكالمة تليفونية".

Twitter: @ketab_n

ما فعلناه كان أشبه بلعبة البحث عن الكنز، أخبرتني "سولاميتا" أنه هكذا يعمل الخاطفون، لا بد أن تجعل الضحية في حالة توهان، وفي الوقت نفسه راقب كيف يتصرف في المراحل المختلفة، وإذا تدخلت الشرطة سنعرف.

اتصلت بي "سولاميتا" التي كانت بالفعل في محطة الوقود عند مدخل الطريق السريع 26A، أخبرتني أنها شاهدت سيارة "بيرابا" المؤجرة تتجه نحو الكيلو 34.

وبعدها بعشر دقائق، وصلت إلى محطة البنزين، ركبت "سولاميتا" السيارة لاهثة، وقالت مشيرة إلى منطقة محمية أكثر:

- اركن هناك.

ثم اتصلت بـ"جويل" في مركز الشرطة بحجة أنّها تحتاج إلى رقم تليفون أحد أصدقائه الذي تجمعها به صداقة مشتركة، رد عليها:

- حبيبتي وهل بإمكاني رفض أيّ طلب لكِ لابتسامتك الساحرة؟

ردت:

- لا تتملقني يا "ترانكويرا"، فقط أعطني المعلومة.

وقبل أن تنهي المكالمة طلبت التحدث مع "دودو".

عندما أنهت المكالمة قالت لي إن الفريق كله هناك يحتسون بيرة ليلة الجمعة.

Twitter: @ketab_n

انتظرنا لبضع دقائق ثم اتصلت بـ"خوسيه بيرابا" ثانيةً. أخبرته بأن يتجه إلى ثالث عمود إنارة على الطريق السريع، وهناك سيجد تحت حجر مستطيل على يساره ظرفًا فيه المزيد من التعليمات.

كانت "سولاميتا" تفكر دائمًا من وجهة نظر الطب الشرعي، لهذا فقد قضت فترة الظهر كلها تعد كافة الملاحظات. كانت آخر ورقة تعليمات تقول: "خذ الطريق الجانبي عند الكيلو 42، أوقف السيارة، ثم امشِ أربعمائة متر نحو (الخليج الأخضر) وانتظر هناك ومصابيح السيارة الأمامية مطفأة".

ذهبنا إلى الطريق الجانبي، ثم أخذنا طريقًا مختصرًا يبدأ من عند المزرعة المهجورة التي دفنّا فيها الجثة. ففي الجانب الآخر من طريق 26A السريع يتفرع الطريق المختصر من "الخليج الأخضر". خبّأنا السيارة خلف شجيرات، وانتظرنا قليلًا متطلعين إلى الطريق الذي أصبح تحتنا تمامًا، فمن هناك يمكننا رؤية أي سيارة تقترب.

بعد عدة دقائق، رأينا سيَّارة تدخل في طريق جانبي وتطفئ مصابيحها الأمامية، اتصلت بـ"خوسيه بيرابا" ثانيةً.

قال:

- لقد وصلت، المكان هنا مظلم جدًا، لا أستطيع أن أرى شيئًا.

أمرته:

- قُد السيارة ثلاثمائة متر، ستجد تقاطعًا، انتظر هناك داخل السيارة والأنوار مطفأة.

Twitter: @ketab_n

ارتديت القناع، وودعت "سولاميتا" قائلًا قبل أن أمشي:

- انتظري حتى أضيء المصابيح الأمامية.

كنت قد سرت في الطريق نفسه ثلاث مرات مع "سولاميتا"، ولكن الأمور تبدو مختلفة جدًّا في الليل، مشيت بحرص خشية أن أؤذي نفسي، مع ذلك كان الظلام أكثر ضمانًا لنا. إذا اقتربت أي سيارة سنوقف العملية. استغرق الأمر مني أكثر من عشر دقائق للوصول إلى التقاطع.

عندما لمحت "خوسيه بيرابا" داخل السيارة، عندها فقط أضأت الكشاف، معطيًا إشارة البدء. أبقيت شعاع الضوء على وجهه حتى لا يستطيع رؤيتي، وبمجرد أن ترجل من السيارة سألته عن مكان المال.

قال:

- ستجده في حقيبة سفر على المقعد المجاور لمقعد السائق.

أطفأت الكشاف، ثم ذهبت إلى السيارة، وفتحت بابها وأغلقته مرتين كما لو كان هناك آخرون معي.

قلت له:

- لا تتصل بالشرطة، أبقِ موبايلك مفتوحًا.

سألني:

- وماذا عن ابني؟

Twitter: @ketab_n

قلت:

- سوف تتلقى التعليمات.

أخبرته بأن عليه مواصلة السير حتى يصل إلى الطريق الرئيسي، قلت له:

- ستستغرق المسافة ساعة مشيًا على الأقدام.

أضأت المصابيح الأمامية وأدرت السيارة بسرعة عالية.

كنت كمن ليس لديه ذراعان أو ساقان. لا شيء على الإطلاق، لم أشعر بشيء، لا بالإطارات، ولا عجلة القيادة ولا رأسي ولا أفكاري، لم أشعر بشيء. فقط قلبي الذي يدق بعنف، تذكرت السي دي التي أرسلتها لي "ريتا" منذ يومين، وكالعادة من دون عنوان المرسل، صورة أشعة الموجات فوق الصوتية نفسها، والنقطة السوداء نفسها، ولكن هذه المرة بصوت دقات قلب الجنين، دوم، دوم، دوم، قضيت نصف ساعة في أحد مقاهي الإنترنت في وسط البلد استمع إلى نبضات القلب تلك، الآن وأنا أقود في الظلام أشعر كأنني تلك النقطة السوداء، قلب يدق في الظلام، لا شيء أكثر من ذلك النبض.

في المكان المتفق عليه، كانت "سولاميتا" تنتظرني في السيارة الـ"فولكس". ركنت بجوارها تحت شجرة. قالت لي وهي تقترب:

- لا توجد أي علامة على أي حركة غريبة، لا أحد، كل شيء على ما يرام.

Twitter: @ketab_n

فتحت حقيبة السفر، ارتديت القفازات، نقلت الأموال إلى كيس القمامة الذي أحضرته، ثم تركت حقيبة السفر في السيارة المؤجرة ووضعت المفتاح على أحد الإطارات كما يفعل سايس موقف السيارات.

مسحت "سولاميتا" بقطعة قماش الدريكسيون والأقفال لتمحو بصمات أصابعي.

في الطريق إلى البيت، اتصلت ثانيةً بـ"خوسية بيرابا" باستخدام موبايل "جونيور" المحمول، أخبرته أين يمكنه العثور على السيارة المؤجرة، وأين تركت مفتاح تشغيلها، وأخبرته بأنه إذا واصل التعاون معنا ستعود له جثة ابنه قريبًا.

وصلنا إلى البيت في العاشرة والثلث مساءً. فرشت "سولاميتا" المال على السرير وبدأت تصلي، كررت التفاهات المقدسة التي تقولها بينما تدور حول السرير.

سحقًا، لم أستطع تصديق نفسي.

Twitter: @ketab_n

34

قالت "سولاميتا" عندما استيقظنا يوم السبت:

- صباح الخير يا رجل الـ"بانتانال"، الآن أصبحنا شِبه أغنياء، وكل ما أحتاجه هو بعض الراحة.

بعد أن أعدنا سيارة عمة "سولاميتا" ذهبنا إلى السوق المفتوح بالسراويل القصيرة والصنادل ومعنا قائمة مشتريات طلبتها والدتها في التليفون.

ملأ حماي الثلاجة بالبيرة، وقضينا السبت حول الشواية.

قال العجوز لـ"سولاميتا":

- لم أركِ تشربين كثيرًا هكذا من قبل.

كانت "ريجينا" سعيدة بهذا التجمع، تهتف وتتقلب كثيرًا وكأنها حيوان أُطلق سراحه من القفص أخيرًا. أحيانًا كنت أنزعج من صراخها، فكنت أقول لـ"سولاميتا" أن تهدئها.

Twitter: @ketab_n

في حوالي العاشرة مساءً عندما كنا مسترخيين على أريكة غرفة المعيشة، نشاهد التليفزيون تعلقت "سولاميتا" برقبتي قائلة:

- أريد أن أرقص.

سألتها:

- أين؟

- لا أعرف، في أي مكان.

- إنني أكره النوادي الليلية.

- أنت لا تفهم، أحتاج إلى الرقص فعلًا، إنه ضرورة حقيقية.

انتظرت "سولاميتا" حتى تستحم وتتزين، ثم ذهبنا إلى ملهى ليلي في المدينة، فرن حقيقي، بموسيقى التكنو التي دمرت طبلتي أذني. ظلت "سولاميتا" تشرب بنهم وفجأة اختفت في الحشد الراقص تمامًا. لم أجدها لمدة نصف ساعة، وعندما وجدتها كانت ترقص بلا إيقاع، مغمضة العينين، متجاهلة الموسيقى، وعندما اقتربت منها، وجدتها تبكي، قلت لها:

- كفى يا "سولاميتا" لقد احتفلنا بما يكفي.

استيقظت يوم الأحد بألم خفيف في الجزء الخلفي من رقبتي ولسان جاف خشن كما لو كنت أكلت ترابًا، وشعرت أشعر بحرقان في عيني. تمكنت بالكاد من الجلوس في السرير، وأحضرت لي "سولاميتا" التي

Twitter: @ketab_n

انتهت للتوّ من الاستحمام فنجانًا من القهوة صنعته لي "سيرافينا". كانت "سولاميتا" على وشك الذهاب إلى المشرحة.

قالت:

- اتصل به الآن، أريد أن أرحل وأنا مطمئنة من أن كل شيء على ما يرام.

في وقت الظهر تمامًا اتصلت بـ"خوسيه بيرابا"، وأعطيته معلومات مفصلة عن المكان الذي سيجد به الجثة، قائلًا:

- هناك سور أبيض ارتفاعه نصف متر يعلِّم المكان الذي ستجد فيه ابنك.

كان صامتًا.

سألته:

- سمعتني؟

قال:

- نعم، ولكنني لا أستطيع تصديق ما تفعله، هل تريد مني نبش قبر ابني أيها القذر؟

أنهيت المكالمة وأنا أشعر بالحيرة.

سألتني "سولاميتا":

- ما الذي يريدن منّا فعله؟! نشحن الجثة إلى بيته؟ نرسلها بالبريد؟

تنهدت بأسى قائلة:

- تخلص من تليفون "جونيور". ألقه في النهر، سأرحل، يجب أن أكون هناك عندما يحدث كل شيء.

وهكذا حدث كل شيء:

ذهب "خوسيه بيرابا" مع "دونا لو" إلى المكان الذي أخبرناه به، ومن هناك وقبل حتى فتح القبر اتصل بـ"بيدور كاليرو" رئيس مركز الشرطة، طالبًا مقابلته.

بعد أن أُبلغ "كاليرو" بالأمر اتصل بـ"جويل" و"دودو"، إلى جانب فريق تحرير الرهائن.

أخبرتني "سولاميتا" عندما عادت من العمل في الحادية عشرة مساء تلك الليلة:

- في تمام الخامسة تسلمت الجثة في المشرحة بنفسي.

كنا نائمين في سريري في مواجهة بعضنا، وكلانا يمسك بيد الآخر.

سألتها:

- ما الذي عرفوه حتى الآن؟

أجابتني:

- أعرف "جويل" جيدًا إنه شكّاك، سألت "كاليرو" و"دودو"، وكلاهما أخبرني أن الأسرة لم توضح تماما كيف عثروا على الجثة، فما الذي يعني هذا؟

Twitter: @ketab_n

- إذا كان الأمر بيد "دونا لو" لِمَ استمروا في هذه الإجراءات.

قالت "سولاميتا":

- أنت مخطئ في هذا، لقد تم بالفعل تحديد يوم غد لأخذ العينات الوراثية من العائلة لتعرف على الجثة. لا بد أن أعثر على طريقة لأكون أنا المسؤولة عن أخذ المادة إلى المعمل في "برازيليا".

- وماذا لو لم يحدث هذا؟

- سأذهب على أي حال، حتى ولو سرًا وعلى نفقتي الخاصة، لدي انطباع بأن "خوسيه بيرابا" يخفي شيئًا، لكنني قد أكون مخطئة. ربما يعرف "كاليرو" كل شيء، ويريد الحفاظ على سرية التحقيق، هذا يحدث أيضًا، في الواقع ظل "كاليرو" في المشرحة طول الوقت على غير المعتاد.

- ماذا سنفعل؟

- حتى يتم جمع العينات، لن نفعل شيئًا.

- وبعد ذلك؟

- كل شيء سيستمر كما كان، مصيرنا في يد صديقي.

كانت تشير إلى العامل الذي يكتب التقارير في المعمل في "برازيليا"، والذي سنحاول رشوته.

أمطرت "سولاميتا" بالأسئلة:

- ماذا لو لم يوافق؟ ماذا لو أبلغ عنّا؟

لكنها على عكسي لم تكن قلقة بشأن الاختبارات، ما كان يقلقها هو سلوك "جويل"، قالت:

- إنه يتصرف بطريقة غريبة، سألني عنك وعن عملك، كما قال إن لديه مشاكل مالية، أمر غريب ألا تظن ذلك؟

Twitter: @ketab_n

35

في اليوم التالي، اتصلت "سولاميتا" بمجرد وصولها إلى العمل في حوالي السابعة، قالت:

– من الواضح أنّهم فعلوا الكثير من الإجراءات خلال الليل، رأيت أشعة سينية من طبيب أسنان "جونيور" على مكتب "روزانا"، لكنها لن تثبت شيئًا لأنني حطمت أسنان الجثة قبل دفنها، لكن كيف حصلوا على تلك الأشعة السينية مساء الأحد في وقت متأخر؟ عائلة "بيرابا" تتعاون على عكس ما كنّا نتصور، اتصلوا بطبيب الأسنان، والسؤال المطروح الآن هو أي قصة قالوها للشرطة؟ ما الذي يعرفه "بيدرو كاليرو"؟

كانت هناك مشكلة أخرى كما تقول "سولاميتا" وهي أن "روزانا" الطبيبة الشرعية المسؤولة عن المشرحة لم تمرر أي معلومات، أضافت "سولاميتا":

– دائمًا ما كنّا نتحدث عن هذه الأشياء، لكن هذه المرة أشعر أنّها تتحفظ في الحديث.

Twitter: @ketab_n

أنهينا المكالمة بعدما وعدتها بأني سأذهب لأرى الأحوال بمنزل "بيرابا"، كما وعدتها بألا أفعل أي شيء غبي، قالت:

- أحتاج إلى التأكد من أنك مسيطر على الوضع.

عانيت من صعوبة الاستيقاظ؛ كانت الليلة السابقة عذابًا، ظللنا نتحدث حتى وقت متأخر، نعاني من القلق الشديد بسبب كثرة الاحتمالات التي لم نفكر فيها من قبل؛ ماذا لو كنا قد تركنا آثار أقدامنا في المكان الذي دفنا فيه الجثة؟ ماذا لو إن كانت هواتفنا مراقبة؟ ماذا لو كان أحد الأشخاص قد رآنا؟ ماذا لو كانت الشرطة تعرف كل شيء منذ البداية؟

جاءت لحظة كنت فيها يائسًا جدًّا لدرجة أنني حاولت إقناع "سولاميتا" بتسليم أنفسنا، وإعادة أموال الفدية، والإبلاغ عن "راميريز"، وهو ما سيكون في صالحنا عند محاكمتنا:

- أنتِ قلت بنفسكِ، لا توجد جريمة كاملة، سيكشفونا.

ردت:

- ما أعرفه هو أن التحقيقات غبية ولا تتم باهتمام. أنا في الداخل وأرى الكثير من الإجراءات المستهترة، وأعرف كيف تسير الأمور، هناك العديد من الطرق التي يمكن بها تخريب أي تحقيق.

بحلول الصباح، كانت "سولاميتا" قد تمكنت من تهدئتي، أخبرتني بأنه لا توجد مشكلة على الإطلاق إذا اشتبهوا فينا، فلا أحد يذهب إلى السجن فقط لأنه مشتبه في ارتكابه جريمة ما. قالت:

Twitter: @ketab_n .

- يجب ألا يجدوا أي دليل ضدنا.

شعرت بالإنهاك، لم تكن لديّ قوة لمقاومة ما سنواجهه فيما بعد، ولكن على الرغم من ذلك اتبعت تعليماتها بدقة بالغة.

وصلت إلى بيت "بيرابا" مبكرًا، كان حوض السباحة مغطى بأوراق الشجر، وتنظيفه كان كل ما أحتاجه لأشعر بالهدوء. وهكذا بهدوء ظللت أزيل أوراق الشجر، باستخدام مصفاة ذات مقبض طويل.

أحضرت "دالفا" القهوة لي، قالت بارتباك:

- لقد وجدوا "جونيور"، ألم تقل لك "سولاميتا" شيئًا؟

قلت مُفْرِغًا المصفاة في الحديقة:

- كلا، لا شيء.

- وما رأيها فيما يحدث؟

أجبتها:

- كانت في الخدمة أمس، فلم يكن لدينا فرصة للحديث.

نظرت "دالفا" إليّ كما لو كانت لا تصدقني.

- لم تسألها عن أي شيء؟

تركت المصفاة وتنهدت.

قالت "دالفا":

Twitter: @ketab_n

- لا بد أن يكون لدى الشرطة آلة أو وسيلة ما لتحديد ما إذا كانت الجثة هي جثة "جونيور" أم لا، لقد شاهدتها في التلفزيون.

أنقذتني "دونا لو" التي أشارت لي من نافذة غرفة "جونيور" لكي أصعد إليها.

دخلت إلى البيت، كانت أفكاري تتقافز بين البقعة الداكنة النابضة في بطن "ريتا" ويد "سولاميتا" الرشيقة وهي تكسر عظام الجثة، بينما أكرر لنفسي أنّهم لا يعرفون شيئًا، "حوِّلْ"، لم أقتل أحدًا، ليس لديهم أي دليل يكشفونني به.

في غرفة النوم بدت "دونا لو" أفضل من المعتاد، سألتني عمّا إذا كنت قد سمعت الخبر، وقبل أن أتمكن من الرد فتحت باب الدولاب وقالت لي إنها قد قررت التبرع بملابس ابنها للمؤسسات الخيرية:

- اختر أي شيء تريده إنك تماثله في الحجم تقريبًا.

ثم تركتني وخرجت.

وبينما كنت أختار بعض البنطلونات والقمصان، تذكرت أمي التي ظلت تحتفظ بملابس والدى لعشرين عامًا قبل أن تموت. فكرت وأنا أرتدي تي شيرت أحمرَ، الآن تأكدت "دونا لو" من موت "جونيور"، وشعرت بالسعادة لأجلها، يمكنك رؤية ارتياح في تعبيراتها، لقد أصبحت حرة أخيرًا.

حينها رأيت من النافذة رئيس مركز الشرطة "بيدرو كاليرو" قادمًا عبر الحديقة، يرافقه "جويل" و"دودو"، ركضت إلى الحمَّام، فتحت المياه وألقيت على وجهي ماءً باردًا محاولًا تهدئة نفسي، سمعت أحدهم يقول:

Twitter: @ketab_n

- ليس الاختبار الوحيد الذي نخطط لتطبيقه.

كان حمام غرفة "جونيور" ملاصقًا لمكتب "خوسيه بيرابا"، كلاهما يُطل على الحديقة الأمامية للبيت. أغلقتُ باب غرفة النوم وفتحت نافذة الحمَّام بعناية، ولكن لم يمكنني سماع ما كانوا يقولونه بوضوح، فعدت إلى غرفة النوم، واتصلت بـ"سولاميتا".

قالت:

- حاول الاستماع إلى ما يقولونه، اكتشفت أن "خوسيه بيرابا" هو الذي دعا للاجتماع هناك، أعتقد أنهم سيتحدثون عن الاختبارات، حاول أن تعرف ما يتحدثون عنه.

أنهيتُ المكالمة، ثم اخترت بعض الملابس عشوائيًّا من الدولاب، وتركتهم في الجناح الإضافي الصغير، بعدها ذهبت للدردشة مع الرجل المسئول عن حوض السباحة عارضًا عليه مساعدتي في الحديقة.

أمسكت بمقصات الحديقة واقتربت من نافذة مكتب "خوسيه بيرابا"، لكن لم أقترب كثيرًا حتى لا أظهر اهتمامي بما يقولون. ما سمعته كان كلمات متفرقة من بعض الجمل: "زوجتي تعيش على المهدئات، توسيع التحقيق، مزعج، الموظفين، طريقة أخرى للتسوية، الموظفين، الاستجواب، "دالفا"، الاهتمامات، الموظفين".

لم أشعر بالارتياح عندما سمعت كلمة "الموظفين" تتكرر عدة مرات، ولا يقولها غير "كاليرو".

كنت أتظاهر بتقليم العشب عندما رأيت حذاء "جويل" يقترب، سألني:

Twitter: @ketab_n

- هل تعتني بالحديقة أيضًا؟

نهضت بسرعة وأنا أشعر بأن كل شيء حولي قد أظلم، أجبته:

- أساعد؟

قال:

- من الجيد أن يكون لدينا أصدقاء يساعدوننا.

لم أحب طريقة "جويل" المتعجرفة قليلًا. كان واقفًا ويداه على خصره، لم يكن ينظر إليّ مباشرة.

قلت:

- إنّها وظيفتي.

تساءل بابتسامة خبيثة:

- ومَنْ الذي يتحدث عن العمل؟ أنا أتحدث عن الأصدقاء، الأصدقاء الحقيقيين الذين يحمونك، أنا شخصيًّا لديّ كثير من الأصدقاء، "سولاميتا" مثلًا، إنها صديقتي، أقصد أنني أظن أننا صديقان.

قال هذا ثم ضحك، وتابع:

- كيف قضيتما عطلة نهاية الأسبوع؟

- ذهبنا للرقص.

تطلع إليّ بشكٍ وقال:

- يا لها من مأساة!

Twitter: @ketab_n

- جدًّا.

- سنستدعيك لتدلي بأقوالك.

بقيت صامتًا.

جاءت "دالفا" إلى الحديقة، وطلبت مني تجهيز سيارة "دونا لو"، فوَدَّعت "جويل" وتوجهت إلى الجراج، وكاد قلبي يتوقف.

يعرض الحانوتي "مارتين" وأولاده أوعية لحفظ رماد الموتى، وأكاليل زهور، وشمعدانات، ومسابح صلاة كأنّها أجهزة مطبخ، حتى الموت لا يمكنه الإفلات من تكتيكات البيزنيس. هناك أشخاص يستلقون في النعوش لتجربتها، هذا ما قاله لي ابن "مارتين" بينما أنتظر "دونا لو" على الرصيف:

- هناك بعض الأشخاص الذين يشترون التابوت للمستقبل.

كنت أريد البقاء وحيدًا كي أتصل بـ"سولاميتا" وأعرف منها ما الذي يحدث بحق الجحيم، لكن الشاب لم يتوقف عن الحديث، وعندما أدرك أخيرًا أنني لست في مزاج يسمح بالثرثرة، أشارت لي "دونا لو" كي أذهب لمساعدتها.

سألتني عارضة عليّ نعشًا داكنًا وآخر مزخرفًا بطريقة مبالغ فيها:

- ما رأيك؟

- أُفضِل هذا.

- إنه محافظ أكثر، معك حق.

Twitter: @ketab_n

بعد ذلك، ذهبنا إلى الكنيسة، حيث كان لديها ميعاد مع الأب "ألفريدو" للحديث عن استعدادات الجنازة والقداس، قالت لي وأنا أركن السيارة:

- تعالَ معي، أنا بحاجة إلى مساعدتك.

على الرغم من أن سلوكها لا يشير إلى اشتباهها في، ولكنني لم أستطع المحافظة على هدوئي، ظللتُ أفكر فيما كان "جويل" يلمّح إليه بذلك الحديث عن الأصدقاء؟ ما الذي عرفه؟

عدنا إلى بيت "بيرابا" وما إن خرجت "دونا لو" من السيارة حتى اتصلت بـ"سولاميتا" في المشرحة.

رد عليّ عامل التليفونات في المشرحة وأخبرني بأنه لا يوجد أحد بها، فلقد تم استدعاؤهم جميعًا لاجتماع طارئ في مركز الشرطة.

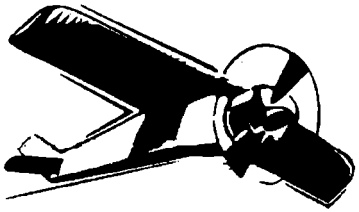

Twitter: @ketab_n

36

- أتعرفون ما الذي سأفعله بقطعة الهراء هذه؟ هه؟

كنت واقفًا عند النافذة، فاقدًا السيطرة على أعصابي، ممسكًا بسكين في يدي وكرة قدم في الأخرى، بينما ينظر الأولاد في الشارع إليّ خائفين، وفي محاولة للتغلب على الغضب طعنت الكرة في عدّة أماكن ثم قذفت بها على الأسفلت.

قال أحد الأطفال الهنود:

- لماذا فعلت هذا، لقد كانت كرة قدم أصلية اشتراها لنا "ألسيو".

كان ذلك بعد الثامنة مساءً، وكان الأطفال قد كسروا نافذتي حالاً، في العموم أتعامل مع هؤلاء الصغار بصبر، ولكن في تلك الليلة كنت أستشيط غضبًا، وبعد ما فعلته بالكرة توقفت الضوضاء، لكنني كنت لا أزال أسمع بعض صيحات الاستياء بينما كنت أحاول معرفة ما حدث مع "سولاميتا". اتصلت بالمشرحة أكثر من عشرين مرة، وما زالت لم تعد من

Twitter: @ketab_n

ذلك الاجتماع، أي نوع من الاجتماعات اللعينة هذا؟ ما الذي حدث؟ لماذا أغلقت تليفونها؟

كنت متوترًا، شاعرًا بأن مصيبة ما على وشك الحدوث. ناداني الأطفال كي أحدثهم من النافذة، قالوا:

- سامحنا.. آخر مرة.

في النهاية أعطيتهم المال اللازم لشراء كرة قدم أخرى، قائلًا:

- ولكن العبوا بعيدًا عن هنا.

بعد فترة وجيزة، اتصلت "سولاميتا"، أخبرتني بأن أذهب إلى المركز. لا يوجد وصف دقيق لحالة الخوف التي سيطرت عليّ طوال الطريق، كان الأمر أشبه بانهيار؛ عرق، ارتجاف، دقات قلب سريعة، ظننت أنني سأُصاب بنوبة قلبية. في الراديو، يقول المذيع، ما زالت "ساو باولو" تواجه الفيضان. تخيلتُ الفقراء يتحركون في المياه التي تصل حتى خصورهم، وأثاثهم عائم في الشوارع، ثلاجات وتليفزيونات، ثم قال المذيع: جَلد ثلاثة مسلمين في ماليزيا بتهمة الزنى، تخيلت السياط على جلودهم، وقال المذيع: المحكمة تؤيد إقالة المحافظ. الأمور تسير بشكل جيد حتى الآن، لستُ في "ساو باولو"، ولستُ مسلمًا، ولا محافظًا.

عندما ركنت السيارة، كان "جويل" يقف عند باب المركز، سألني:

- جئتَ لتُسَلِّم نفسك؟

Twitter: @ketab_n

لوهلة ظننت أن "سولاميتا" باعتني، لكن "جويل" استطرد مقهقهًا:

- أنت رجل محظوظ.

لا أعرف كم لبثت في السيارة، لكن "جويل" ظل واقفًا على الرصيف يدخن ولم يرفع عينيه عنّي لثانية. وعندما ركبت "سولاميتا" السيارة، ابتعدت بها سريعًا، وبمجرد أن استدرت نحو الناصية بدأتُ في الصراخ مرددًا:

- اللعنة، كيف تفعلين ذلك بي؟ أين اختفيت؟ ما الذي يحدث؟

كنت أصرخ ضاربًا بقبضتي على الدريكسيون.

قالت:

- لقد أغلقوا القضية، أخرجت من حقيبتها رزمة من الأوراق التي استلمتها حالاً من الرئيس.

أوقفت السيارة غاضبًا في وسط الميدان الرئيسي كي أسمع بقية القصة، قالت "سولاميتا":

- اكتشفت ظهر اليوم أن التحقيق قد تم إلغاؤه، ولكنني كنت اتصلتُ بصديقي في "برازيليا" بالفعل، من الجيد أنني لم أخبره عن سبب اتصالي به.

أضافت "سولاميتا":

- دعاني "دودو" إلى الاجتماع في المركز، وكان "كاليرو" حاضرًا، سألوا عنك، وعنا نحن الاثنين، ثرثروا ثرثرة فارغة، تحدثوا كثيرًا دون أن يقولوا أي شيء، ثم سألتهم متى سنحصل على المادة من الأسرة كي

Twitter: @ketab_n

نختبرها في "برازيليا"، اضطرب كلاهما أكثر وقالا إننا لا بد أن نحترم معاناة الأسرة، إلى آخر الثرثرة الفارغة، ثم فهمت أخيرًا لماذا استدعوني هناك؛ لأن "بيرابا" نفسه لا يريد القيام بالاختبار للتَعرُّف على الجثة، لأنه يريد أن يجنب زوجته عناء الأمر.

- إذن لن يقوموا بهذا الاختبار؟

- الأغنياء لديهم قوانينهم الخاصة، تم إغلاق القضية، وكعضو في الفريق لا بد أن أبقي فمي مغلقًا. كانوا يريدون معرفة سعري، فتحنا التفاوض، قالوها هكذا، كنّا كرجال الأعمال نتحدث عن المبيعات، ولكن الأمر معقد جدًّا، هؤلاء الأشخاص يعرفون كيف يقدمون الرشوة، إنهم أكفاء جدًّا، ويفعلونها بطريقة لا تشعرك بأنك فاسد، بل يجعلونك تشعر وكأنك تؤدي لهم خدمة، أو مساعدة، لم يذكروا كلمة "مال" أبدًا، تحدثنا عن التعويض والتعاون، والتسهيل، والمنفعة المتبادلة، بهذه الطريقة تُدار الأمور في هذا البلد.

سألتها:

- ماذا عن "جويل"؟

- بمجرد أن وصلت إلى المركز، أخذني جانبًا وسألني من هم شركائي، هكذا تمامًا، فجأةً، بتعبير شخص يمزح، لكنه يتحدث بجدية، أتعرف؟ قلت له شريكي صاحب ساحة سيارات مستعملة ومُهرِّب كوكايين، كان لا بد أن ترى وجهه، ذبل على الفور، فهم رسالتي تمامًا.

سألتها:

- هل هذا كل شيء؟

Twitter: @ketab_n

أجابت:

- انتهى كل شيء.

سكتنا لحظة ممسكين بيد بعضنا، ثم قالت:

- قبِّلني، ثم أوصلني إلى البيت.

لكنني فتحت النافذة أولًا، كنت بحاجة إلى الهواء.

Twitter: @ketab_n

37

انفتحت الحقيبة التي بداخلها الدولارات، ستون ألفًا.

بدأ "خوان" في عدهم بشراهة. كان المشهد مثيرًا للاشمئزاز، قام أولًا بحل رزم المال، ثم قام برصّها بنظام، وفي كل مرة كان يبلل أصابعه بلعابه، كما لو كان سيلتهم وليمة.

نظر "راميريز" إليّ بارتياح وشعره خفيف ومنكوش، ويبدو كفرشاة قديمة عديمة الفائدة.

- اجلس، هل تريد شيئًا تشربه يا "بوركو"؟

شكرته.

قال:

- من المضحك أنني نسيتُ اسمك.

قلت له:

Twitter: @ketab_n

- يمكنك أن تستمر في مناداتي بـ"بوركو".

قال:

- بالطبع "بوركو"، والآن نحن نثق في بعضنا، ويمكننا زيادة أعمالنا.

ابتسمنا.

كنا في معمله في "بويرتو سواريز". قال "راميريز" إن "كورومبا" هي الطريق الوحيد للكوكايين القادم من "بوليفيا"، وإن كل المخدرات الكولومبية تدخل "البرازيل" عبر "باراجواي"، ردد:

- يمكننا أن نزيد من نشاطنا.

ثم أضاف أنه لديهم شريك الآن في "باراجواي" وأنهم بحاجة لشخص مثلي لإدخال المخدرات إلى البرازيل، قال:

- أنا لا أحتاج إلى بغال، بل أحتاج إلى ذكاء، إنها صفقة رائعة لك، لأن تسليم المتهمين من "باراجواي" عملية معقدة للغاية، يمكنني أن أضمن لك عدم وجود أي مخاطر.

لم يكن لديّ أدنى قدر من الاهتمام بما يقوله "راميريز" على الإطلاق، ولكنه واصل حديثه، بينما أكملت قراءة الصحيفة التي جلبتها معي. كان بها خبر عن العثور على جثة "جونيور"، كانت الرواية الرسمية هي أن أحد المزارعين لاحظ رائحة غريبة في أرضه واكتشف الجثة بين مجموع شجيرات، و"تعتقد" الشرطة أن "جونيور" غادر الطائرة وهو مصاب، وتوفي أثناء محاولته العثور على مساعدة.

Twitter: @ketab_n

واصلتُ قراءة الصحيفة، وواصل "راميريز" الحديث، ومن بين كل عشر كلمات، تتردد كلمة "بوركو"، صاحبي "بوركو"، "بوركو" صديقي، تجاهلته تمامًا، بينما استمررت في قراءة الجريدة جرت عيني على عناوين أخرى. "امرأة أفغانية ترتدي الشادور، تظهر إصبعها المغطاة بالحبر بعد الإدلاء بصوتها". اللعنة، لم أرَ أبدًا عدة كلمات قبيحة معًا هكذا؛ الشادور والأصابع القذرة.

انتهى "خوان" من عد المال، ثم قال:

- المبلغ كامل.

قبل أن أغادر، وضع "راميريز" يده على كتفي وطلب مني التفكير في عرضه، كما قال إنه لم يقتل "موسيير"، وأكد أنّه اكتشف أن "موسيير" قتل نفسه فعلًا.

أضاف:

- شيء محزن، ولكن الحقيقة يا "بوركو" هي أن الطيبين يموتون دائمًا في النهاية.

الآن، أفكر وأنا في طريق عودتي إلى "كورومبا" أنه لم يعد أحد معلقًا في رقبتي، أنا حر، "**حوِّلْ**".

Twitter: @ketab_n

38

كان التأبين.

تم إغلاق النعش، ووُضِعَتْ الكثير من الزهور خارج الكنيسة لدرجة أنك تستطيع أن تشتم رائحتها الزكية في الهواء بالفعل.

حضر كل سكان المدينة، معظمهم لم يكن لديهم أي اتصال مباشر بالأسرة، كما جاء غرباء ممن تابعوا الأخبار على شاشة التليفزيون. جاءوا ليُسَلُّوا أنفسهم. اختلط التأبين بالبكاء.

تلقيت "دونا لو" التعازي، ولكنني استطعت أن أرى خلف ملابس حدادها وتعبيراتها المحافظة حالة من السلام.

ذهبت مع "سولاميتا" إلى الجنازة صباح اليوم التالي.

كان يوما مشمسًا.

لاحظت أن (التُّربي) الذي حفر قبر "جونيور" كان نفس الرجل الذي باع لنا الجثة.

Twitter: @ketab_n

وفي نهاية الجنازة قَدَّمنا تعازينا لكلٍّ من "دونا لو" والسيد "خوسيه".

قالا:

- شكرًا جزيلًا لك.

غادرنا عبر ممرات المقبرة، ممسكين بيد بعضنا، شاعرين بحرارة الشمس الحارقة على ملابسنا الداكنة.

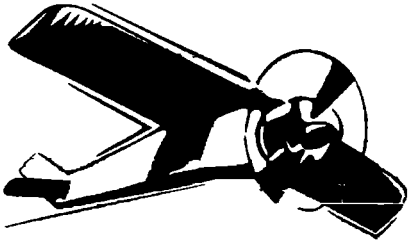

Twitter: @ketab_n

39

في صباح اليوم التالي، عندما وصلتُ إلى العمل، كانت "دونا لو" ترتدي "تي شيرت" و"أفرول" وتعتني بالحديقة، قالت:

- سوف أزرع زهور الـ"أزاليا".

في المطبخ، لم تُقَدِّم لي "دالفا" القهوة كالمعتاد، وعندما سألتها أن تصنع لي فنجانًا من القهوة، أشارت إلى تُرمس القهوة قائلة:

- اخدم نفسك، أنا مشغولة.

سألتها:

- هل هناك أي مشكلة؟

ابتسمت بطريقة غريبة، وفيها شيء من السخرية، ثم قالت:

- إن "خوسيه بيرابا" ينتظرك في المكتب.

وجدته يعمل خلف مكتبه، لم يحيّني أو حتى يرفع عينه للتحدث معي.

Twitter: @ketab_n

قال:

- ها هي مكافأة نهاية خدمتك، كل ما ينقصنا هو توقيعك على الأوراق، ابتداءً من اليوم لم تعد موظفًا عندي.

كنت على وشك قول شيئًا، لكنه قاطعني قائلًا:

- أنصت لما سأقوله، سترحل من هنا الآن وفورًا، وستتصل بـ"دونا لو" وتخبرها بأنك استقلت من منصبك، قل لها إنك لا يمكنك العمل بدايةً من اليوم، أو إنك ستتزوج أو مصاب بالسرطان أو اخترع أي كذبة.

وقفت كالمشلول أمامه وأنا أنظر إلى الشيك الذى أعطاني إيَّاه.

قال لي:

- وقِّع هنا.

وبينما كنت أوقِّع على الإيصال بيد مرتعشة، واصل "خوسيه بيرابا" حديثه - لكنني لم أجرؤ على النظر إليه - قال:

- لولا زوجتي.. لولا زوجتي القديسة، وصحتها، أقسم لك أن الأمر كان سيصبح مختلفًا تمامًا، كنت أطلقت الرصاص على وجهك المريب هذا.

سلمته الأوراق.

- أخرج من بيتي، يا حشرة، إنك حشرة.

لم ينتظر خروجي حتى، تركني واقفًا هناك، أستمع إلى صوت حذائه عالي الرقبة يتردد على الأرض.

Twitter: @ketab_n

خاتمة

بعد سنة

لم تكن البقرة تبدو بحالة جيدة، كنت قلقًا لأنها هدية عرسي من "دونا لو"، بقرة أصيلة، لذ لم أكن أريد المخاطرة بالقيام بأي تصرف خاطئ.

قلت لحماي:

- أحضر حبلًا.

صرخت "ريجينا" بفزع، حيث جاءت إلى الإسطبل مع "سيرافينا" لتشهد الولادة، قلت لـ"سيرافينا":

- أخرجيها من هنا، لا نريد مضايقة البقرة أكثر من ذلك.

أحضر حماي الحبل وربطنا ساقي العجل الصغير، الذي أصبح خارج بطن أمه جزئيًا، ثم سحبت قدميه بعناية، وتدريجيًا ظهر العجل والمشيمة.

قلت:

- إنها أنثى.

Twitter: @ketab_n

بعد الظهر، بعدما تناولنا الغداء، ذهبت إلى المدينة بقائمة المشتريات التي أعطتها لي "سولاميتا".

وفي السوبر ماركت صادفت "إليانا".

قلت لها:

- لم أركِ منذ فترة طويلة.

كانت حاملًا ومتزوجة من "ألسيو".

سألتها عن الأطفال.

قالت:

- بخير، لديّ ظرف لك في البيت، وصلني منذ فترة، ولم أعرف كيف أعثر عليك.

أوصلتهما إلى بيتهما، وهناك أعطتني ظرفًا.

فتحته فوجدت صورة لريتا بالبكيني وعلى حجرها طفلة، وكلاهما يأكل آيس كريم على الشاطئ.

"إذا كنت ترغب في مقابلة ابنتك نحن هنا، الحياة في "ريو" رائعة، لا تشبه إطلاقًا رائحة روث البقر، أو هؤلاء الرجعيين في "كورومبا".

وقفت على الرصيف أتأمل الصورة، اللعنة يا "ريتا" إن الطفلة تشبهني تمامًا. أحرقتُ الصورة بقلب ثقيل، فمن يعرف ما الذي يمكن أن يحدث غدًا؟

Twitter: @ketab_n

عندما وصلت إلى المزرعة، كانت "سولاميتا" في الحديقة، مع "ريجينا" ووالدتها، بطنها منتفخ، ستلد طفلنا في غضون شهرين.

سألتني "سولاميتا":

- هل رأيت النخلات التي زرعتها؟ مشيرة إلى الشتلات التي امتدت في الأفق روضة خضراء من الشجيرات التي زرعها المالك السابق.

كانت الشمس تغرب، والنسيم الرقيق يهب علينا، جلست بجانبها لأتذوق المشهد، قلت لها:

- ليس هناك مكان أجمل من "بانتانال".

قالت حماتي وهي تقدم لي عصير الليمون البارد:

- تلك النخلات جميلة حقًا.

صاحت "ريجينا":

- (شششـ خـ للااات).

قالت "سولاميتا":

- أسمعت؟ "نخلات" صح يا حبيبتي.

ثم كررت، النخلات جميلات حقًا.

Twitter: @ketab_n

شكر خاص

أشكر "جين باتشيكو بيلوتشي" و"روبرتا أستولفي" لتعاونهما الذي لا يُقَدَّر بثمن في البحث، كما أود أيضًا أن أشكر مُحَرِّريّ "باولو روكو"، و"ماريانا تيكسيرا سواريس" على دعمهما وحماسهما، وكالعادة شكر خاص لصديقي الأبدي "روبم فونسيكا" لقراءته المتأنية، ولزوجي "جون" على وجوده إلى جانبي للأبد.

(**سارق الجثث**) من وحي الخيال، وكل أسماء الشخصيات والأماكن الواردة من إبداع المؤلفة، ولا علاقة لها بالواقع.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

نبذة عن المؤلفة:

وُلدت "باتريسيا ميلو" في "ساو باولو" بالبرازيل. كتبت ثماني روايات، منها "القاتل" التي فازت بجائزة "دوكس أوشنز"، و"الجحيم" الفائزة بجائزة "جابوتي"، ومؤخرًا وصلت روايتاها: "الفالس الأسود"، و"العالم المفقود" إلى القائمة الطويلة للجائزة الدولية الأدبية "آي إم بي إيه سي دبلن" (IMPAC)، كما كتبت "ميلو" عدة مسرحيات؛ منها: "نظام العالم"، و"امرأتان وجثة". تعيش "باتريسيا" ما بين البرازيل وسويسرا.

Twitter: @ketab_n

#كتب_مختلفة #البرازيل

"قبل أن أعرف أن الناس يموتون، كنت أتصور أنهم يختفون، يهجرون المنزل ويتبخرون ويتركوننا في حيرة، ننظر إلى سريرهم الخالي، الذي يشبه صرخة الصباح، وصفعته، نحلمُ بهم كل ليلة، نحلم أنهم لا يزالون على قيد الحياة، أنهم ينادوننا، يعودون إلى البيت - دائمًا نفس الأحلام - حتى ينتهي بك الأمر في الواقع إلى الاعتقاد بأنهم على قيد الحياة، وهناك أيضًا الدراسات التي تقول إن سبعين بالمائة من المختفين يعودون، ربما لست مؤمنًا بالله، ولكنك مؤمن بالدراسات، تتشبث بهذه النسب كما لو كانت صلاة، والأرقام، إلى جانب الأحلام، تُحيل ذلك الشخص إلى نوع من الموتى الأحياء، الزومبي، أعرف كل ذلك جيدًا".

باتريسيا ميلوُ

وُلدت "باتريسيا ميلوُ" عام 1962 في ساو باولو بالبرازيل. عُرف عنها ميلها إلى كتابة الأدب البوليسي، وتسعى في رواياتها إلى تحليل عقول المجرمين وطريقة تفكيرهم. كتبت ثماني روايات منها "القاتل" التي فازت بجائزة "دوكس أوشنز"، و"الجحيم" الفائزة بجائزة "جابوتي"، ومؤخرًا وصلت رواياتها: "الفالس الأسود" و"العالم المفقود" إلى القائمة الطويلة للجائزة الدولية الأدبية "آي إم بي إيه سي دبلن" IMPAC، كما كتبت "ميلوُ" عدة مسرحيات؛ منها: "نظام العالم" و"امرأتان وجثة" والتي تم تمثيلها على المسرح عام 2001. تعيش "باتريسيا" ما بين البرازيل وسويسرا.

ISBN 978-977-319-248-8

9 789773 192488 >

العربي للنشر والتوزيع
60 شارع القصر العيني 11451 - القاهرة
ت: 27954529 - 27921943 فاكس: 27947566
www.alarabipublishing.com.eg

تصميم الغلاف: آلاء هيكل